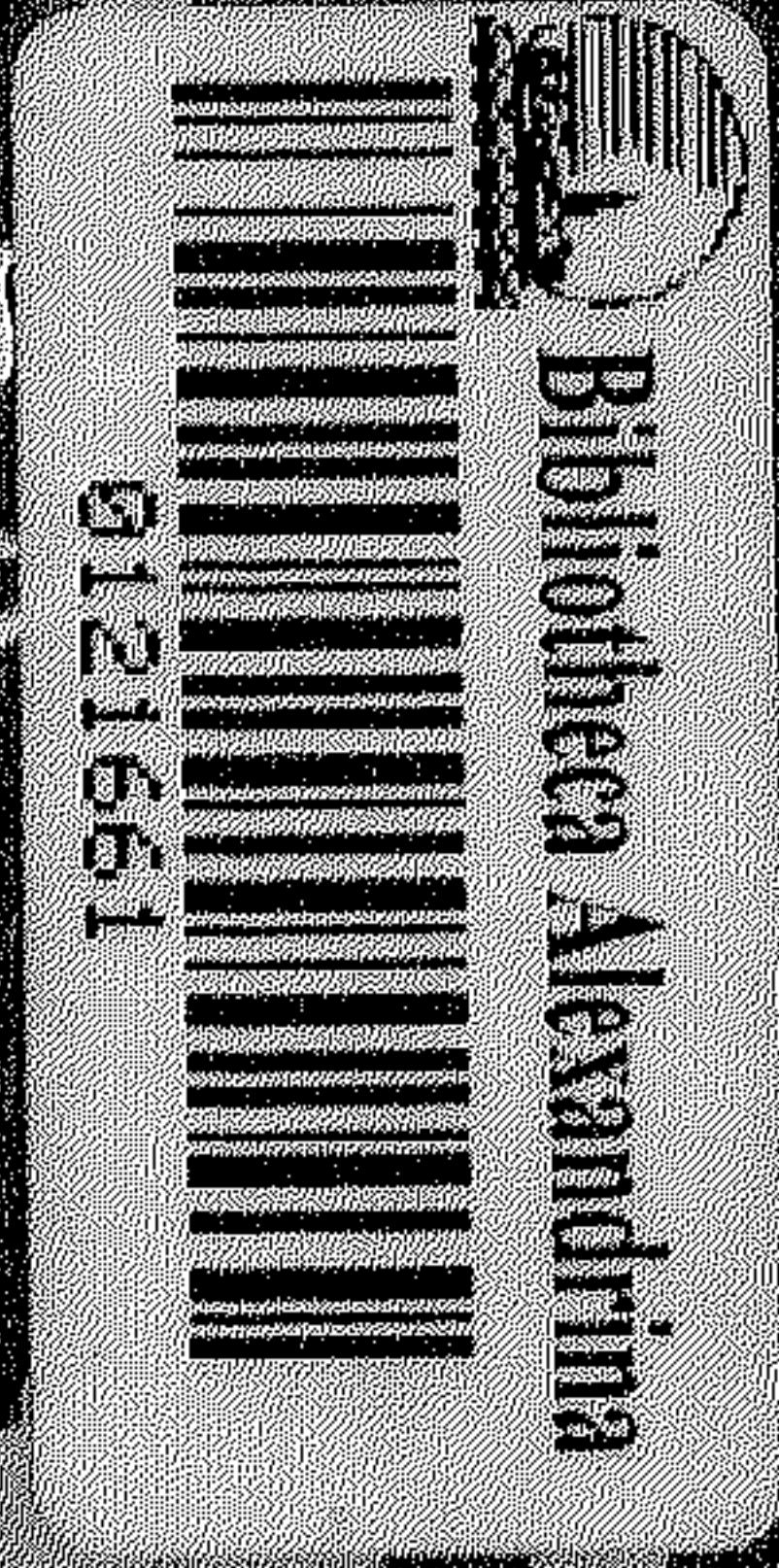


الفكر الواصل

ليف: های روتشلیس
جمعة: لطیف دوس





التفكير الواضح

نشر هذا الكتاب بالاشتراك

مع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

القاهرة — نيويورك

مايو سنة ١٩٦٨

الطبعة الأولى: ١٩٦٨

الطبعة الثانية: ١٩٦٨

الطبعة الثالثة: ١٩٦٨

19789

19448

التفكير الواضح

تأليف

هاني روتشايس

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	160
رقم التسجيل	٩٩٧٩٩

160

مكتبة

ترجمة
لطيفة دوست
م. هاني روتشايس



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

الناشر

دار تحف مصر

للطباعة والنشر

القاهرة

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء
حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of CLEAR THINKING
by Hy Ruchlis. Copyright (©) 1962 by Hyman Ruchlis.
Published by Harper & Row, Publishers, New York, New York.

المشتركون في هذا الكتاب

المؤلف :

هاى روتشليس : نائب رئيس مركز مواد العلوم ومساعد باحث فى «مؤسسة والديمار للبحوث الطبية» وهو معمل لبحوث مرضى السرطان ، كما أنه يشرف على تحرير صحيفة تلك المؤسسة . عمل مدرسا للرياضيات والعلوم بمدارس نيويورك أكثر من عشرين عاما . كما عمل رئيسا لاتحاد العلوم بنيويورك ورئيس رابطة معلمى الفيزيكا . له مؤلفات فى العلوم ترجم بعضها إلى عدة لغات لما لها من فائدة للجمل الناشئ . من مؤلفاته :

«Orbit, and The Wonder of light», «The Wonder of Heat Energy».

المترجم :

لطيف دوس : مفتش أول اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم . تخرج فى مدرسة المعلمين العليا وجامعة اكستر بإنجلترا حيث تخصص فى آداب اللغة الإنجليزية . قام بالتدريس فى مختلف المراحل ، وتقلب فى عدة وظائف فى وزارة التربية والتعليم . ألف كتابا فى طرق تدريس اللغة الإنجليزية عنوانه

Teaching English to Arabic Speaking Students.

قام بتبسيط أمهات القصص الإنجليزية للناشئة مثل « Oliver Twist » و «Great Expectation» لتشارلز ديكنز و «The First Men in the Moon» لـ هـ . جـ . ويلز .

مصمم الغلاف : الدكتور عبد المجيد وافي

1. The first part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

2. The second part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

3. The third part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

4. The fourth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

5. The fifth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

6. The sixth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

7. The seventh part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

8. The eighth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

9. The ninth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

10. The tenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

11. The eleventh part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

12. The twelfth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

13. The thirteenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

14. The fourteenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

15. The fifteenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

16. The sixteenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

17. The seventeenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

18. The eighteenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

19. The nineteenth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

20. The twentieth part of the document is a list of names and addresses of the members of the committee.

محتويات الكتاب

صفحة

الفصل الأول : أهمية التفكير الواضح	١
د الثاني : العلم والخرافة	٩
د الثالث : التحليل المنطقي	٤١
د الرابع : اللغة والتفكير	٦٥
د الخامس : الحقائق الناقصة	٩٣
د السادس : الأخطاء الشائعة في التفكير	١١٥
د السابع : طبيعة الآراء	١٤٥
د الثامن : تشكيل الآراء	١٦٧
د التاسع : الإعلان	١٩٨
الإجابة على المشكلات	٢١٩

الفصل الأول

أهمية التفكير الواضح

يستطيع النمر أن يسبق الإنسان في العدو ، كما يستطيع الأسد أن يقاتل أفضل من الإنسان الأعزل من السلاح ، ويستطيع الطائر أن يطير بمجرد الخفق بجناحه . ولكن الإنسان يمتاز على هذه المخلوقات جميعاً وعلى سائر المخلوقات المعروفة قاطبة بميزة كبرى ؛ تلك هي رقي مخه .

وهو يستطيع بفضل هذا المخ الراقى أن ينظم الأصوات المركبة ويكون منها كلاماً ذا معنى يبلغ به أفكاره إلى غيره من الناس ، كما يستطيع أن يسجل هذه الأفكار بالكتابة والطباعة لينقلها إلى سواه ، وأن يتأمل هذه الأفكار ويعيد تنظيمها بأشكال شتى ليحصل على معلومات جديدة أو ليصل إلى نتائج عن أشياء لا يستطيع أن يراها أو يسمعها أو يلمسها ، وبعبارة أخرى إنه يستطيع أن يعقل . ولقد تمكن الإنسان بفضل قدرته على التفكير ، فضلاً عن قدرته على الكلام ، وعلى استخدام يديه بمهارة ، من أن يخترع السيارات التي تسبق النمر في سرعة عدوها ، والطائرات التي تخلف أسرع الطيور وراءها ، والآلات الرافعة ، والمحارف التي ترفع أضعاف ما يستطيع أى حيوان أن يرفعه .

وبفضل قدرته على التفكير استطاع الإنسان أن يتقن صناعة ألوان جديدة من الطعام ، وتعلم أن يصطنع لنفسه ملابس من ألياف جديدة مبتكرة ، كما توصل بفضل القدرة على التفكير الرياضى والمهارة الهندسية إلى وسائل بناء الجسور الكبارى ، الضخمة ، وناطحات السحاب ، والمصانع والمنازل ، وغيرها من المنشآت التي يستخدمها في مختلف الأغراض ، كما تمكن من أن يستخرج من باطن الأرض ما فيها من حديد وألومنيوم ، ورمصاص ، ونحاس ، وقصدير ، وغيرها من المادان . وتعلم أن يستخدم الوقود بطرق مأمونة لتدفئة المساكن وتسيير السيارات

إن القدرة على التفكير هي التي مكنت الإنسان من أن يخلق حضارتنا الراهنة وأن يتغلب على الأمراض ويطيل فسحة العمر ، كما مكنته من أن يطلق فنه في الفضاء ،

وأن يعكف على التغلب على مشكلات الحياة على السكواكب غير الصالحة للحياة ، فترى العلماء والمهندسين يكرسون وقتهم كله للتغلب على مشكلة الظروف المعقدة التي يتوقع أن يقابلها المسافرون في الفضاء . كذلك ابتكر الإنسان آلات معقدة ليسبر بها أغوار الذرة ويقف على أسرارها ، ثم استخدم هذه الأسرار في ابتكار وسائل جديدة لتوليد الكهرباء ، كما استخدمها في صناعة الأسلحة النووية المدمرة . ويحتاج الإنسان إلى هذه القدرة على التفكير لتحويل دون ما يمكن أن تجلبه هذه الأسلحة من دمار .

هلى أن القدرة على التفكير لازمة للحياة اليومية كذلك ، فالواحد منا تحاصره من كل صوب إعلانات متعددة تدعوه إلى شراء هذا النوع من الصابون ، وأن يدخن ذلك النوع من السجائر ؛ أو يأكل هذا الصنف من الزيت ، ومقدرة الإنسان على التفكير هي التي تحول دون إنفاق المال في غير وجوهه الصحيحة

وعندما يحين موعد الانتخاب لا بد لك من التفكير الواضح لتستطيع أن تزن ما تقوله الصحف ، وما يقوله السياسيون . وعندما تناقش أصدقاءك في أحداث الساعة سيطلب التفكير الواضح دورا هاما في الوصول إلى أحكام معقولة . فالديمقراطية السليمة تحتاج إلى مواطنين على قدر كاف من الوعي بالمسائل السياسية والقدرة على التفكير الواضح .

وهناك الكثير من الأعمال التي يعتبر التفكير الواضح لازماً لها ، فالمهندسون ورجال الأعمال والمعلمون والأطباء والميكانيكيون وسائقو السيارات .. وفي الجملة كل من يعمل ليسكسب قوته — كلهم يحتاجون في أعمالهم إلى القدرة على التفكير . وتحتاج العلوم والرياضيات وغيرها من فروع العلم إلى مستويات عليا من المقدرة على التفكير ، وبمضى الزمن تزداد باستمرار نسبة عدد السكان الذين يؤدون أعمالا تحتاج إلى التفكير المركب .

إننا نعيش في ثورة صناعية من نوع جديد — فهناك الآن أعداد كبيرة من العقول الإلكترونية أو « العقول العملاقة » ، وبعض هذه العقول الآلية تؤدي عشرات الآلاف من العمليات الحسابية والمنطقية في الثانية . ويستطيع بعضها أن يدير المصانع آليا وأن يترجم اللغات ويؤدي أعمالا سهلة مثل مسك الدفاتر وتبويب

المعلومات بسرعة متناهية . إن هذه الثورة الإلكترونية في استخدام المعلومات قد أخذت تغير وجه مجتمعتنا الحاضر ، ولهذا فإن الحاجة ماسة أكثر من أى وقت مضى إلى أناس يستطيعون أن يفكروا بوضوح ، وأن يفهموا هذه الآلات وأن يخططوا لها ما تؤديه من أعمال .

مثال عملي

في كثير من مواقف الحياة اليومية يكون التفكير الواضح هو الحد الفاصل بين النجاح والفشل في تأدية عمل ما ، بل قد يكون هو الفاصل بين الحياة والموت . وإليك مثلاً هذه القصة التي نشرتها إحدى الصحف عن صبي في العاشرة من عمره استطاع أن ينقذ حياة طائر بفضل تفكيره الواضح .

صبي في العاشرة يحل معضلة

طريقة بارعة لإنقاذ طائر من جحر عمقه ٣٠ بوصة

إن كثيراً من المشكلات يمكن التغلب عليها بحلول بسيطة وإليك مثلاً هذا الحل الذي توصل إليه صبي في العاشرة من عمره يدعى « جون إيلتون » لمشكلة إنقاذ فرخ طائر الهزاز . فلقد سقط هذا الطائر في جحر عمقه ثلاثون بوصة في جدار من الاسمنت في جراج يجري بناؤه . ولم يزد اتساع الفتحة على أربع بوصات في بوصة ونصف بوصة ، فأعيت العمال الحيل لإخراجه دون جدوى .

وأخيراً جاء جوني فأحضر دلواً مملوءة بالرمل . وأخذ يصبها ببطء في الجحر ، وكلما زاد امتلاء الجحر بالرمل ارتفع الطائر فيه ، وبعد ساعة من هذا العمل استطاع جوني أن يلتقط الطائر من الجحر بيده ، وهذا أنقذه .

فلنحاول أن نحلل الأفكار التي لا بد أنها ترددت في عقل جوني وهو يفكر في حل للمشكلة . فلعله بدأ يفكر في مختلف الوسائل التي يمكن بها رفع الأشياء . ربما أمكن لإنقاذ الطائر بواسطة خيط أو دوبارة تربط حوله ، ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك ؟ .

لعله فكر في ذلك بعض الوقت ثم عدل عن هذه الفكرة ، لأنه لم يتوصل إلى طريقة لربط الخيط حول الطائر — لاحظ هنا أنه كانت هذه الأفكار قد طرأت لجونى ، فإن تجربتها لم تحدث في الواقع وإنما في الخيال ؛ أى إنه تخيل ما يمكن أن يحدث لو جربها . هذه ناحية أساسية من نواحي التفكير . فنحن نقول لأنفسنا : إذا (حدث كذا وكذا) عندئذ (قد يحدث كيت وكيت) وهكذا نصل إلى الحل في عقولنا دون أن نجرب كل حل ممكن تجربة فعلية . وإنك لترى أن في هذا كسباً كبيراً للوقت . وفي بعض الحالات يتعذر إيجاد الحلول للمشكلات العلمية التى نواجهها بغير هذه الوسيلة العجيبة لتوفير الوقت .

ولنعد ثانية إلى جونى . لعله بعد أن استبعد فكرة الخيط كحل للمشكلة فكر فى أن يستخدم مادة لزجة في نهاية قصبة . ويمكن أن تنجح مثل هذه الوسيلة لو كان ما نريد رفعه هو قطعة نقود مثلاً . ولكن جونى تخيل في الحال ما في هذه الطريقة من صعوبات — فأية مادة لزجة يمكن أن تستخدم ؟ ترى أيؤذى الطائر الصغير أن ندفع إليه بقصبة ؟ ترى أيجاوز الطائر أن يخلص نفسه منها ؟ إن هذه الطريقة وإن تكن ليست مستبعدة تماماً تنطوى على عدة مشكلات ، ولهذا فمن الخير أن نفكر في طريقة أخرى قد تكون أيسر في التنفيذ .

لاحظ هنا كيف يبحث العقل عن الحقائق المختلفة المتصلة بالمشكلة . وكلما استدعيت حقيقة ما طبقت على المشكلة التى أمامنا باستخدام أسلوب . . . إذا . . . عندئذ . . . ، وتجربته في العقل .

إن هذا الطراز من البحث العقلى هو من أسرار نجاح الناس ذوى القدرة على الخلق والإبداع كالفنانين والكتاب والعلماء والرياضيين والمخترعين ورجال الأعمال للتاجرين ورجال السياسة . ومن الخير لك أن تنمى في عقلك هذا الطراز من البحث المنظم كطريقة لتنمية قدرتك على حل المعضلات .

ولنعد الآن إلى جونى ومعضلاته الخاصة . ربما ومضت في ذهنه فكرة استخدام مغناطيس مربوط بخيط ، ولكن لعله أدرك من خبراته السابقة بالمغناطيس أن مواد بذاتها هى التى يجذبها المغناطيس وبصفة خاصة الحديد والصلب — ولعله قد

راودته فكرة أن يضع شيئاً حديدياً تحت الطائر أو حوله، ولكنه سرعان ما أدرك أن هناك مشكلات أخرى لابد من حلها، وهكذا انتقل إلى التفكير في طريقة أخرى .

العله يستطيع أن يرفع الطائر بأن يملأ الحجر بالماء؟ ولكن هل الحجر مقفل من أسفله بحيث يحتفظ بالماء؟ ثم أليس الطائر معرضاً للغرق بهذه الطريقة؟

ولم نستخدم الماء؟ ربما كان استخدام الرمل أجدي وأخذ جوني يتصور الرمل يدخل في الحجر ويملاؤه، وأخذ يتصور بعقله أن أرجل الطائر ستغطى بالرمل بالتدريج والطائر يرفع قدميه ليخلصهما من الرمل، وهكذا يرفع نفسه شيئاً فشيئاً . كما استطاع أن يتصور أنه إذا صب كمية من الرمل أكبر مما يجب دفعة واحدة فقد تظمر الطائر وتدفنه حياً — ولهذا فقد كان حريصاً على أن يصب الرمل ببطء شديد ليتيح فرصة الخلاص منها .

النمط الأساسي في حل المشكلات

إن ما فعله جوني يمكن أن يعتبر مثالا نحتديه في حل مشكلات أخرى . فلنلاحظ الخطوات الرئيسية لهذه العملية :

- ١ — إن حل المشكلة مبنى على خبرات ماضية ومعلومات يحتويها العقل .
- ٢ — إن الحقائق المتصلة بالمشكلة تستدعى بواسطة عملية بحث عقلي . فنحن نستطيع بطريقة لا تزال غير مفهومة أن نوجه عقولنا إلى البحث عن تلك الحقائق المتصلة بالموقف، وأن نترك آلاف الحقائق الأخرى التي لا صلة لها بالمشكلة .
- ٣ — نستطيع بعد ذلك أن نتلاعب بما في عقولنا من حقائق للوصول إلى مختلف الحلول الممكنة — هذه العملية — عملية تجميع الحقائق التي نعرفها من قبل لتطبيقها على مواقف جديدة لم نواجهها من قبل — تستلزم ما نسميه بالتفكير .
- ٤ — نستطيع عن طريق التفكير أن نجري سلسلة من التجارب في عقولنا لنجرب فيها نتائج التفكير، ونرى ماذا تكون النتائج .

٥ — إن مثل هذه السلسلة من العمليات الفكرية التي تؤدي فيها المشكلة إلى مشكلة أخرى تنتهي آخر الأمر بالوصول إلى استنتاج . فقد نستنتج أن طريقة ما ستنتج دون شك ، أو أن طريقة ثانية لن تنجح بتاتاً ، أو أن طريقة ثالثة ممكن أن تنجح ولكنها تحتاج إلى مزيد من التفكير .

٦ — وأخيراً نصدر أحكامنا على الطرق المختلفة لحل المشكلة ونختار طريقة نعتقد أنها خير الطرق في هذه الظروف .

٧ — بعض المشكلات هي مشكلات عقلية بحتة ومن أمثلة ذلك المشكلات الرياضية ، وهي عادة تنتهي في العقل دون الحاجة إلى عمل شيء ما . ومن هذا القبيل كذلك معظم أحكامنا في الشؤون السياسية وأحكامنا التي نصدرها على الناس وإن يكن من الممكن في هذه الحالات أن يأتي الفعل فيما بعد .

ولكن كثيراً من المشكلات تنطوي على مواقف خارج عقولنا - مواقف تستدعي أن نجرب حلولنا - وفي بعض الأحيان ، كما هي الحال في قصة جوني والطائر ، لا بد من تطبيق الحل سريعاً وإلا لم تعدله الفائدة المرجوة . وفي أحيان أخرى لا يكون العمل المباشر لازماً في الحال ولكنه يكون ضرورياً في المستقبل القريب . ومن أمثلة ذلك مشكلة تنطوي على طريقة لإنشاء مبنى أو خير طريق للوصول إلى مكان للعمل ، أو أسهل طريقة لنقل شيء ثقيل .

في مثل هذه الحالات لا بد من تطبيق الحل والتحقق من صحته ، وإلا فإن ما أصدرنا من أحكام قد يكون غير صحيح ، وقد يساء تطبيقه في وقت آخر . وما دامت الأحكام تنقل إلى الآخرين لعدة أجيال تالية فمن المهم أن نتحقق من صحتها بأسرع ما يمكن .

وفي حالة جوني فإنه يكون من العبث أن ينهي سلسلة تفكيره قبل أن يجرب الحل الذي ينتمي إليه . وقد كانت لتفكيره قيمة عملية ، لأن الحل ثبتت صلاحيته عندما جرب فعلاً .

والآن — بفضل الكلمة المطبوعة نجد أن هذا الحل يصل إلى آلاف الناس

الذين قد يستطيعون تطبيقه لحل مشكلة مشابهة بطريقة أسرع . فقد يؤدي في المرة القادمة إلى إنقاذ طفل وليس مجرد طائر .

وهكذا تتجمع لدينا مجموعة من الحقائق ويصبح في إمكان الناس أن يحلوا مشكلات أكثر بكثير مما كانوا يستطيعون لو اعتمدوا على تفكيرهم فقط .

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب إن يمكنك من حل كل مشكلاتك ، وإذا نجح في أن يشهد ذكرك ولو قليلا فإنه يكون قد أدى غرضه ، وربما أفاد كمقدمة لدراسة أعمق لطرائق التفكير والتعليل ، وبذلك يؤثر تأثيرا كبيرا في قدرتك على حل أنواع متعددة من مشكلات الحياة .

وفي الفصول التالية سنعالج موضوع تحسين القدرة على التعليل بأن نفحص أولا بعض الأساليب القديمة في التفكير — تلك الأساليب التي نعتقد الآن أنها غير صالحة . ونلاحظ بعض أثارها ممتخلفة لهذه الطرائق في التفكير لاتزال ذات جذور عميقة في مجتمعاتنا . ثم سنبحث في طبيعة الحقائق التي نحتاج إليها كأساس لتفكيرنا — كيف نعرف الحقيقة من الخرافة ؟ كيف يستطيع العلم الحديث أن يعطينا في ذلك .

وبعد ذلك سنفحص عمالية التفكير ، وسنرى أن هناك طريقتين رئيسيتين للتفكير : الاستنباط والاستقراء — وسنلاحظ الدور الأساسي الذي يلعبانه في التفكير الواضح .

كما سندرس الدور الذي تقوم به اللغة ، وسنرى بعض المشكلات التي تنجم عن استخدام اللغة استخداما خاطئا في عملية التفكير — وهذه المشكلة أساسية في دراسة علم المعاني .

وبعد ذلك سندرس مشكلة تجنب الكثير من أساليب التفكير الخاطيء التي

تؤدي بالناس إلى الوصول إلى نتائج غير صحيحة ، ثم نحلل الدور الذي تقوم به الحقائق الناقصة وأثرها في تكوين الآراء . وسنرى كيف يمكن أن نتجنب سوء استخدام الآراء باتخاذ المواقف السليمة لإزاءها . وسنوجه بعض العناية إلى الطرق التي نكون بها آراءنا عن طريق غيرنا من الناس وعن طريق برامج التلفزيون والراديو والصحف والمجلات . وأخيراً سنطبق ما تعلمته في هذا الكتاب في تحليل العديد من الإعلانات التي تظهر على شاشة التلفزيون وفي الصحف والمجلات .

والكتاب مليء بالمشكلات التي يمكنك عن طريقها أن ترهف عقلك ، وتستطيع أن تطح طرائقك في التفكير إلى حد كبير إذا ثابرت على حل هذه المشكلات فليست هناك مهارة يمكن تنميتها بغير الممارسة ، والتفكير الواضح لا يشذ عن هذه القاعدة إن المشكلات التي ذيلت بها فصول هذا الكتاب يمكن أن تعينك على البدء في تحسين قدرتك على التفكير تحسيناً ملموساً ، فاني أنصحك ألا تمر بها من الكرام . وقد زود الكتاب في آخره بإجابات مفصلة لكل مشكلة معروضة ، فلا تتبع سبيل الكسالى بأن تبحث عن الحل بمجرد قراءة المشكلة ، بل فكر في حل المشكلة بنفسك ، وعند ذلك فقط ، وليس قبل ذلك ، يمكنك أن تنظر في الإجابة . وهكذا تحصل على بعض الممارسة التي تحتاج إليها لكي تتعلم أن تفكر تفكيراً واضحاً .

الفصل الثاني

العلم والخرافة

في عام ٤٨٠ ق م . أرسل د اجزر كريس ، ملك الفرس أسطولاً مكوناً من ألف سفينة لمهاجمة الإغريق قرب أثينا ، فاجتمع ممثلون للمدن اليونانية ليجشوا فيما يجب عليهم أن يفعلوه لإزاء هذا الهجوم . وكان من رأى البعض أن يستسلموا ، ومن رأى البعض الآخر أنه يجب عليهم أن يقاتلوه حتى وإن تمكن فرصة الفوز ضئيلة ولكن الراغبين في القتال لم يستطيعوا أن يتفقوا فيما بينهم على خطة العمل .

ولهذا السبب ، وطبقا لتقاليد ذلك العصر ، استشيرت كاهنة الوحي في معبد دلفي ، فأعدت الكاهنة نفسها لأداء مهمتها بأن شربت ماء من نبع مقدس ، ومضغت أوراق شجر الغار ، وهزت غصنها من اغصان الغار ، وبعد أن راحت في غيوبة عرضت عليها المشكلة . فكان جوابها — والمفروض هو ما أشار به الإله بولو — إن على الناس أن يعتمدوا على (الجدران الخشبية)

ولكن كاهنة الوحي لم تقل شيئاً عن المكان الذي تقام فيه هذه الجدران الخشبية ، فظن بعض الناس أنه يجب عليهم أن يقيموا سياجا من القوائم الخشبية المدببة فوق القلعة القديمة بالمدينة . وأما (ثمستوكليس) قائد القوات المسلحة ، الذي كان قد وضع خطة أساسها معركة بحرية ، فقد أصر على تفسير خاص لهذه (الجدران الخشبية) ، إذ اعتبر أنها تشير إلى المياكل الخشبية للسفن .

واستطاع هذا القائد باستخدام أسطول من ثلثمائة سفينة صغيرة في (البواغيز) الضيقة بين جزيرة سلاميس وشاطئ أتيكا أن يناور الأسطول الفارسي الذي كان يتكون من ألف سفينة كبيرة ويهزمه .

وما دامت النصيحة التي قدمها الإله أبولو قد ثبتت جدواها فلا بد أن إيمان الناس بهذه الطريقة لحل المشكلات قد ازداد ولكننا نعجب بالقائد ثمستوكليس الذي استطاع أن يحور الكلام الغامض الذي أدلى به الوحي ليلائم ما وضع من خطط .

يوضح لنا هذا الحادث إحدى طرائف التفكير المألوفة لدى الشعوب القديمة ، فلم يكن الإنسان يعرف إلا القليل عن قوى الطبيعة التي تؤثر فيه . كانت العواصف توردون سبب ظاهراً فتمدم الأكوخ وتبرق السماء على حين غرق فتعصف بالأشجار وتمدم المباني بقوة يصعب تصورها . ويحدث القحط في إحدى السنين فيؤدى بالمحصولات ، ثم ينهمر الغيث في سنة أخرى فيسبب الوفرة والنماء .

وإذ لم يفهم الإنسان القديم معنى لهذه الأحداث المفاجئة أخذ يفكر في أسبابها فتوصل بالتدريج وفي بطن شديد إلى تفسير هذه الظواهر ، وأصبح يعتقد أن هناك آلهة متعددة تتحكم في أحداث الطبيعة وأن هذه الآلهة كالإنسان تماماً تحب وتكره . وهكذا أصبح معنى البرق مفهوماً عندما فسرته الإنسان القديم بأنه علامة غضب الإله (جوبيتر) . فإذا سقط إنسان وكسرت ساقه فربما اعتبر الحادث نتيجة لغضب إله أو روح ما وكرهها لأفعال ذلك الإنسان ، وقد يكون السبب في مرض ما تلك الساحرة العجوز التي تقطن منزلاً متداعياً في أحد شوارع البلدة .

الخرافات في عصرنا

لا يزال بعض الناس في عصرنا (يقرع الخشب) (أو يمسك الخشب في تعبيرنا العامي) . ولعلمهم لا يدركون الأصل في هذا التعبير . فهم في الواقع يحارلون — طبقاً للخرافة القديمة — أن يسترضوا (جنية الغابة) التي أصبحت حبيسة قطعة من الأثاث عندما قطعت الشجرة من أجل الانتفاع بخشبها . وهناك حتى الآن من يقفل راجعاً إلى بيته إذا عبرت طريقه قطرة سوداء . مثل هذا الشخص يؤمن بالنظرية القديمة التي تقول بأن القطرة السوداء قد تكون ساحرة شريرة خرجت لتسكيد شخص ما .

وهناك الكثيرون في أيامنا هذه يؤمنون بهذه الخرافات — وفي المناطق البدائية لا يزال الناس يتفوهون بألفاظ سحرية لشفاء الأمراض . وفي بعض مناطق الولايات المتحدة يكيد الناس لأعدائهم باتباع الأساليب البدائية ، إكأن يخزوا بالدبابيس صوراً أو رسوماً معينة حتى يوقعوا بهم الأذى . ولا يزال كثير من الناس يقصدون نساء العنجر ليكشفن لهم عن طوابعهم . وبعض بناء ناطحات السحاب يسقطون

الرقم ١٣ من حسابهم عندما يرقون طوابق عماراتهم، لأن الكثيرين يرفضون أن يعملوا في المكنب التي تقع في الدور الثالث عشر من المبنى . ولا يزال هناك أناس يخشون إذا ما كسروا مرآة أن تحمل بهم « سنوات النحس السبع » .

الطوالع

تخصص الكثير من مصنف عصرنا الراهن حيزاً كبيراً من صفحاتها لأثر من آثار الماضي العتيق ، ذلك هو الطوالع أو البخت . والطوالع تذبذبات عن الناس والأحداث ، والمفروض فيها أنها مبنية على موافع الشمس والكواكب في السماء . ولقد كان توصل الإنسان إلى هذه النظرية في تفسير أسباب الأحداث دليلاً على تقدم كبير في المعرفة الإنسانية في إحدى حقبة التاريخ . فقد كان الوصول إليها نتيجة لبحث الإنسان الدائب عن تفسير معقول للأحداث فإذا كان هناك نجم معين يظهر في السماء عند الفجر عندما يوشك الربيع أن يبدأ . ويتكرر ذلك عاماً بعد عام ، أليس هذا دليلاً معقولاً على أن ظهور ذلك النجم هو « السبب » في حلول الربيع ؟ أليس موقع الشمس من السماء هو الذي يتحكم في فصول السنة . وبذلك يقرر هل الحياة تتجدد بعد برد الشتاء وقسوته أم لا ؟ وهكذا أخذ الناس ينتظرون من الشمس والنجوم والكواكب دلائل على ما تفكر فيه الآلهة وتدبر له من الأحداث .

ولقد كرس الكثيرون من نوابغ الرجال حياتهم لدراسة الحركات الغامضة الكواكب والنجوم في السماء وما تدل عليه في شئون البشر . وحققوا نجاحاً في بعض نواح هامة فاستطاع قدماء المصريين أن يتنبأوا كل عام بالأيام التي يغمر فيها نهر النيل شواطئيه . ولقد كان هذا نجاحاً كبير الشأن في تلك الأيام . وأخذ الملوك الأفدمون يتطلعون إلى النجوم للحصول على مزيد من المعلومات عن الأحداث على الأرض

وهكذا أصبح المنجمون (وهم أولئك الناس الذين كانوا يدرسون الأجرام السماوية وتحركاتها لاستطلاع الغيب) ناصحين ذوي شأن الملوك والقبلاء الذين كانوا يستشيرونهم إذا ما أرادوا أن يشنوا حرباً أو يجبوا ضريبة مكرومة . بل

حتى إذا ما أرادوا أن يتزوجوا . وعند مولد أمير أو أميرة كانوا يستدعون المنجم ليدرس مواقع السكواكب ويتنبأ بمستقبل الوليد . ويشير إلى الأخطار التي يلزم تجنبها لتجنب السكوارث

ولقد أصبح ما وقف عليه المنجمون من معلومات عن الأجرام السماوية أساساً لعلم الفلك الحديث فيما بعد، ويمكننا أن ندرك الصلة الوثيقة الواضحة بين ملاحظات هؤلاء المنجمين وبين تزايد المعرفة الإنسانية حتى توصل الإنسان إلى اختراع الأقمار الصناعية الحديثة وسفن الفضاء .

ولقد كان المنتظر بعد ذلك أن يترك التنجيم في زوايا النسيان . ولكن كثيراً من الصحف اليومية تنشر كل يوم ما تسميه طوابع أو نصائح ترشد الناس كيف يسلكون . وهي تقديرات « فلكية » مبنية على مواضع الشمس والسكواكب وقت ميلاد الشخص . ومن المفيد جداً أن ندرس أحد هذه الطوابع في شيء من التفصيل لنقف على السبب الذي حدا بالكثيرين من الناس أن يؤمنوا بالتنجيم . وإليك طالعاً يعتبر نموذجاً لما قد تجده في أية صحيفة يومية :

طالعك اليوم

كن حريصاً اليوم في علاقاتك الاجتماعية . فإن هناك ما يغري بتجاهل القواعد والعادات . ويمكن أن تقع عدة مقابلات عاطفية (رومانتيكية) وفرص ملائمة لجذب انتباه الجنس الآخر . ويمكن لأولئك المولودين في برج الجدى — وبصفة خاصة أولئك الذين ولدوا قرب نهاية البرج — أن يتوقعوا أن يكونوا ذوى شعبية كبيرة . وأما أولئك المولودون في برج الحوت فلهذه فرصة لعرض آرائهم على بساط البحث في المساء حيث الوقت ملائم جداً للجميع لحضور الاجتماعات وقراءة الكتب والقيام بالأعمال العقلية .

وتشير دراسة منطقة الأبراج إلى أحداث أكثر بهجة . نحاول أن تحقق مصالحك الشخصية . والمولودين في برج القوس فرص عديدة لتحسين مركزهم الاجتماعي . وأما أولئك المولودون في

برج الجوزاء فإنهم يستطيعون أن يفيدوا من الآخرين إذا تعاونوا وبصفة خاصة ، مع أزواجهم أو زوجاتهم أو شركائهم في العمل إن الغد يبشر بالخير لمن يؤدون أعمالاً يدوية . وهو يوم ملائم كذلك للحصول على الحقائق وتنفيذ برامج العمل الموضوعة .

إن مثل هذه الكلمات المولودون في برج الجدى أو الحوت أو القوس أو الجوزاء ، تشير إلى أولئك الناس الذين ولدوا عندما كانت مجموعات معينة من النجوم في أوضاع في السماء تمكنها — كما كان المعتقد — من التأثير في حياتهم . فهذه الأسماء مأخوذة من أسماء الاثني عشر برجاً التي تكون مجموعة الأبراج الفلكية وهي المنطقة من السماء التي تظهر الشمس والقمر والكواكب كأنها تتحرك خلالها ليلة في إثر ليلة في حين أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس .

والأبراج الاثنا عشر هي : الجدى — القوس — العقرب — الدلو — الحوت — الحمل — الثور — الجوزاء — السرطان — الأسد — العذراء — الميزان .

فالنتهى إلى برج الجدى مثلاً هو ذلك الذى ولد في وقت كان فيه برج الجدى في موضع يمكنه من أن يكون ذا أثر كبير في حياته .

إن القراءة الفاحصة للنموذج السابق الذكر توضح لنا أنه لا فرق في كثير أو قليل بين أن يولد الإنسان في برج الجدى أو برج الدلو . فكل قارئ يجد في الطالع نصيحة طبية ، وكل ما في الطالع مكتوب بصفة عامة بحيث يمكن أن ينطبق على أى إنسان . وليس هناك من سبيل إلى إثبات ما إذا كانت النصيحة تنطبق على أغلب الناس أو على بعضهم فقط أو لا تنطبق على أحد على الإطلاق .

تحليل الطالع

تأمل الجزء الأول من الجملة الأولى : « كن حريصاً اليوم في علاقاتك الاجتماعية ، كن حريصاً عندما تقابل الناس » . لاشك في أن هذه نصيحة جيدة في كل الأوقات ، ولكن الطالع لا يبين إلى أى حد يجب أن تكون حريصاً ولا ما هي الطرق التي يجب عليك أن تتبعها لكي تكون حريصاً ، والعبارة في الواقع تترك للقارئ أن يفسرها بنفسه ، وعلى ذلك فهي لا تؤدي أى خدمة عملية .

ثم تأمل الجزء الثانى من الجملة : د . فان هناك ما يغرى بتجاهل القواعد والعادات ، . فأية قواعد وعادات يعنى صاحب الطالع ؟ وهل المطلوب أن نقاوم الإغراء أو أن نستسلم له ؟ إن الطالع لا يدلنا على ما يجب أن نفعل .

فلنفرض أن أحد قراء هذا الطالع كان واقفا ينتظر دوره فى الصف . فحاول أن يسبق آخر فصيفه هذا الآخر لتجاوزه حقه — إن مثل هذا الشخص يستطيع أن يقول إن الطالع حذره من تجاهل القواعد والعادات . وإذا طرد شخص آخر من عمله لأنه رد ردا سليطا على رئيسه فقد يندم إذ أنه لم يعمل بنصيحة الطالع الذى حذره من مخالفة القواعد .

فإذا لم يحدث شئ من هذا القبيل استطاع الشخص أن يقول إنه سعيد إذ عمل بنصيحة الطالع ولم يخالف أية قاعدة عند مقابلته للناس فى ذلك اليوم . وهكذا فهما يحدث فليس من السهل أن تثبت أن الطالع مخطئ أو مصيب فى تنبؤاته . ولنتأمل عبارة أخرى من عبارات الطالع : « ويمكن أن تقع عدة مقابلات عاطفية وفرص ملائمة لجذب انتباه الجنس الآخر » .

لاحظ استعمال كلمة : « يمكن » ، فإن كاتب الطالع يحرص دائماً على ألا يقول شيئاً محدداً ؛ فهو لا يقول مثلاً إن المولودين فى برج الجدى سيقابلون اليوم خلافا عاطفين . لأن مثل هذه النبوءة يستطيع القارىء بسهولة أن يستوئق من صحتهما أو كذبهما . فإذا صاغ المنجم طواله فى عبارات غامضة استطاع القارىء أن يفسرها كما يشاء ، على ذلك ، فالطالع ينطبق على جميع الناس على السواء . فان النصيحة الخاصة بالخلان العاطفين يمكن أن تنطبق على أى شخص مشبوب العاطفة مولع بالخيال فى أى يوم من أيام السنة فى أى بقعة على الأرض بصرف النظر عن مواقع الشمس والكواكب فى السماء .

ثم تأمل هذه العبارة : « إن أمام المولودين فى برج الحوت فرصة لعرض آرائهم على بساط البحث فى المساء حينما يكون الوقت ملائماً جداً للجميع لحضور الاجتماعات وقراءة الكتب والقيام بالأعمال العقلية » .

هذه العبارة قابلة للتطبيق على أى إنسان وهي حقيقة لا شك فيها ويمكن أن تصدق لو استبدلنا عبارة « الإنجليز » أو « أهالى نيوجيرسى » بعبارة « المولودين فى برج الخوت » .

لماذا إذن يقرأ الكثيرون من الناس هذه الطوابع ملتصقين فيها النصيحة والإرشاد؟ إن الطالع كثيراً ما يشير اهتمامنا لأنه يتنبأ للإنسان بمستقبله ، فهو نوع من المخدر الخفيف الذى يمس فى أذنك . « لقد قررت الأقدار مصيرك فلا حاجة بك إلى بذل جهد كبير » . وهكذا يعتبر الطالع منذاً نفسياً لأولئك الناس الذين لا تسير حياتهم على خير ما يبتغون . فهم يستطيعون أن يفسروا ما تقرله الطوابع بطرق مختلفة ، وأن يجدوا فيها ما « يودون » أن يجدوه .

وكما رأينا من قبل ، هناك كثيرون من الناس يميلون إلى الاعتقاد فى الطوابع ، لأنه مهما يكن من أمر فهى تتحقق . فالناس سريعو التأثر من السهل أن يقتنعوا كنتيجة لخبراتهم بصحة الطالع وبأنه يعينهم فى شئون حياتهم . ولا شك أن أى إنسان يتبع النصائح الجيدة سيستفيد بصرف النظر عن مواقع الكواكب فى السماء .

وكثيراً ما تكون النصيحة من ذلك النوع الذى يشير إلى أن أحداثاً محتملة الوقوع ستحدث فعلاً ، ولكنها تترك للشخص نفسه أن يتخيل ما سيحدث . فلو ذهبت إحدى الفتيات إلى قارئة البخت - فانها تقول لها « ستقابلين شاباً غنياً وسيأعزب » فمن المحتمل أن تقابل الفتاة المسكينة رجلاً مرموقين فى أوقات مختلفة ربما كل بضعة أشهر أو نحو ذلك . ولكن ما يحدث عندما تحين هذه الفرص فهذا شئ آخر . المهم أنه يعزى إلى الفجرية قارئة البخت الفضل فى أنها تنبأت نبوءة صحيحة .

لا بد من التثبت من الحقائق

لقد خصصنا بعض الوقت للطوابع ، لأنها وإن تكن من بقايا الأساليب العتيقة فى التفكير ، إلا أنها لا تزال تلعب دوراً هاماً فى حياة أناس كثيرين - والآن فلنتأمل بضعة أمثلة على الطرق الحديثة فى التفكير .

منذ عشرات السنين كانت بعض المجلات العلمية الشعبية وأعمدة «صدق أو لا تصدق» في الصحف تتحدث عن نوع من ذباب الخيل كان المعتقد أنه أسرع الكائنات الحية، فقد قيل إنه يطير بسرعة سبعمائة ميل في الساعة . وكانت تصاحب هذه المقالات جداول ذات مظهر علمي تقارن سرعة ذبابة الخيل بسرعة الطائرة وسرعة أسرع الطيور . وفي ذلك الوقت كانت أسرع الطائرات تعتبر بطيئة جداً إذا قورنت بذبابة الخيل . وأخذ المعلنون الذين قرأوا هذه المقالات ينقلون هذه «الحقيقة» إلى تلاميذهم . كما أخذ كتاب المقالات والكتب العلمية يدرجون هذه «الحقيقة» في كتاباتهم .

ولكن حدث ذات يوم أن عالماً مشهوراً هو الدكتور «أرفنج لانجموير» قرأ عن هذه «الحقيقة» فتعجب لها وأخذ يفحص الأمر . وبدأ بأن يبحث حتى عثر على مصدر الخبر . فأنضح أن أحد علماء التاريخ الطبيعي قد لاحظ ذبابة الخيل ووجد أنه يبلغ من سرعة طيرانها أنها تظهر كمجرد بقعة سمراء اللون . وقد قدر سرعتها على هذا الأساس بسبعمائة ميل في الساعة . وهذا كل ما هنالك من أدلة . ولقد أخذ الناس هذا القول مأخذ الصدق لأنه صدر عن «مصدر علمي» .

ولكن لانجموير لم يقتنع بأن يبين أن الأدلة على صحة الخبر مشكوك فيها ، بل أخذ يجري بعض العمليات الحسابية والتجارب . ولا شك أنه كان أجدى من ذلك لو قام بدراسة هذه الذبابة في بيئتها الطبيعية . ولكن هذا لم يكن ميسوراً للانجموير . فأخذ يتساءل : ما مقدار القوة اللازمة لأجنحة هذه الذبابة لتطير بهذه السرعة المزعومة ؟ لقد تمكن لانجموير — باستخدام المبادئ العلمية الأساسية والرياضيات — من أن يحسب أن الذبابة لا بد لها من قوة أربعة رجال ، وأنه لكي تطير ثمانية واحدة بسرعة سبعمائة ميل في الساعة لا بد لها أن تتناول من الطعام كمية تعادل وزنها — ولا شك أن هذا محال .

وقرر لانجموير آخر الأمر أن يبحث في مدى صحة ما قيل من أن تلك الذبابة تظهر عند الطيران كبقعة سمراء اللون في الهواء . ففي أية سرعة يمكن أن يحدث هذا ؟ لقد صنع نموذجاً للذبابة من نفس حجمها ولونها ودفع به إلى الطيران على خيط

طويل، وعندما وصل النموذج إلى سرعة ٢٥ ميلا في الساعة بدأ النموذج يظهر كبقعة سماء . وعندما وصل إلى سرعة ستين ميلا في الساعة اختفى تماما عن الأنظار .

ونتيجة لهذه التجارب والعمليات الحسابية فضلا عن فحص الأدلة الأصلية توصل لانجموير إلى أن يقرر أن سرعة ذبابة الخيل لا تزيد في الغالب على ستين ميلا في الساعة . وشتان ما بين هذه السرعة وبين السبعائة ميل المزعومة .

لاحظ هنا الفرق في الأسلوب بين المنجم وبين عالم كوانجوير . فهو (أولا) لم يقبل الادعاء الأصلي على أساس أنه نشر في مجلة محترمة أو كتاب . أو على أساس أن مصدره عالم آخر . وهو (ثانيا) قد رجع إلى المصدر الأصلي وحاول أن يزن الأدلة المقدمة فأتضح أنها أدلة واهية ، و (ثالثا) سأل نفسه بضعة أسئلة متصلة بالموقف ، ثم (رابعا) بحث هذه الأسئلة بطريق التحليل واستطاع كنتيجة لتعليمه أن يقوم ببعض العمليات الحسابية التي بينت أن سرعة سبعائة ميل في الساعة تتعارض مع ما نعرفه من خبرائنا السابقة ، ولذلك فإنه من غير المحتمل أن تكون صحيحة . و (خامسا) قام بإجراء تجارب دقيقة ليحصل على مزيد من الحقائق عن الموضوع . وهكذا توصل إلى حساب السرعة المحتملة لذبابة الخيل .

وعندما نقارن الأدلة التي حصل عليها العالم من هذا البحث المتشعب بالدليل الأصلي الواهي ندرك بلا مرأ أن سرعة سبعائة ميل في الساعة لا شك مبالغ فيها مبالغة كبيرة .

إن المنجمين وأولئك الذين يؤمنون بالطوائع ، لا يجمعون الحقائق بهذه الطريقة العلمية الحديثة وهم لا يضعون الأسئلة ، ولا يقومون بالتجارب للتحقق من صحة نظرياتهم . إنهم لا يشكون في صحة عملهم . وهم لا يجمعون الإحصاءات الدقيقة عما إذا كان المولودين في برج الجدى يحتمل أن يلقوا حظا سعيدا يوم ٢٤ من سبتمبر . وبعبارة أخرى إنهم يملكون قدرا من المعلومات لم يفحص ولم تثبت صحته بحيث يمكن استخدامه في التنبؤ الدقيق .

على أن هذا لا يعنى أنه لا تقع أخطاء مشابهة من أصحاب المهن العلمية .
فلنأخذ بعض الأمثلة من ميدان الطب .

منذ أمد غير بعيد كان الأطباء يشيرون على مرضاهم بأن يلزموا الفراش أسبوعاً أو أكثر بعد إجراء العمليات الجراحية الخطيرة ، فقد كان المظنون أنه من الخطر أن يغادر المريض فراشه قبل مضي هذه المدة ، وخيل إلى الناس أن هذه نصيحة منطقية جيدة . ولكن خلاف الحرب العالمية الثانية كان لابد من نقل الجرحى في الخطوط الامامية سريعاً بعد إجراء العمليات الجراحية لهم ، وكان لابد للبعض منهم من أن يسير على قدميه ، وقد وجد بعض الأطباء في ذلك فائدة لمرضاهم ، وأن هذه الطريقة تعجل بشفائهم ، فقد قل حدوث « الجلطة الدموية الداخلية » التي تسبب الموت في عدد من الحالات . ذلك أن الحركة تذيب الدورة الدموية ، وهكذا تعجل بالشفاء .

وكان أولئك الناس الذين تتجمد أطرافهم في البرد القارس ينصحون بالآلة يستخدموا الماء الدافئ لإعادتها إلى الحركة ، بل كان يشار عليهم بأن يداكروا الأجزاء المتجمدة بالثلج لتدفئتها بالتدريج ، وكان المعتقد أنه من الخطر تدفئة أحد الأطراف المتجمدة بسرعة أكثر من اللازم . على أن الواقع — كما حدث للجنود الذين كانوا في المنطقة المتجمدة خلال الحرب العالمية الثانية — أن الشفاء يكون أسرع إذا استخدم الماء الدافئ لتدفئة العضو المصاب .

وكذلك كان المعتقد منذ زمن قريب أنه من الخطأ معالجة الحروق المتوسطة بتبريد الجزء المصاب بالماء ، وكان ينصح في هذه الأحوال بأن يدهن الحرق بالزيت . ولكن التجارب التي أجرت بعد قرون من أساليب العلاج الخاطئة قد أظهرت أن الفكرة البديهية التي تقول بوضع الماء البارد على الحروق المتوسطة فكرة سليمة .

ولا يعنى هذا أن الأفكار البديهية صائبة بالضرورة ، ولكنه يعنى أنه لابد من التحقق من الفكرة وفحصها بالاختبار العلمى قبل أن نعتبرها صحيحة . والمهم هو أن أية معلومات لم تحقق لا يمكن اعتبارها صحيحة . إنها قد تكون صحيحة

وقد لا نكون، ولا نستطيع أن نعرف مدى صحتها قبل أن نقوم بمحاولات جديدة للوقوف على ذلك

الحقائق المتغيرة

تتكون أية مجموعة من حقائق منفصلة نفترض أنها قضايا تصدق على الأشياء أو الأحداث أو العلاقات بينها. ونحن نستعمل كلمة « نفترض » لأنه ليس من السهل أن نقرر ما إذا كانت القضية صحيحة أم لا.

وهناك عدة أنواع من الحقائق، فبعضها مؤكد، وبعضها يحتمل جداً أن يكون صحيحاً، والبعض الآخر يمكن اعتباره محتمل الصحة، ولعلنا ان ندهش إذا ثبت عدم صحته فيما بعد.

تأمل مثلاً القضية التي تقول إن هناك عشرة دايما في الدولار (الدايم = ١٠ من الدولار)، إن كل إنسان يقبل هذه القضية على أنها حقيقة، ويستخدمها في معاملاته اليومية فإذا وجد شخص ما لا يقبل هذه القضية على أنها حقيقة اعتبر مخبولاً، وإذا كانت لديه معتقدات كثيرة مخالفة للمألوف من هذا القبيل فقد يجد نفسه ذات يوم في مستشفى الأمراض العقلية.

إن قبول الحقيقة الخاصة بالعلاقة بين الدايم والدولار (أو إن شئت بين القرش والجنيه) يرجع إلى تعريف الدايم (أو تعريف القرش). لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية هي الهيئة المختصة التي تقرر نظامها النقدي وكيف يكون. فإذا كان موظفو الحكومة يقولون لنا إن قيمة الدايم هي عشر دولار فإن كل إنسان يرغب في أن يتعامل بالدايم والدولار لابد له أن يقبل هذا التعريف ويتعامل في النقد على هذا الأساس. ويمكن بالطبع أن نتصور موقفاً من المواقف تغير فيه حكومة ما نظامها النقدي كما فعلت الحكومة البريطانية من زمن قريب في نقدها المبني على الشان والجنيه. وفي هذه الحالة تحمل مجموعة جديدة من الحقائق محل مجموعة قديمة. وسرعان ما يقبل الناس النظام الجديد ويعتادونه. أو قد تكون الحكومة مزعزة الأساس فيقبل الناس مقابل أوراق نقدهم عملات معدنية أقل

بما يقول به الموظفون المختصون . ولكن في الأغلب الأعم تقرر الحقائق الخاصة بالنقد بواسطة التعاريف .

وكذلك لكل مهنة مجموعة من المصطلحات الجديدة التي تكون الحقائق الأساسية التي تعمل تلك المهنة في إطارها ، فمثلا كان العلماء في الماضي يبنون نظام الأوزان للذرات المختلفة على أساس أن وزن ذرة الأكسجين يساوي ١٦ . وعلى هذا الأساس حسبت الأوزان الذرية للمواد الأخرى ولكنهم قوروا أخيراً أن يستبدلوا بهذا النظام نظاماً آخر مبنيًا على نوع من ذرات الكربون حدد له الوزن ١٢ فكان لابد من تغيير الأوزان الذرية للمواد الأخرى تفسيراً طفيفاً لا يؤثر في معظم العمليات الحسابية . ولكنه يؤثر في العمليات المتناهية في الدقة . وقد أدخل هذا التعديل لأنه وجد أنه في الإمكان الحصول على أوزان ذرة الكربون ١٢ بدقة أكثر من أوزان ذرة الأكسجين ١٦ . وكذلك يعتمد كثير من الحقائق اليومية على التعاريف . فمثلا : تعيش السمكة في الماء . تستطيع الزجاجة أن تحتوى السوائل . يقطن الناس في المنازل مثل هذه الحقائق هي في جوهرها بعض مظاهر تعريف السمكة . والزجاجة . والمنزل .

ويمكنك بالطبع أن تجد بعض الشواذ لهذه التعاريف . فربما كان هناك نوع من الحيوان يعتبره العلماء سمكة . ولكنه يستطيع الحياة خارج الماء . وربما كان هناك نوع من زجاجات الزينة التي لا يمكن أن تحتوى السوائل . وأهل هناك بعضا من الناس لا يعيشون في البيوت . فنحن نقبل الحقائق السالفة الذكر باعتبارها صادقة إذا كانت تنطبق على تعريفنا للكلمات الأساسية : سمكة — زجاجة — منزل .

وهناك أنواع أخرى من الحقائق أكثر تعقيدا في طبيعتها . تأمل مثلا سبب حدوث كسوف الشمس : يتفق العلماء اليوم على أن كسوف الشمس راجع إلى حركة القمر بين الشمس والأرض . وإلقائها ظلا على الشمس . أهذه حقيقة ؟ ألا بد لنا أن نصدق العلماء ؟ في وقت ما — قبل أن يتحقق العلماء من هذه الحقيقة — كانت مجرد نظرية . وعندما درس الفلاسفة القدماء والعلماء المحدثون كسوف الشمس ، لاحظوا حركات القمر . استطاعوا أن يستخدموا هذه النظرية في التنبؤ

بوقت الكسوف ومكانه بكثير من الدقة . وهكذا يستطيع العلماء المصريون أن يقيموا أجهزتهم في بقعة نائية تقع في منطقة الكسوف . فاذا بالكسوف يبدأ في الحدوث في وقت لا يختلف عن الوقت الذي سبق التنبؤ به إلا بأقل من الثانية ثم ينتهي كما بدأ في الوقت المحدد له بالتدقيق إن مثل هذا التحقق من صحة النظريات يحولها إلى مجموعة من الحقائق تم التثبت منها بالطرق السليمة .

ولكن كثيراً من الحقائق المزعومة تتغير بمضى الزمن وازدياد المعرفة . وعلى هذا فإن ما يعتبر في وقت من الأوقات حقائق عن الأشياء والأحداث قد يعتبر في وقت آخر صحيحاً إلى حد ما أو غير صحيح أساساً فمثلاً شكل الأرض : منذ نحو خمسة قرون فقط . كان معظم الناس تقريباً يؤمنون بإيمان اليقين بأن الأرض منبسطة ، وأن الشمس تدور حولها . ولقد اضطهد عدد من مشاهير المفكرين لأنهم دعوا إلى وجهة نظر مخالفة لذلك . بل إن كوبر نيكوس نفسه تردد في إعلان نظريته لأنه خشي غضب السلطات .

ويجب ألا نعتبر الناس في تلك العصور أغبياء لأنهم لم يستطيعوا أن يدركوا الحقيقة ، فلقد كان من الصعب عليهم أن يصدقوا أن ما كان حقاً في ظاهره كان باطلاً في الواقع . فلقد رأوا الشمس بغيرهم تصعد في السماء عند الشروق وشاهدوها تتحرك ببطء إلى أسفل عند الغروب ، وما كانوا يستطيعون أن يشعروا بالسرعة الهائلة التي تحتاج إليها الأرض لتدور حول نفسها مرة في اليوم . كما كان مما يخالف خبراتهم اليومية وبداهة العقل أن يتصوروا الناس واقفين رأساً على عقب في النصف الأسفل من الكرة الأرضية ، وكانوا يرتابون في وجود قوة جذب غير مرئية تجذبهم نحو الأرض عندما يكونون واقفين في هذا الوضع المقلوب .

وأما اليوم فلعلك تعتبر آراءهم عن الأرض المنبسطة آراء خاطئة تماماً ، ولقد يخامرك الشعور بالرقى والتفوق لأنك تدرك الحقيقة القائلة بأن الأرض مستديرة . ومع هذا فإنك في حياتك اليومية لا تتصرف كما لو كانت الأرض مستديرة . فأنت تؤدي أعمالك اليومية على أساس أن الأرض منبسطة . إنك تمشي وتركب السفن والسيارات كما لو كانت الأرض فعلاً منبسطة . وحقيقة الأمر أنك عندما تفكر في جزء صغير نسبياً من الأرض ، بضعة أميال أو نحو ذلك ، فليس ثمة

فارق كبير بين أن تعتبر هذا الجزء مسطحاً أو منحنيّاً انحناء بسيطاً ، فإليك لن
تستطيع أن تدرك الفرق بغير استخدام آلات خاصة . وعلى هذا يمكننا أن نعتبر
الفكرة القديمة القائلة بأن الأرض مسطحة فكرة صحيحة في جوهرها بالنسبة
لأغراض حياتنا اليومية .

أما بالنسبة للملاح الذي يسبح في رحلة طويلة في المحيط . فإن هذه « الحقيقة »
تحتاج إلى تصحيح ، فإنه بعد بضعة أيام من الرحلة يصبح انحناء سطح الأرض
كبيراً بحيث يؤثر في ملاحظتنا فتشرق الشمس وتغرب مبكرة أو متأخرة بضع
ساعات عن الوقت المألوف . وهكذا لا بد للملاح في الطائرة أو على ظهر السفينة
من أن يبني تقديراته على أساس أن الأرض كروية .

ما هي طبيعة استدارة الأرض ؟ أي بيضاوية ككرة ؟ الرجي ، ؟ أي
استدارة غير متساوية كاستدارة البيضة ؟ أم هي استدارة كاملة كاستدارة الكرة ؟
لأنه بالنسبة لمعظم أغراض الملاح تعتبر الأرض كرة كاملة الاستدارة .

ولكن بالنسبة لعالم يضع خريطة دقيقة للأرض ليس هذا هو الشكل الحقيقي
للأرض ، فالأرض مفلطحة قليلاً عند القطبين بمقدار ٢٧ ميلاً في قطر يبلغ طوله
٨٠٠٠ ميل .

ومنذ عهد قريب اكتشف العلماء — وهم يقيسون مسارات أقمار (توابع)
الأرض أن هناك نتوءات بسيطة في الأرض ، وأنها تشبه الكثرى في الشكل .
فهناك فرق بين نصف الكرة الشمالي والجنوبي يبلغ نحو خمسين قدماً . وليس خط
الاستواء دائرة كاملة الاستدارة ، بل هو بيضوي الشكل قليلاً . إن هذه الفروق
بين شكل الأرض الحقيقي وبين الشكل النام الاستدارة يفتح عنها فرق في الزمن
الذي يظهر فيه أحد توابع الأرض فوق بقعة معينة منها . ولهذا فلا بد للعلماء من
أن يحسبوا لها حساباً في تقديراتهم .

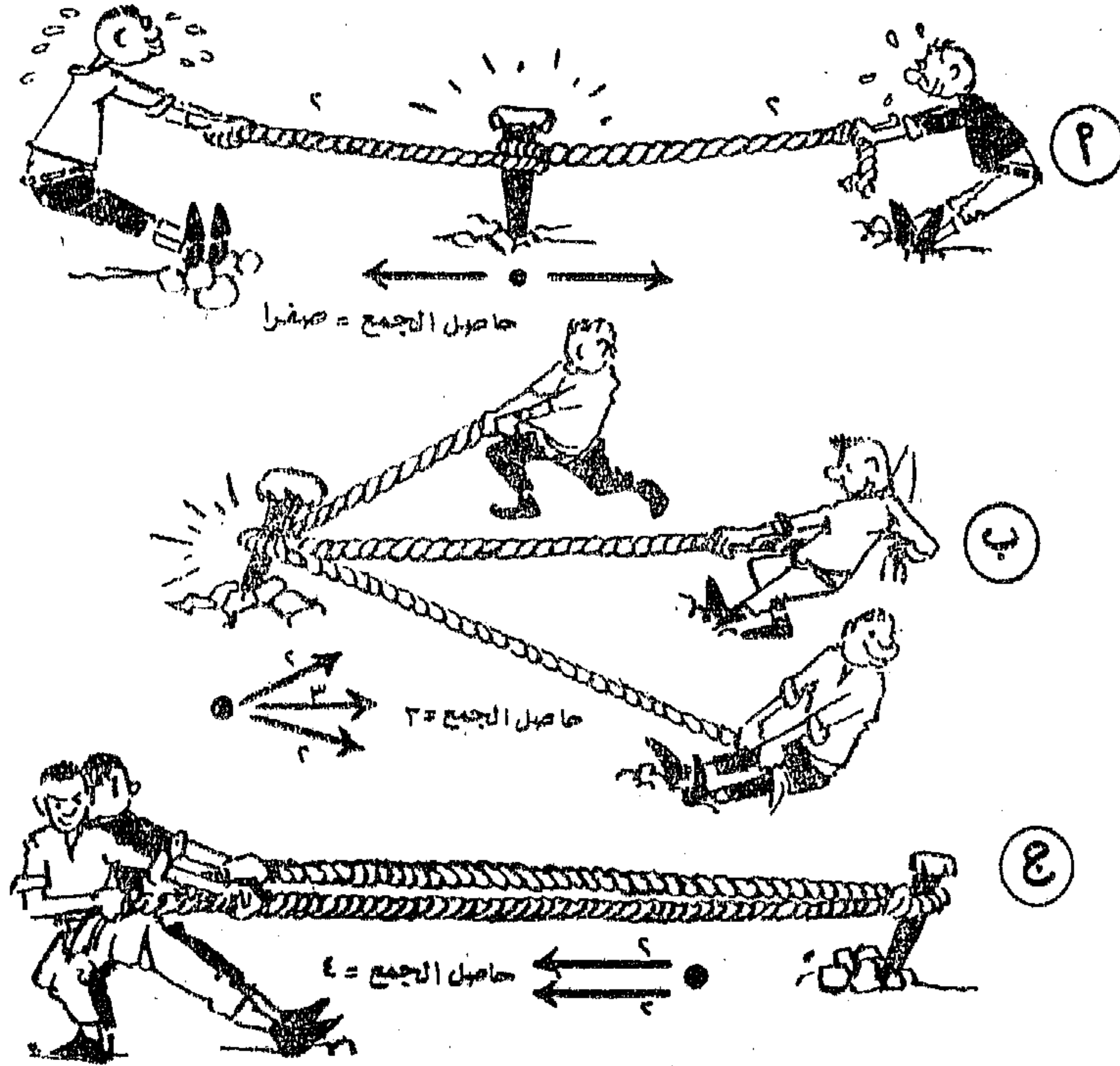
ولكن ليست هذه هي الحقيقة بكاملها . ففي الأرض جبال يبلغ ارتفاعها
خمسة أميال ومحيطات تزيد عن ذلك في العمق . فسطح الأرض في الواقع مغطى

غير مستو إذا نظرنا إلى مساحات صغيرة منه . فإذا ما أخذنا بوجهة نظر الجندب (أو أبو النطيط) لوجدنا سطح الأرض أكثر تنضنا وخشونة . كما أن ما يغطيه من حشائش وحصى يجعله غير مستدير الشكل . فإذا ما نزلنا إلى حجم الذرات والجزئيات لوجدنا اختلافات أكثر من الشكل الكروي التام الاستدارة .

وهكذا ترى أن الحقيقة كثيراً ما تكون نسبية، وكل ما نقوله عن شيء أو حدث ما فهو غالباً صحيح تقريباً في مكان معين، وزمان معين ولا بد في العادة من تعديله أو إعادة فحصه في ضوء مختلف الاحتياجات والأزمنة والأماكن وغيرها من الظروف .

قل أية حقيقة تشاء ، فإنك في الغالب واجد من يستطيع أن يقارحك الحجة ويعارضك فيها إذا شاء . فمثلاً قولك : « إن العشب أخضر » . أيعتبر هذا قولاً صادقاً بالنسبة لشخص مصاب بعمى الألوان ؟ ! أو صادقاً بالنسبة للكلاب التي لا ترى الألوان بنفس الطريقة التي نراها بها ؟ ! أو خذ هذا القول : « إثنان زائداً اثنين يساوي أربعة » ، هذا صحيح لا شك فيه . أم أن هناك مجالاً للتساؤل . يمكن أن تقول إن برتقالتين زائداً ليمونتين يساوي أربع برتقالات — ليمونات . يمكن القول إن رطلين من القوة زائداً رطلين من القوة يساوي دائماً أربعة . ليس بالضرورة . فإذا كانت القوتان تتجاوزان شيئاً في زاوية فإن مجموع القوتين يساوي ثلاثة أو اثنين أو واحداً أو صفراً بحسب مقدار الزاوية (شكل ١) .

ومن بين الصعوبات في هذه الحالة أن القول بأن اثنين زائداً اثنين يساوي أربعة يختلف معناه باختلاف الظروف . فبالنسبة للعالم الرياضي الذي لا يبحث إلا في الأرقام المجردة فالعبارة صحيحة طبقاً للتعريف والقواعد التي وضعها لعلم الحساب . ولكنك إذا حاولت تطبيق هذا القول على مواقف حقيقية فإنك تبدأ في مقابلة صعاب من النوع الذي ذكرناه .



(شكل ١)

ليس من الضروري أن يكون حاصل جمع اثنين زائد اثنين يساوي أربعة .
فالمسألة تتوقف على المحدود ، وكذلك على معنى الرموز (+) ، (=) .

وما قولك في حقيقة تاريخية ، كالقول بأن جورج واشنطن كان أول رئيس
للولايات المتحدة ؟ إننا نعتبر هذا القول حقيقة ما في ذلك شك ، ولكن هل
رأيت جورج واشنطن بعينيك ؟ هل حضرت حفل التتويج ؟ إن كل ما تعرفه
عن هذه الحقيقة هو ما قاله لك المعلمون وما تقرأه في الكتب . أيمن أن يكون
المعلمون والكتاب مخطئين ؟ يمكن ولكنه ليس محتملا ؛ فإن هناك الكثير من
الكتب والوثائق والصحف القديمة التي عاصرت تلك الأحداث وكلها تنفق في ذكر
هذه الحقيقة ، مما يجعل احتمال الخطأ فيها من أبعد الأمور ؛ فإن مثل هذا لا يحدث
إلا إذا كانت هناك مؤامرة واسعة النطاق لاختراع الأكاذيب .

ولكن فرص الوقوع في الخطأ تزداد بالنسبة للحقائق التي تعتبر أقل شيوعاً من المثال الذي ذكرناه . فهناك من الناس من يحبون أن ينشروا قصصاً مضللة وأن يخترعوا حقائق ، ليست من الحقيقة في شيء ، وبهذه الطريقة ينالون الشهرة وذيوع الصيت . ومن الأمثلة على ذلك قصة « إنسان بليتدون » ؛ وخلاصتها أن شخصاً ما في إنجلترا أنفق حياته يحفر الأرض باحثاً عن الآثار القديمة ، وذات يوم عثر على جمجمة إنسان قديم شبيهة بالقرود ، وعظام أخرى لهذا الإنسان . ولكن ما حدث في الواقع هو أنه أتى بعظام قرود وبعض عظام إنسان ميت وعالجها بالكيمياء حتى بدا عليها القدم ، ثم دفنها جميعاً في بقعة ما ورتب الأمر بحيث يعثر على هذه العظام في حضور شهود استطاعوا أن يشهدوا بأن العظام وجدت فعلاً في تلك البقعة .

ولقد ظلت هذه الحفرية تشغل بال العلماء عدة سنوات ؛ ذلك أنها لم تكن تتلاءم قط مع النمط الذي سار فيه تطور الإنسان ، والذي كان يتصوره العلماء على أساس حفريات أخرى . وبعد انقضاء عشرات السنين بلغ من ازدياد شكوك العلماء في هذه الحفرية أن الكثيرين منهم أجروا فحوصاً كيميائية على تلك العظام وأثبتوا أنها عظام حديثة عولجت بالكيمياء فبدت عتيقة ، وهكذا كشف الخداع .

ونتيجة لهذه الخدعة نجد أن الكثير من الكتب الدراسية التي كانت تستعمل في ذلك الوقت ، والتي لا يزال الكثير منها في المكتبات ، يشير إلى « إنسان بليتدون » باعتباره حفرية حقيقية للإنسان القديم .

تذكر إذن أن الحقائق عرضة لتفسيرات متغيرة ، فقد نعتقد أن معظم تفسيراتنا صحيحة تماماً أو صحيح في مجملته ، ولكن يجب أن نكون دائماً حذرين يقظين ومنتهبين إلى إمكان حدوث الخطأ ، كما يجب أن ندرك أن الحقائق قد تحتاج إلى مراجعة كلما زادت خبراتنا .

الدور الذي يلعبه الترجيح

أيمكن أن نثق وثوقاً مطلقاً بصدق حقيقة ما ؟ من المحتمل أننا لا نستطيع ؛ فهناك دائماً مجال للخطأ . ذلك أننا نعتمد في الحصول على كثير من الحقائق على ما نقرأ أو نسمع من الآخرين . وقد تخدعنا حواسنا فتفسد علينا ملاحظتنا . ويمكن أن ينطبق هذا الخداع على الجميع وبفس الطريقة . ولهذا الأسباب فإننا عندما نفكر تفكيراً واضحاً ، نفكر في الحقائق باعتبارها احتمالات .

نأمل مثلاً في هذه العبارة : يستطيع الرجال أن يرفعوا من الأثقال أعظم مما تستطيع النساء . فإذا كنا نعى بكلمة (الرجال) جميع الرجال ، فإن العبارة تكون خاطئة إذا كانت هناك امرأة واحدة تستطيع أن ترفع أكثر مما يستطيع رجل معين واحد . أما إذا كانت كلمة الرجال مستعملة بمعنى الرجال العاديين ، وكلمة النساء مستعملة بمعنى النساء العاديات ، حينئذ يمكن عن طريق الدراسة الإحصائية أن نثبت هل العبارة صحيحة أم كاذبة ؟ وبواسطة إجراء التجارب على بعض الرجال والنساء يمكننا أن نجعل العبارة تنسج لكل الرجال والنساء ، وربما استنتجنا أنه من المحتمل أو الراجح أن الرجال بصفة عامة يرفعون من الأثقال أكثر من النساء بصفة عامة .

وقد يستطيع أحد العلماء أن يبين هذا الاحتمال عن طريق الأرقام فيقول : إذا اخترت أية رجل وأية امرأة من وسط جمهور من الناس كيفما اتفق فإن الرجل يستطيع أن يرفع أكثر من المرأة ، فإذا فرضنا أن الرقم هو ٧٠ ، فإن هذا يعنى أنه في سبعين حالة من كل مائة يستطيع رجل اختيار جزافاً أن يرفع أثقالاً أكبر مما تستطيع امرأة اختيرت جزافاً كذلك .

ويدهش الناس عادة عندما تقع أحداث غير متوقعة أو غير محتملة ؛ فلقد يحصل لإنسان في لعب الورق على مجموعة متميزة من الورق — مجموعة يعتبر الحصول عليها من (المحال) — ولكن العالم الرياضى يستطيع أن يحسب احتمالات حدوثها ؛ فقد يعبر عنها بأنه فرصة في كل مائة بلهون فرصة ، وهو يعنى بذلك

أنه إذا لعب الناس لعبة الورق ملايين الملايين من المرات ، فإنه ينتظر أن يحصل لاعب ما مرة في كل مائة بليون مرة على مجموعة متميزة من الورق . فإذا كان هناك مائة لاعب ورق ولعبوا عشرات الألوف من المرات طوال حياتهم فإنه من المحتمل أن يحصل شخص ما في مكان ما في وقت ما على تلك المجموعة المتميزة من الورق . وبعبارة أخرى إن الأحداث غير المحتملة الوقوع تصبح محتملة إذا وقع عدد كاف من الأحداث .

تأمل — على سبيل المثال — هذا الحادث الذي وقع فعلاً للوف : كذا نطلب على التليفون صديقاً ونسمه « سام » فأدركنا الرقم ، وأجابنا شخص ما ، وجرى بيننا الحديث التالي :

— هل سام موجود ؟

— نعم لحظة واحدة من فضلك .

ثم جاء سام إلى التليفون وسأل في دهشة : كيف عرفت أني هنا ؟ قلت ألسنت تتكلم من منزلك ؟

قال : لا . إنني في منزل صديق ؛ فقد جئت منذ قليل في طلب كتاب . من أنباك أني هنا ؟

لم يكن أحد قط قد أنبأني أنه هناك . كل ما حدث هو أننا أدركنا رقماً خاطئاً فكان هذا الرقم هو رقم صديق سام ، وتصادف أن كان سام هناك في تلك اللحظة بالذات .

أهذا من رابع المستحيلات ؟ كلا فقد كان هناك احتمال أن يحدث خطأ ما في طلب الرقم ، وكان هناك احتمال صغير جداً بأن يكون صاحب هذا الرقم هو صديق سام . ثم كان هناك احتمال ثالث صغير جداً كذلك وهو أن يكون سام في بيت صديقه هذا في الوقت الذي حدثت فيه المسكالمة . . إن احتمال وقوع هذه الأحداث الثلاثة معاً كان متناهياً في الصغر ، ولكنه لم يكن مجرد صفر . والواقع أنه مع ازدياد عدد المسكالمات التليفونية ليس بعيداً أن يحدث هذا الحادث غير المحتمل لعدد من الناس كل عام .

وما دام هناك كثير من الأحداث غير المحتملة الوقوع فإنه من المحتمل أن تقع بعض الأحداث غير المنتظرة للكثيرين من الناس ، ولا شك أنه قد وقعت لك شخصياً بعض هذه الأحداث .

ونظراً للعموض الذي يحيط بوقوع الأحداث غير المنتظرة فإن الناس يتساءلون: ترى هل هناك قوة خفية خارقة للطبيعة تسبب هذه الأحداث ؟ وفي الازمنة القديمة كانت هذه الأحداث تفسر عادة على أنها دلائل على رضا الآلهة والأرواح أو عدم رضاها . ومن هنا نشأت بعض الخرافات التي كان الناس في الماضي يؤمنون بها والتي لا يزال البعض يتمسك بها في أيامنا هذه .

كيف نتحقق من صحة الحقائق

لنفرض أن عالماً أجرى تجربة وادعى أنها تثبت شيئاً ما . أمضى هذا أن ما قاله هو الحق ؟ إليك — على سبيل المثال — قصة الطبيب الذي نشر في مجلة طبية أنه قد تمكن من إنتاج نوع جديد من الحبوب يوقف الزكام ؛ فقد جرب استخدام هذه الحبوب على عدد من مرضاه فأعطاهم الحبوب مصحوبة بتعليمات لاستعمالها عند أول بادرة من بؤادر الزكام . وإن مرضاه قد أبلغوه أن تناولهم تلك الحبوب قد أوقف الزكام . ألا يعتبر هذا دليلاً كافياً على أن الحبوب كانت فعلاً مفيدة في تجنب ذلك المرض ؟

ثم أخذت شركات الأدوية تصنع هذه الحبوب وتعلن عنها مستخدمة تجارب الطبيب في تملك الإعلانات ، فبعد زمن قصير ارتفع رقم المبيعات من هذه الحبوب إلى ما قيمته مائة مليون دولار في السنة .

ولكن هنا تلعب الأساليب العلمية الحديثة لاكتشاف الحقائق دورها . فقد أخذ أطباء وعلماء آخرون يعيدون التجربة ، إذ لا بد لهم على أي حال من أن يفعلوا ذلك للتحقق مما قيل عن تلك الحبوب . وفي هذه الحالة بالذات كان هناك دافع آخر ، فقد كان هناك عيب خطير في التجربة كما أجريت أولاً . فقد اعتمد الطبيب الذي أجراها أولاً على شهادة أناس قالوا إن الحبوب أعانتهم على الشفاء .

ولكن الكثيرين من الناس يشعرون بتحسّن بعد تناول الحبوب لأسباب نفسية بحتة . فمجرد تناول أية حبوب لا ضرر منها يؤدي أحياناً إلى الشعور بالتحسّن . وقد كان ينقص التجربة «التقنين» لاستبعاد هذا العامل وتكون التجربة مقننة عندما يستخدم فيها الشيء المطلوب دراسته ثم تجرى بدقة بشرط أن تظل جميع الظروف الأخرى باقية دىّن تغيير . فاذا شدّنا أنباع طريقة « التجربة المقننة » فى تجربة حبوب علاج البرد لوجب أن نعطى نصف عدد المرضى جرعات منتظمة من الحبوب ونعطى النصف الآخر حبوباً زائفة يظنها المريض خطأ أنها حبوب الزكام . وحيفئذ يكون أى فرق يلاحظ بين المجموعتين راجعاً إلى الحبوب ، وليس إلى نفسية المرضى .

وعندما أجريت مثل هذه التجارب المقننة على حبوب البرد اتضح أن معظم الناس قالوا إن الحبوب أوقفت ما يشكون به من زكام ، سواء أكانوا قد أخذوا الحبوب الحقيقية أو الزائفة .

واتضح أن الناس كثيراً ما ينتابهم العطاس فيظنون أنهم قد أصيبوا بالزكام ولكن أعراضه لا تتحقق فى معظم الأحوال . وبما أنه يظهر فى معظم الحالات أن الحبوب توقف (الزكام) فإن الناس يفسرون المسألة تفسيراً خاطئاً بقولهم إن الحبوب هى السبب فى الشفاء .

إن الطبيب الذى أذاع النتائج الأولى لم يفهم تماماً الفرق بين الدليل الذاتى والدليل الموضوعى . ويكون الدليل ذاتياً عندما يتوقف على شعور شخص وانطباعاته بشأن حادث ما .

وهكذا فإن عالم الأحياء الذى قال إن ذبابة الخيل تطير بسرعة سبعة ميل فى الساعة لأنها تظهر أثناء الطيران كبقعة سمراء — هذا العالم لم يقدم إلا دليلاً ذاتياً ، فلم يكن مقياساً حقيقياً للسرعة على الإطلاق ، فلربما قال شخص آخر إنها تطير بسرعة خمسين ميلاً فى الساعة . ولو أن آلة تصوير ذات حاجب زمنى للعدسة قد استخدمت فى تصوير الذبابة وهى تطير لقياس سرعتها لكان هذا الدليل أكثر موضوعية .

وبعبارة أخرى يكون الدليل موضوعياً إذا كان مبنياً على نوع من القياس أو الملاحظة التي لا تتوقف على مشاعر الشخص أو تخميناته . فلو أن اثني عشر شخصاً أجروا تجربة « لانجموير » التي أطلق فيها نموذجاً للذبابة الخيل على خيط مشدود ، ثم قارنوا نتائج تجاربهم ، لوصلوا إلى اتفاق على أقصى سرعة محتملة لهذه الذبابة . أما إذا اكتفينا بالنظر إلى الذبابة وهي تطير بسرعة فائقة وتظهر كمجرد بقعة في كل ما يمكن أن نقوله عندئذ هو : باللعجب ! انظر إلى سرعتها الفائقة ! .

الربيل الموضوعي

إن الطريقة الحديثة للحصول على الحقائق سواء أكان ذلك في العلوم أو الهندسة أو الأعمال التجارية ، هي استخدام آلات القياس على نطاق واسع . وتتفاوت هذه الآلات من المسطرة العادية والموازين والساعات إلى أجهزة قياس الطيف المعقدة التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء والتلسكوب الذي يعمل بالراديو . وتؤخذ عادة عدة مقاييس وبذلك نحصل على « معلومات » أو « حقائق » وإحصاءات متصلة بالمشكلة التي هي موضوع الدراسة .

ولابد من قدر كبير من المعرفة لعمل المقاييس الدقيقة . وكل نوع من القياس يجب أن يكون له معيار ثابت بالنسبة لجميع الناس في كل مكان فعندما يفرد رجل ذراعيه بنفس الطريقة التي يفرد بها صبي ذراعيه ، يكون الفعلان متشابهين ، ولكن طول المسافة بين اليدين يختلف .

ويبذل العلماء جهوداً مضمّنية لجعلوا أساس القياس موحداً للجميع حتى تكون المقاييس موضوعية . ولهذا فإن وحدة القياس لجميع المقاييس الطولية هي قضيب صنع خصيصاً من البلاتين والأريديوم محفوظ في غرفة في باريس قد تحكوا في جوها تحكماً كاملاً بحيث لا تتغير فيه الحرارة قط . وكل أنواع المساطر في شتى أنحاء الدنيا مبنية على طول هذا القضيب .

وبما يوضح الفرق بين الأساليب الذاتية والأساليب الموضوعية في الحصول

على المعلومات دراسة حديثة قام بها أحد العلماء لكفوف الأيدي . ومن المعروف أن فن قراءة الكف للتنبؤ بالأحداث ومعرفة طباع الناس وأخلاقهم — وهو فن قديم — لا يزال يمارس حتى الآن . ولقد أصبح من السهل الآن أن نستخف بهذا العمل وأن نستبعده بتأتاً من تفكيرنا، لأنه غير علمي، ولأننا نعتقد أنه تنقصه الأدلة الموضوعية التي تؤيده .

وقد قام أحد العلماء بدراسة موضوعية لكفوف الأيدي وفحص طبعات كفوف عدد من الناس بمساعدة عقل الإلكتروني، فوجد نتيجة لدراسته أن هناك علاقة ما بين أشكال الكفوف وما عليها من خطوط وبعض الخصائص الطبية . وليس معنى هذا أن قارئ الكف على صواب في تنبؤاتهم فإن العالم لم يجد أية علاقة بين خطوط الكفوف والنصائح التي يعطيها قراء الكف لزبائنهم ويدل هذا على أن أية فكرة أو نظرية يجب أن نفحص بالأساليب الموضوعية كلما أمكن . ولا تعتبر الفكرة خاطئة، لأن الذي يؤيدها ويدعو إليها شخص نعتقد أنه لا يفكر تفكيراً صحيحاً . فإن ما يجب عمله في هذه الحالة هو أن نفحص لنعرف إلى أي حد تتفق هذه الفكرة مع الحقيقة .

ومن المهم ألا نرفض فكرة ما لمجرد أنها قديمة، أو لأننا نظن أنها غير علمية فلقد كان الهنود يستعملون الكينين من أزمنة طويلة لمساعدة الناس الذين يشكون من مرض الملاريا . وكان أطباء الهندي يدون عقاقير مستخرجة من عصارات نباتية معينة . واليوم قد أصبحت الكيماويات المستخرجة من هذه النباتات هي الأساس في صناعة الأدوية المهدئة . وبعض العلماء يدرسون الآن الوسائل التي اتبعتها الأطباء القدامى ليدركوا كيف كان هؤلاء الأطباء يساعدون المرضى على الشفاء .

والنقطة الرئيسية هنا هي أن العالم الذي يفحص مظهرًا من مظاهر البيئة المحيطة بنا — سواء أكان ذلك طبعات كفوف الأيدي أو طريقة الأطباء القدامى في تحضير العقاقير — يحاول أن يحصل على أدلة موضوعية حتى يستطيع أن يصدر حكماً يتسم بالذكاء .

السبب والنتيجة

من أهم أغراض البحث العلمي ، وكذلك من أهم أغراض التفكير اليومي اكتشاف أسباب الأحداث ما الذي نعينه بقولنا «سبب» ؟ إن حدثا ما يحدث ، ونلاحظ أن حدثا آخر يحدث بعده مباشرة ، وكلما لاحظنا الحدث الأول لاحظنا الحدث الثاني ، ولهذا فأننا نميل إلى القول بأن الحدث الأول هو السبب في الحدث الثاني ، ونسمى الحدث الثاني نتيجة .

فمثلا إذا ركلت جدارا من الاسمنت آلمتك قدمك فتمتد أن سبب الألم هو ركل الجدار بالقدم . ولكن الطفل قليل التجارب قد يلوم الجدار باعتباره هو السبب . وأما عالم النفس فإنه قد يتعمق في البحث ليعرف السبب في أنك ركلت الجدار ، وقد يكتشف أنك بحاجة إلى التنفيس عن رغبة مكبوتة في الاعتداء . أو لعل السبب أنك تجد لذة في أن تؤذي نفسك ، أو لعلك ترغب في أن تتخلص من أداء واجب منزلي معروض عليك ، أو أن تنال عطف أسرتك . وبما أن هذه العوامل جميعاً قد سبقت الفعل فيمكن اعتبارها أسباباً له .

ومن الأخطاء الشائعة في التفكير الاعتقاد بأن هناك سبباً واحداً فرداً لكل حادث في الوقت الذي يكون فيه هناك سببان أو عشرة أو مائة . فمثلا عند مناقشة المشكلات المتصلة بالشباب قد يسأل شخص ما : « ما السبب في انحراف الأحداث ؟ » وقد ينتظر السائل من أحد سامعيه أن يوقفه على السبب (الوحيد) ، وقد يفرغ صبره إذا أعطيت له إجابة مركبة تحاول أن تحدد كثيراً من الأسباب التي تخلق مشكلة انحراف الأحداث . إن طلبه الحصول على جواب بسيط حيث لا يوجد مثل هذا الجواب قد يؤدي به في الغالب إلى الوصول إلى حلول غير صحيحة .

إن لمعرفة الأسباب والنتائج للأحداث التي تقع من حولنا فائدة عملية كبرى . ونحن نستغل هذه المعرفة بشكل عملي في الآلات والأجهزة التي اخترعت في عالمنا الحديث ، فمثلا يعتمد تسيير السيارة على استغلال عدة أسباب ونتائج لإيجاد سلسلة معقدة من الأحداث التي تعمل معا لتتولد عنها حركة السيارة . إن السبب

الأساسى لحركة الآلة هو الحرارة المتولدة عن إحراق البنزين . هذه الحرارة تسبب تمدد الغازات ، وبذلك تتولد ضغوط كبيرة تحرك بعض أجزاء الآلة . وهذه الأجزاء تحرك بدورها التروس والقضبان وغيرها من الأجهزة فتأخذ العجلات الخلفية للسيارة في الحركة . وفى كل جزء من أجزاء السيارة هناك أسباب تؤدي إلى نتائج يمكن التنبؤ بها .

فالمولد يسبب التيارات الكهربائية التى تسبب ضغطا عاليا عندما ترسل إلى ملف من السلك (البوبينة) وعندما يصل هذا الضغط العالى إلى شمعة الإحراق يولد شرارة تشعل البنزين وتسبب انفجاره . وهناك أجهزة أخرى تعمل على أساس السبب والنتيجة . هذه الأجهزة تعد البنزين للاشتعال وتوقيت الانفجار وتنظم دخول الوقود وخروج الغازات العادية فى الأوقات المناسبة وهكذا .

وأحيانا تحدث الأسباب والنتائج معا ، ويصعب أن نعرف أيها السبب وأيها النتيجة . ويوضح (شكل ٢) هذه النقطة بطريقة فسكية . فمن وجهة نظر الولد الصغير يظهر أنه من الطبيعى أن نعتقد أنه هو الذى جعل أباه وأمه يصيحان أبوين . ولا بد لنا من أن نعتري إننا إذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية معينة وجدناه مصيبا . ولكن الأبوين اللذين شهدا ميلاد الطفل ويعرفان من أين أتى يدركان أنهما المصيب فى ميلاده .

وتظهر صعوبة الحصول على أدلة موضوعية على طبيعة الأسباب من الموقف التالى :

تصور أنك أحد أفراد قبيلة بدائية تعيش فى وقت حدث فيه كسوف الشمس . ويلاحظ أحد الناس أن الشمس قد أخذت تظلم أثناء النهار رغم أنه لا توجد سحب فى السماء فلا بد أن شيئا ما قد حدث للشمس — ألعلها على وشك أن تنطفىء ؟ ثم تبرد ؟ ثم تذيل المحصولات وتموت ؟



هناك تباين بين الأفعاب لما كانت
هناك تباين ولا أهماساً

(شكل ٢) ليس من السهل دائماً أن نميز بين السبب والنتيجة ، فالكثير يتوقف على الطريقة التي ينظر بها الناس إلى الأحداث في ضوء خبرتهم السابقة .

وسرعان ما يعقد اجتماع للبحث عما جعل الشمس تظلم . ربما كان إله الشمس الذي تعبده القبيلة قد أغضبه شيء ما ؛ فهو يحجب الشمس عقاباً للقبيلة . وبما أنه من الأفضل أن يعمل الإنسان شيئاً بدلاً من أن يبقى ساكناً في انتظار ما قد يحدث فإن حكام القبيلة يقررون أن يجربوا علاجاً مبدئياً على نظريتهم الخاصة في تحليل الكسوف . فإذا كان الإله غاضباً فلنهدى من سورة غضبه بأن نذل أنفسنا أمامه ونقدم له الضحايا .

وأنت باعتبارك أحد أفراد القبيلة ولا تعرف شيئاً عن السبب الحقيقي للكسوف سينخيل إليك أن هذه نصيحة معقولة . وهكذا بناء على تعليمات الحكام تغطي جسمك بالرماد وتبقى بطعامك كله في النهر . والآن أنظر ! هاهي ذي الشمس قد بدأت تخرج من وراء حجابها وأخذت الظلام ينقشع وسرعان ما تعود الشمس إلى ضوءها الوهاج . لقد نجحت الخطة ! فلا بد إذن أنك كنت تعمل على أساس سبب حقيقي . وعندما يحدث كسوف مرة ثانية فإنك تفعل نفس الشيء وستنجح الوصفة من جديد . أفيمكن أن يكون هناك أي شك في أنك كنت تعمل على أساس السبب الصحيح للكسوف طول الوقت ؟

ولنفرض أن هناك بين أفراد القبيلة من يشك في الأمر ويقول إن كل هذا هراء في هراء ! وإنك كنت تسير على أساس سبب خاطيء . فهو يقول بأن الشمس كانت ستطلع على أى حال بعد ساعة أو ساعتين مهما تفعل أنت ، فهل أنت راغب في أن تتغلى عن وصفة مجربة ناجحة قد نجحت باستمرار ، وأن تجلب على نفسك الكوارث بعدم استخدامها ؟ أليس من الأمور الكبيرة الاحتمال أنك تنضم إلى غيرك من أفراد القبيلة في السخرية من هذا الشاك أو في عقابه لاختلال تفكيره .

وباعتبارك أحد أفراد القبيلة كيف تحاول الوقوف على ما إذا كانت تغطية جسمك بالرماد وإلقاء الطعام في النهر يؤثران أم لا يؤثران ؟ إنه يصعب عليك أن تفعل ذلك فإن الكسوف لا يحدث إلا كل خمسين أو مائة سنة ، وأنت لن تعرف موعد حدوثه مقدماً ، وأولئك الذين شهدوا كسوفاً من قبل يحتمل أن يكونوا قد فارقوا الحياة عندما يحدث الكسوف التالي . ولكن لا بد أن تكون قد وصلت روايات عن الحادث إلى الجيل الناشئ . وعندما يحدث الكسوف يتبع بعض الناس الطرق القديمة حتى إذا حاولت أن تعرف ما الذى يحدث إذا لم تتبع أنت هذه الطرق . وهكذا يمكنهم دائماً أن يقولوا إنهم أنقذوا الشمس من الفناء بالرغم مما فعلته أنه لتحول بينهم وبين ذلك .

إن اكتشاف حقيقة كسوف الشمس قد استغرق قروناً وقروناً من الملاحظة الدقيقة وتسجيل هذه الملاحظات في الكتب . وبالتدريج ومع تزايد المعرفة الإنسانية أصبح في الإمكان تجميع الأدلة من عدة بلاد ومن عدة مراقبين إلى أن ظهرت الصورة المعقولة . ولكن بالنسبة لأحد أفراد قبيلة تعيش في منطقة نائية منعزلة لا تملك الكتب ولا المكتبات ، ولا تستطيع أن تقرأ أو تكتب ، وليست لديها مدارس تنقل إليها المعارف المدخرة من الأجيال الماضية ، فإن الوصول إلى مثل هذه المعرفة مستحيل .

إن اكتشاف سبب هام نتيجة ما يعطينا عادة مزيداً من القدرة على التحكم في الأحداث ، فمثلاً عندما اكتشفنا أن بعض الأمراض تنتج عن جراثيم معينة ،

وأن هذه الجراثيم تنقلها الأيدي القذرة والماء القذر أصبح من الممكن التخلص نهائياً من أنواع معينة من الأمراض بغسل الأيدي وتطهير الماء بغليه أو بإضافة الكلور إليه . وعندما أدركنا سبب طيران الطيور أمكننا أن نستخدم هذه المعرفة في التحكم في حركة الهواء وفي بناء طائرات تستطيع أن تطير . وكان لابد لنا أن نعرف أسباب دوران القمر حول الأرض قبل أن نتمكن من إرسال توابعنا الأرضية في الفضاء . وهكذا نجد أن كثيراً من التقدم الذي أحرزته حضارتنا الحديثة في الهندسة والطب قد أصبح ممكناً بفضل اكتشاف العلماء للأسباب الأساسية للأحداث الطبيعية .

الفلسفات المتغيرة

إلى جانب تطور العلم وازدياد المعرفة الإنسانية ازداد فهم الإنسان للعالم الذي تشغله الإنسانية في الكون . لقد كانت صدمة عظيمة للإنسان أن يكتشف أن الأرض الساكنة المنبسطة في ظاهرها هي في الحقيقة كرة تدور حول محورها، وكان الإنسان قبل ذلك ينظر إلى الأرض باعتبارها مركز الكون ، وينظر إلى نفسه باعتباره السبب في خلق الأرض . أما الآن فهو يعتقد أن الأرض في الغالب واحدة من الكواكب في مجموعة شمسية هي واحدة من مجموعات شمسية متعددة . وهو لا يستبعد وجود حياة عاقلة في العوالم الأخرى ، بل هو ينتظر اليوم الذي يلقي فيه أنداده أو كائنات أقي منه في تلك العوالم . لقد اخترق حاجز الفضاء الخارجي وبدأ يدخل نطاق الكون البارد خارج أرضنا المحمية بغلافها الجوي .

إن هذه الأحداث وما نتج عنها من تغيرات في موقف الإنسان قد جعلته أكثر تسامحاً نحو آراء الآخرين وأقل وثوقاً من أنه دائماً على صواب وأكثر استعداداً لتلقي الآراء والأساليب الجديدة ، وهذه الطرائق الجديدة في التفكير تساعد على تحطيم الحواجز بين الشعوب وتوجد الفرص لقيام مجتمع الإنسان .

لقد ناقشنا في هذا الفصل طبيعة الحقائق وكيف نحصل عليها . ولكن الحقائق وحدها لا تكفي فيجب أن نكون قادرين على أن نفيد من هذه الحقائق وأن

نستخدمها في عملية التفكير للوصول إلى نتائج ولاكتشاف حقائق جديدة وسيكون ذلك هو موضوع البحث في الفصل التالي .

حاول أن نحل هذه المشكلات

(الحلول في آخر الكتاب)

١ — العبارات الآتية مأخوذة من طوابع نشرتها الصحف . بين لماذا يعتبر من المستحيل تقريباً أن تثبت بالدليل الموضوعي أن النصائح التي يقدمها صاحب الطابع تنطبق بصفة خاصة على أولئك الناس المولودين في الأبراج التي أشارت إليها الطوابع . كيف استطاع الكاتب أن يحمي نفسه من أن يتهم بالكذب طالعه ؟

(أ) برج الحمل (من ٢١ مارس إلى ١٩ أبريل) إن أحد ذوى المناصب الكبيرة والنفوذ العظيم سيقدم لك نصيحة ممتازة وعونا كبيراً اليوم إذا أنت رتبتم أمورك بحيث تكون على صلة به أو بها . لا تدس أن تتبع الفكرة بالعمل . كن نشطاً وساعد أولئك الذين يحتاجون إلى العون .

(ب) برج القوس (من ٢٢ نوفمبر إلى ٢١ ديسمبر) إبحث اليوم عن ذلك الصديق الواسع الشهرة والثراء الذي سيعطيك النصيحة التي تحتاج إليها حتى تستطيع أن تخطو خطوات واسعة نحو النجاح في عملك . ثم أقنع الآخرين بكفايتك وفطنتك . كن سخيّاً .

(ج) برج الجدى (من ٢٢ ديسمبر إلى ١٠ يناير)

حامل جميع الناس بحكمة وتعمق اليوم وحارل أن تعرف بالضبط ماهى الأشياء التي ترغب في شرائها بشئ معقول . أنفق أمسياتك في تمضية وقت هنيء مع أصدقائك القدامى المحبين إليك .

٢ — اذكر ما إذا كانت كل من العبارات الآتية تعبر عن حقيقة يمكن التثبت منها . فإذا كانت العبارة ناقصة بين وجوه النقص فيها :

- (أ) أوراق الشجر خضراء .
- (ب) الزجاج شفاف .
- (ج) المعادن صلبة .
- (د) الأجرام السماوية مستديرة .
- (هـ) $13 + 4 = 17$.
- (و) واشنطن هي عاصمة الولايات المتحدة .
- (ز) أنا كائن .
- (ح) للخيل أربع أرجل .

٣ — بين أربعة أخطاء خطيرة في التجربة المزيفة الآتية :

حاول طبيب أن يثبت أن شرب مخيض اللبن يمنع الإصابة بالبرد (الزكام) فجمع جماعة من الناس وشرح لهم الغرض من التجربة . وأخذ هؤلاء الناس يشربون اللبن المخيض مرتين يومياً في الفترة من يناير إلى يونيو . وأما في الفترة من يوليو إلى ديسمبر فإنهم لم يشربوا ذلك اللبن . وكان الطبيب يستجوب المشتركين في التجربة كل أسبوع ويستفسر عن صحتهم وما إذا كانوا قد أصيبوا بالبرد أم لا . وبعد سنة استطاع أن يعلن اكتشافه أن شرب اللبن المخيض يساعد على توقي الإصابة بالبرد .

٤ — وجد أحد العلماء عند زيارته لإحدى جزر البحار الجنوبية أن الأهالي يستخدمون شراباً يصنعونه من جذور بعض الأشجار المطبوخة لطرد السحرات وتوقى الأمراض . أوجب عليه أن يهاجم هذه الطريقة باعتبارها خرافة ويحاول أن يمنع الناس من الاستمرار فيها ؟

هـ — ما وجه الخطأ في تفكير الرجل الذي يحمل ربطة من مشتريات البقالة الذي تراه في الرسم الهزلي في (شكل ٣) ؟ ما العلاقة بين خطئه وبين خطأ الطبيب الذي « اكتشف » أن جيبه « الباردة » تشفى الزكام ؟



ولا يدرك أن ما في السيارة على ما يرام فعندما تخرجت من الكلية لم تكن أستطيع أن أحمل ما شئت عشرين دولاراً من أسنات البقالة.

(شكل ٣)

(شكل ٣) إن مقارنة حدث وقع في الماضي بحدث يقع في الحاضر كثيراً ما تتأثر بعوامل متغيرة لا علاقة لها بموضوع المقارنة . والعامل الرئيسي المتغير هنا هو الزيادة الكبيرة التي طرأت على الأسعار في بعض عشرات السنين الماضية .

الفصل الثالث

التعليق المنطقي

نشرت إحدى الصحف القصة بالطريقة التالية :

يحس بمالا يراه

« هربت ولسون » رجل ضرير من أهالي (كنيكوت)
يعمل في شد أوتار البيانو . وقد حدث في عصر يوم الثلاثاء
الماضي أن كان ذاهباً مع زوجته « ادنا » بالسيارة إلى
« ماربلتون » ، وعندما اجتاز البوابة المسماة « أوتوتر تير نبيك »
استدارت زوجته حول منحني في الطريق ثم اتخذت خط
مسير مستقيم ووجهتها الشمال قاصدة ماربلتون ، فقال لها
ولسون : لقد سرت في اتجاه خطأ .. !

وبعد أن قطعت مسر ولسون تسعة أميال اعترفت بأنها
فعلت أخطأت الطريق .

كيف عرف ولسون ذلك وهو ضرير ؟

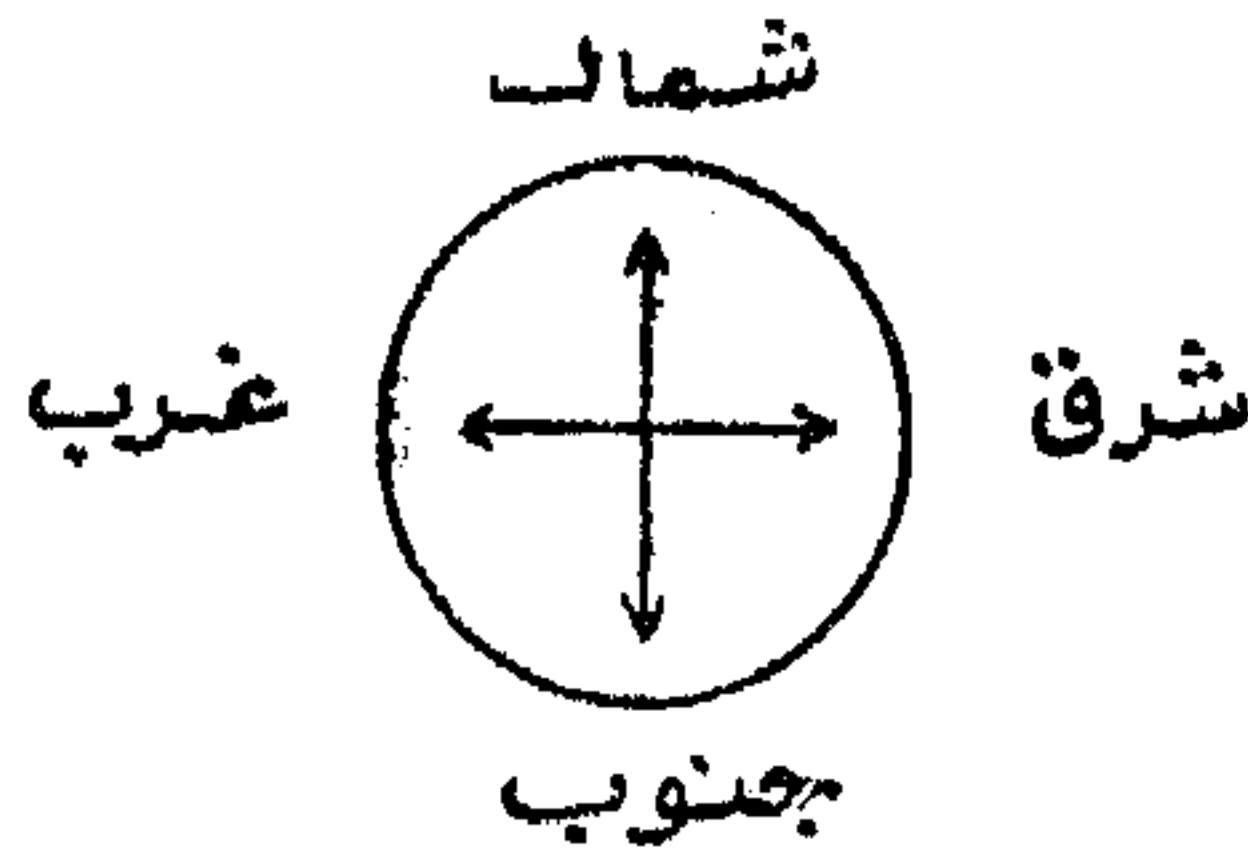
لقد كانت الشمس تسطع على ذراعة النبي وهو جالس
في الجانب الايمن من السيارة وما كان يجب أن يحدث ذلك .

قال ولسون : لو أن اليوم كان غائماً لضللتنا الطريق .

فلندرس بالتفصيل كيف توصل المستر ولسون إلى معلومات جديدة عن
طريق التفكير فيما لديه من حقائق :

الحقيقة الأولى : أن الشمس تدفئ الأجزاء المكشوفة من جسم الإنسان .
الحقيقة الثانية : تكون الشمس في الغرب بعد الظهر .

الحقيقة الثالثة : أن العلاقة بين الجهات الأربع هي كالآتي :



الحقيقة الرابعة : كان المستر ولسون جالساً في الجانب الأيمن من السيارة .

الحقيقة الخامسة : كانت ذراعه اليمنى قد أخذت تدفأ بتأثير الشمس .

الحقيقة السادسة : كان لابد من السير صوب الشمال للوصول إلى ماربلتون

ولعل المستر ولسون قد فكر بالطريقة التالية :

١ - لو كنا سائرين شمالاً لسكانت الشمس الغاربة إلى الجانب الأيسر من السيارة ، ولما شعرت بحرارتها .

٢ - ولكنني أشعر بأن ذراعي اليمنى قد أخذت تدفأ ، ولا شك في أن ذلك راجع إلى الشمس .

٣ - إن القول الأول يتعارض مع القول الثاني ، فلا بد أن أحدهما خطأ ، وما دامت أعرف من خبرتي الشخصية أن القول الثاني صحيح فلا بد أن القول الأول خطأ .

٤ - إن القول الثاني يكون صحيحاً إذا كنا سائرين في اتجاه الجنوب . إذن فنحن الآن سائرون في اتجاه الخطأ .

وهكذا أمكن الوصول عن طريق التفكير إلى معلومات جديدة (أو نتيجة) لم تكن جزءاً من المعلومات الأصلية . ولقد حصل مستر ولسون على هذه المعلومات بأن وضع الحقائق المعروفة له جنباً إلى جنب في عقله ولم يحصل عليها بالملاحظة

(أى بملاحظة أن السيارة كانت تتجه نحو الجنوب) .

ولعل مستر ولسون لم يضع الحقائق جنباً إلى جنب بنفس الطريقة التي بينهاها أنا ، فربما كان قد مر بأجزاء من هذه العملية العقلية في الماضي وأدرك أن دفع ذراعه اليمنى معناه أن السيارة تسير صوب الجنوب ، ولهذا فمن الممكن أن يكون قد وصل إلى استنتاجه في طرفة عين بمجرد أن شعر بدفع ذراعه اليمنى . ولكن عندما نحمل خطوات العملية فإن جميع الخطوات التي بينهاها أنا لازمة للوصول إلى استنتاج صحيح . فإذا استبعدت واحدة منها تعذر الوصول إلى الاستنتاج الذي وصل إليه ولسون . حاول بنفسك وستجد أن كل حقيقة في القائمة المشار إليها يجب أن تكون موجودة للوصول إلى القرار النهائي ، وهو ما نسميه بالنتيجة .

وليس معنى هذا أن النتيجة التي وصل إليها مستر ولسون ما كان يمكن أن تخطيء فنحن لا يمكن أن نسكون راثقين تماماً أننا نملك كل الحقائق المتصلة بموقف ما ، فلنفرض مثلاً أن محملاً قد وضع مصباحاً كهربائياً للتدفئة على الجانب الأيمن من السيارة ، أو أن مستر ولسن كان يشعر بالدفع نتيجة لمهبوب ريح دافئة على ذراعه ، أو لعله كان يشكو نوعاً من الحمى رفعت درجة حرارة ذراعه اليمنى . فإذا سلمنا بأن هذه الحقائق غير المألوفة لم تكن موجودة فإن مستر ولسون قد وصل إلى النتيجة بطريقة منطقية مستخدماً الحقائق التي ذكرناها .

والمنطق هو دراسة القواعد التي يمكن بها أن نضع القضايا المتصلة بموضوع ما بعضها إلى جوار بعض بطريقة صحيحة بحيث يمكن الوصول إلى قضايا جديدة . والقضايا الجديدة المستقاة من قضايا أخرى بطريقة منطقية (أى باستخدام قواعد المنطق) تسمى استنباطات . ويمكن بعد ذلك أن نستخدم هذه الاستنباطات كأساس للوصول إلى استنباطات أخرى ، وهكذا يمكن أن توجد سلسلة من التفكير المنطقي المتصل للوصول إلى معلومات جديدة هامة .

الاستنباط

إنك تلاحظ من تأملك لسلسلة أفكار المستر ولسون أنها تتكون من عدد من الاستنباطات اشترك كل منها في الوصول إلى النتيجة النهائية .

ونحن في تعريفنا السابق الذكر للمنطق والاستنباط لم نشر إلى « الحقائق » كنقطة البدء للوصول إلى حقائق جديدة ، وإنما أشرنا إلى قضايا . إن قواعد المنطق قد استخدمت دون النظر إلى صحة القضايا أو المقدمات أو كذبها . وفي كثير من مواقف الحياة العملية تختلف آراء الناس فيما إذا كانت المقدمات صحيحة أم لا . وهكذا نجد أن مشكلة الوصول إلى نتائج صحيحة في المواقف العملية تنقسم إلى جزئين . وعالم المنطق يهتم بعملية الوصول إلى النتائج من المقدمات ، مفترضاً أن المقدمات صحيحة . وهو يترك لسواه أن يقرر هل المقدمات والنتائج المأخوذة منها تطابق الحقيقة أم لا ؟ وكأ رأينا ، أن ما هو صادق تماماً بالنسبة لإنسان ما قد يكون نصف صادق بالنسبة لإنسان آخر ، وقد يكون غير صادق ألبتة بالنسبة لثالث .

ولكى نحول دون أى سوء فهم لكلمتي « صادق » و « غير صادق » خير لنا ألا نستعملهما في وصف العمليات المنطقية « إن كلمة « صحيح » (Valid) أفضل بكثير لبيان ما إذا كان الاستنباط قد تم بطريقة سليمة ، وبعبارة أخرى إن النتيجة التي نصل إليها من مقدمتين قد تكون صحيحة (أى توصلنا إليها بطريقة منطقية) ، ولكن إذا كانت المقدمتان غير صادقتين فمن المحتمل (وليس بالضروري قطعاً) أن يكون الاستنباط (وهو النتيجة النهائية لعملية التفكير) غير صادق كذلك . وبالعكس قد نبدأ بمقدمات صحيحة ، ولكن باستخدام أساليب غير منطقية في التفكير نصل إلى نتائج غير صحيحة .

فلكى يكون تفكيرنا في مواقف الحياة اليومية تفكيراً صحيحاً من المهم أن نبدأ بمقدمات صحيحة وأن نستخدم الأساليب المنطقية في التفكير . فأنت إذن بحاجة إلى حقائق (أى قضايا صادقة عن أمور حقيقية) ثم لا بد لك من أن تستخدمها بطريقة منطقية للوصول إلى نتائج صحيحة مستنبطة من تلك الحقائق .

والآن فلنتأمل طبيعة الاستنباط عن طريق التمثيل إليك مقدمتين :

١ — إن النظام الجمهوري هو خير نظم الحكم .

٢ — إن حكومة « أنتولا » جمهورية .

لاحظ أن المقدمة الأولى هي رأى قد توافق عليه وقد لا توافق . فلنفترض أن المقدمة الثانية حقيقة . ولكن بصرف النظر عن صدق القضيتين أو كذبهما لنتبرهما مقدمتين فنتجاهل مؤقتاً كونهما صادقتين أو كاذبتين لفصل إلى نتيجة .
فنحن هاتين المقدمتين نستنتج الآتي :

٣ — وإذن فانتولا تملك أحسن نظم الحكم .

هذه النتيجة (القضية الثالثة) قد توصلنا إليها بالطريق الصحيح من المقدمتين الأولى والثانية ، فهي إذن نتيجة صحيحة . ولكنك قد تذكر إنكاراً تاماً صحة هذه النتيجة في هذه الحالة تكون محاولتك لإثبات كذبها موجهة ليس إلى الطريقة المنطقية التي توصلنا بها إلى النتيجة ولكن إلى صدق أو كذب المقدمتين .

إن القضايا الثلاث التي قدمناها الآن هي مثال لما يعرف في المنطق بالقياس المنطقي ، ففي القياس نجد مقدمة كبرى (القضية رقم ١) ومقدمة صغرى (القضية رقم ٢) ثم استدلالات مأخوذة منهما (القضية رقم ٣) .

وفي دراسة المنطق تستبعد تفاصيل القضايا ويعمم شكل للقياس باستخدام الحروف مثل أ ، ب ، ج لتمثل الأجزاء الرئيسية للقضايا . ففي المثال السابق الذكر يكون الشكل المنطقي كالآتي :

١ — أ (الجمهورية) هي ب (خير نظم الحكم) .

٢ — ج (حكومة أنتولا) هي أ (جمهورية) .

٣ — وإذن ج (حكومة أنتولا) هي ب (خير نظم الحكم) .

والشكل العام للقياس المنطقي هو :

١ - ا هو ب (القضية الكبرى)

٢ - ج هو ا (القضية الصغرى)

٣ - إذن ج هو ب (الاستدلال)

هذا هو ما يسميه المنطق بالقياس الحتمى ، أى إنه قياس مكون من ثلاث قضايا بسيطة . وفغلاً عن المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى والاستدلال فإن لهذا النوع من القياس المنطقى ثلاثة أنواع من الحدود : الحد الأكبر الذى نجده مرة فى المقدمة الكبرى ومرة ثانية فى الاستدلال ، والحد الأصغر الذى نجده مرة فى المقدمة الصغرى ، ومرة فى الاستدلال ، والحد الأوسط الذى نجده مرة فى المقدمة الكبرى ومرة فى الصغرى ، ولكننا لا نجده أبداً فى الاستدلال . وفى القياس السابق الذكر الحد الأكبر هو ب (خير نظم الحكم) أو الحد الأصغر هو ج (حكومة انتولا) ، والحد الأوسط هو ا (جمهورية) . وبما أن هذا القياس قد وضع وضعاً صحيحاً طبقاً لقواعد المنطق الشكلى فلا بد أن نصل إلى النتيجة من المقدمات ، وبعبارة أخرى إن الاستنباط نتيجة لازمة للمتقدمين .

إن الاستنباط هو عملية عقلية تتأوى تحت عنوان أعم هو الاستدلال . والاستدلال هو أى نتيجة نصل إليها عن طريق التفكير . أما الاستنباط فهو نوع خاص من الاستدلال نحصل عليه كنتيجة لازمة لقضايا أخرى كما وصفنا آنفاً . وهناك — كما سترى بعد حين — أسلوب آخر للتفكير نصل عن طريقه إلى النتائج .

ولابد هنا من الإشارة إلى عملية من عمليات الاستنتاج وثيقة الصلة بالاستدلال وإليك مثلاً عليها من مواقف الحياة اليومية : فننقرض أنك مدعو للعشاء فى منزل صديق . وقرب منتصف الليل ينهض صديقك فيطفيء بعض الأنوار ويغلق الباب الخافى ويضع بعض ماء الشرب لسكبه ، ثم يعود إلى غرفة الجلوس وهو يكتفم تشاؤبه ويتطلع إلى الساعة . إنك تستنتج من مسلك صديقك أنه يود لو غادرت منزله ، وتدل تصرفات صديقك على أن هذا هو ما يرغب فيه .

الاستقراء

تأمل الآن هذا النوع من الاستدلال المبني على الملاحظة الفعلية للمنازل .

١ — إن المنزل أ في المجموعة السكنية التي أقطنها صندوق الشكل .

٢ — إن المنزل ب في المجموعة السكنية التي أقطنها صندوق الشكل .

٣ — كل المنازل في المجموعة السكنية التي أقطنها صندوقية الشكل .

٤ — كل المنازل في هذه المدينة صندوقية الشكل .

٥ — وإذن فكل المنازل صندوقية الشكل .

كيف وصلنا إلى النتيجة (القضية ٥) ؟ لقد جمعنا حقائق منفصلة عن جميع المنازل في المجموعة السكنية ، ثم عن كل منزل في المدينة ، فلاحظنا أن كل منزل منها صندوقي الشكل وقد استنتجنا من هذه الحقائق أن جميع المنازل في المدينة بغير استثناء صندوقية الشكل ، وقد نستطيع من هذه الحقائق أن نستنتج أن جميع المنازل في كل مكان صندوقية الشكل . ففي هذه الحالة وصلنا إلى النتيجة بطريق الاستقراء وليس بطريق الاستنباط .

والمشكلة في تعميم الحكم على جميع المنازل في كل مكان بأنها صندوقية الشكل هي أننا لن نستطيع أن نتأكد من أنه لا توجد بيوت يختلف شكلها عن الشكل الصندوقي في مناطق نائية لم نرها . ولقد نجد بعض المنازل من هذا الطراز في المدينة المجاورة أو في مدينة أخرى بعيدة ، وقد تكون المنازل الصندوقية الشكل في بلد أجنبي هي الاستثناء وليست القاعدة .

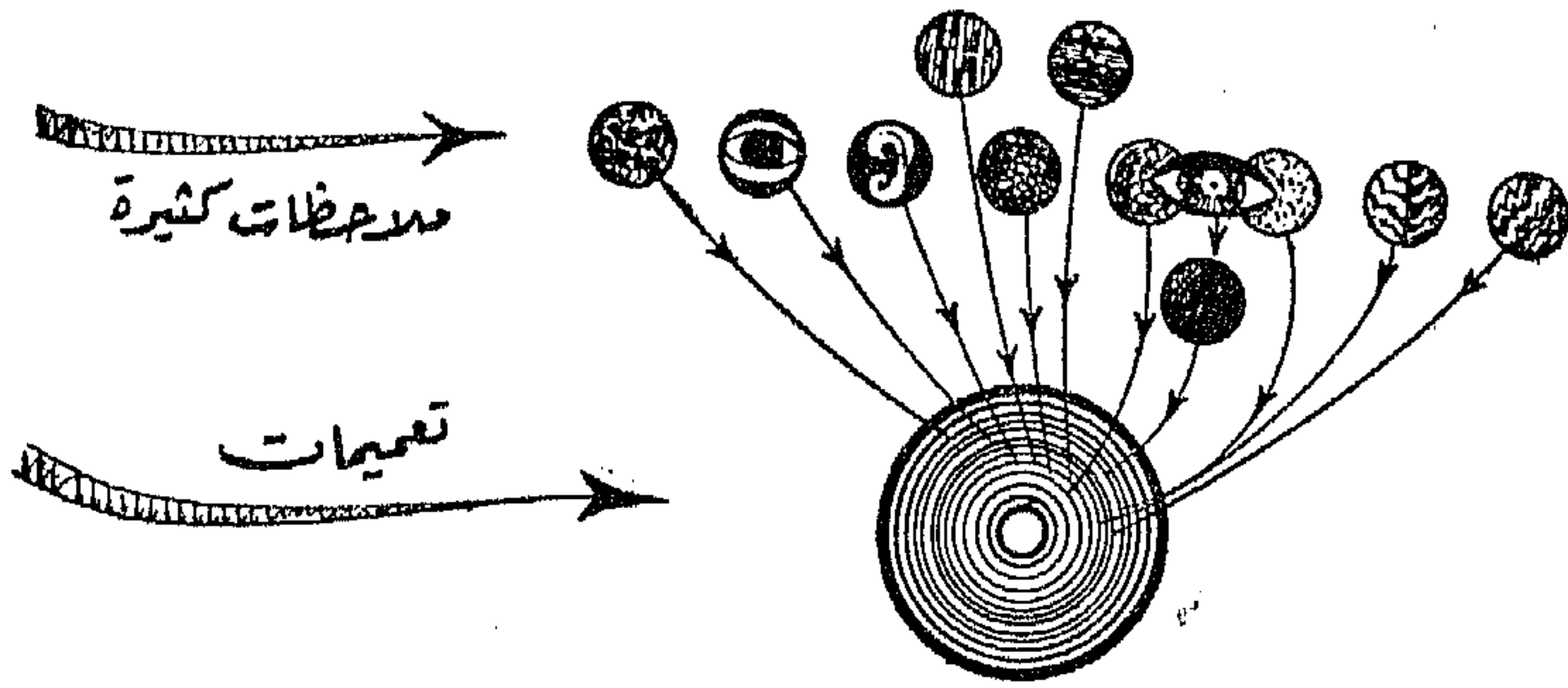
فعندما نصل إلى نتيجة ما بطريق الاستقراء من عدة حقائق لاحظناها ليس من المحتمل أن تصدق تلك النتيجة على كل حالة بذاتها . فلو عددنا ألف منزل صندوقي الشكل ووصلنا إلى نتيجة أن المنازل صندوقية الشكل ، فمن أين لنا أن نعرف أنه لا يوجد منزل دائري الشكل وراء الناصية حيث وقفنا في إحصائنا

للنازل ؟ إن النتيجة التي نصل إليها بالاستقراء تختلف عن النتائج التي نصل إليها بطريق الاستنباط في أنه لا يمكن إثباتها منطقياً ، فإننا لا يمكن أن نجزم بأن النتيجة التي وصلنا إليها تصدق على كل حالة إلا إذا لاحظنا كل حالة بذاتها في كل مكان وفي كل زمان : في الماضي والحاضر والمستقبل . وواضح أن هذا محال ، وإذن فإننا لا يمكن أن نجزم بأن النتائج التي نصل إليها بطريق الاستقراء هي نتائج صحيحة مائة في المائة .

وبالرغم من هذا فإن الاستدلال عن طريق الاستقراء عنصر هام من عناصر التفكير ، وهو الأساس لكثير من الحقائق التي نعتقد في صدقها .

إننا نحصل على معظم الحقائق عن البيئة المحيطة بنا عن طريق الخبرة والتجارب والقياس والملاحظة ، فنحن نرى الأحداث ونسمعها ونحن بها ، فإذا كنا بعد خبرتنا بنوع معين من الأحداث نلاحظ حدوث نفس الأشياء باطراد فإننا نلخص ملاحظتنا المتفرقة بشكل تعميم (شكل ٤) ، وهذه العملية هي عملية استقراء وليست عملية استنباط .

فمثلاً إذا أمسكت بكرة في الهواء ثم تركتها سقطت ، وإذا أمسكت بقطعة نقد وتركناها في الهواء سقطت كذلك ، وربما قمنا بهذا العمل ألف مرة في حياتك وفي كل مرة يسقط الشيء ، وهكذا نتيجة لتجاربك هذه استنتجت بطريق الاستقراء أنه « إذا أمسكنا بجسم في الهواء ثم أفلتناه يسقط » .



(شكل ٤) التفكير الاستقرائي هو تكوين أحكام عامة مبنيّة على عدد من الملاحظات التي أجريت على أحداث متشابهة . وهذه هي الطريقة التي نحصل بها على كل الحقائق العامة التي نتعلمها عن العالم الذي نعيش فيه .

ثم إنك عندما تقارن خبراتك بخبرات سواك تجد أنهم قد وصلوا إلى نفس النتيجة كما تجد نفس الشيء مذكوراً فيما كتب الأقدمون من كتب، وهكذا يصبح هذا القول حقيقة مقبولة في كل مكان أي إنه يصبح حقيقة أساسية عن بيئتنا يقبلها الجميع .

ولكنك قد تذهب ذات يوم إلى حفل لعرض الألعاب السحرية فتري الساحر ممسكاً بتفاحة في الهواء ، فإذا تركها غمرتك الدهشة ؛ إذ تراها ترتفع بدلاً من أن تسقط . وهنا تساورك للشكوك وتتساءل : ماذا فعل الساحر بهذه التفاحة ؟ أعل التفاحة متصلة بخيط دقيق يخترق ثقباً صغيراً في سقف المسكن يجذبه منه أحد مساعديه إلى أعلى ؟

في مثل هذا الحادث ينشأ تعارض بين الحقيقة التي نعرفها وبين ما تلاحظه فإن ما يحدث أمامك يخالف ما تعرف أنه الصحيح وعندئذ تبدأ في البحث عن السبب في أن ما حدث لتفاحة الساحر يخالف ما لوف خبراتك .

فلنفرض أن مثل هذا التناقض لا يحدث في عرض للألعاب السحرية ، ولكن في الهواء الطلق ، وفي يوم صحو ، ولنفرض أنك لا تستطيع الوقوف على السبب في أن التفاحة ترتفع بدلاً من أن تسقط : عندئذ لابد لك من أن تغير ما اعتبرتة حقيقة بشكل ما كأن تقول مثلاً :

١ — إن الأجسام التي نمسك بها في الهواء (فيما عدا هذه التفاحة) تسقط إذا تركناها .

أو ٢ — إن الأجسام التي نمسك بها في الهواء ثم نتركها تسقط د في أغلب الأحيان .

اذكر أية حقيقة تشاء ، وذلك أن تختار من الحقائق ما تعتبره مؤكداً تام

التأكيد كالحقيقتين الآتيتين : « تشرق الشمس في الشرق ، أو « في اليوم أربع وعشرون ساعة » . إنك لا تستطيع ان تجزم بأن هذه الحقائق ستبقى هكذا إلى الأبد أو حتى في الغد . والواقع أن العلماء يعتقدون أن سرعة دوران الأرض تقل بالتدريج وربما حدث بعد عدة بلايين من السنين أن تصبح الأرض مواجهة للشمس بجانب واحد منها طول الوقت ، وعندئذ يمتد طول اليوم إلى الأبد ولا تشرق الشمس ولا تغرب قط . إن الحقائق التي تصدق على الشمس اليوم قد لا تصدق في ذلك التاريخ البعيد ، وهكذا نرى أنه لا يمكن أن نثبت أن حقيقة ما تصدق في كل الأزمنة وفي جميع الأماكن والظروف .

ونستطيع أن نجتمع بين طريقتي الاستنباط والاستقراء لنكون رصيداً كبيراً من المعرفة ، ونحن نبدأ عادة بملاحظة بيئتنا مستخدمين حواسنا في الحصول على المعلومات ، ثم نعمم لنصل إلى الحقائق الهامة . هذا هو الجزء الاستقرائي من العملية . ثم نستخدم هذه الحقائق كمقدمات نصل منها إلى نتائج بطريق الاستنباط . ولكي نختبر مدى صحة هذه النتائج نعود إلى الملاحظة والتجريب . وأخيراً نخرج من هذا المزيج من الاستنباط والاستقراء بأفكار وحقائق جديدة هامة عن العالم الذي نعيش فيه .

فلنتابع السير في هذه العملية مستخدمين المثال الذي ضربناه آنفاً لما نصل إليه بطريق الاستقراء ، وهو قولنا : « إذا أمسكنا بجسم في الهواء ثم تركناه سقط » . يمكننا أن نستخدم هذا القول كمقدمة نستنبط منها نتائج كما ترى مما يأتي :

١ — تسقط الأشياء إذا أمسكناها في الهواء ثم تركناها .

٢ — هاهي ذى تفاحة ممسوكة في الهواء .

٣ — للتفاحة شيء من الأشياء .

٤ — إذا تركنا هذه التفاحة سقطت .

ولعلك لم تر هذه التفاحة قط من قبل ، ولستكنك لا تدهش أبداً لسقوطها كما تنبأت . وفي كل مرة تنبأ كما فعلت في هذه المرة وتجرب نبوءتك فتتحقق ويسقط الجسم على الأرض تزداد الحقيقة رسوخاً عندك . وعندما تتكرر أمثال هذه الأحداث مئات المرات أو ألوفها من ملايين الناس أو بلايينهم تصبح الحقيقة آخر الأمر مقبولة من الجميع باعتبارها صحيحة .

الرياضيات استنباطية بطبيعتها

إن الرياضيات تعتبر مثالا لفائدة الأساليب الاستنباطية في التفكير ، فإن أى فرع من فروع الرياضيات يبدأ ببضعة تعاريف قليلة ، ومصطلحات غير محدودة ، وبديهيات ، وهى أقوال نقبلها باعتبارها صحيحة وإن لم تثبت صحتها . فمثلا نبدأ في علم الهندسة بكلمات مثل « الخط » و « النقطة » وهى أشياء لا يمكن في الواقع أن تحدد تحديداً كافياً . وهناك بعض المصطلحات المحددة مثل « المثلث » و « الدائرة » . ومن البديهيات في الهندسة مثلاً قولك : « لا يمكن أن يمد الخط مستقيماً واحداً بين نقطتين » . وليست هناك وسيلة لإثبات صحة هذا القول ولستكننا نقبله كمقدمة نثق عليها نوعاً من الهندسة . فإذا رمزنا لهذه المقدمات في علم الهندسة بالدوائر الصغيرة على الخطأ في (شكل ٥) فإننا نستطيع أن نستنبط منها بعض النتائج (على الخطاب) .

ثم نستطيع بضم النتائج إلى التعاريف والمصطلحات غير المحددة والبديهيات أن نستنبط نتائج جديدة (الخط ج) وقد استطاع علماء الرياضيات بهذه الطريقة أن يبنوا علم الهندسة على أساس المنطق . ونستخدم نفس العملية في علوم الحساب والجبر وحساب المثلثات والفاضل والتكامل الخ .

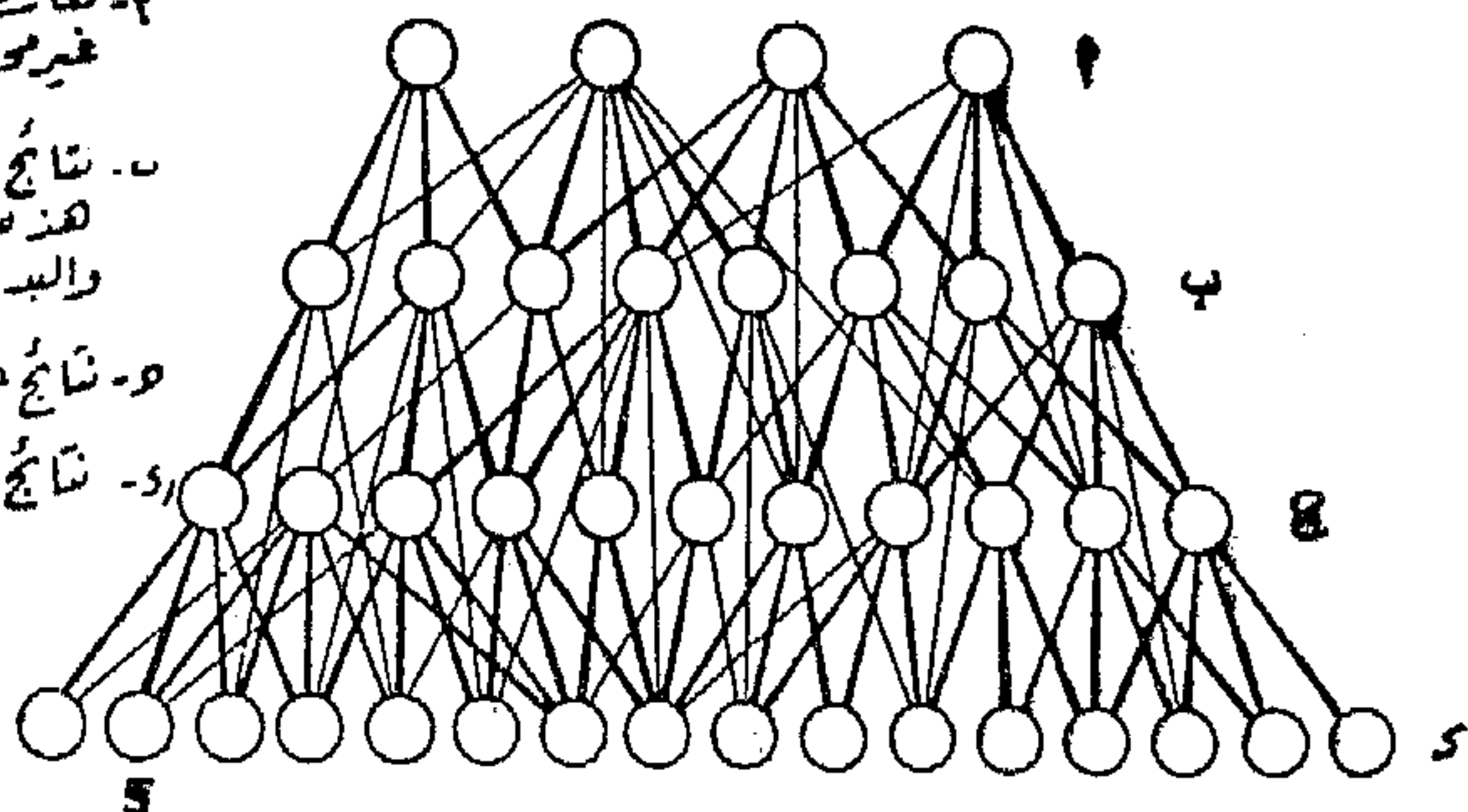
ونظام العدد المألوف لك مبنى على أساس العشرة ، ويستخدم الرموز ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، صفر كأرقام . فإذا ما حدد معنى هذه الرموز وطبقت عليها بعض القواعد الأساسية فإن أى رياضى فى أى مكان على الأرض يستطيع أن يضع نظاماً كاملاً للجمع والطرح والضرب

٩- تفاريحي ، مصطلحات
غير محدّدة وبيرونيات

ب. نتایج مستنبطه است
لهذه التفاريقتين
والله مهتات الخ

۵۰۔ نتائجِ ہدیہ مستنبطہ

د۔ نتائجِ اُخریٰ مستنبطہ



(شکل ۵)

(شكل ٥) في التفكير الاستنباطي نصل إلى النتائج من المقدمات . وقد بنيت الرياضيات كلها على هذا الأساس . ولكننا لا نستطيع أن نستوثق أن ما نصل إليه من نتائج يلائم عالم الواقع ، لأنه ليس من الضروري أن تكون المقدمات مطابقة لواقع الحياة .

ثم يأتي رجال الأعمال والبنوك والمحاسبون والنجارون والبقالون فيستخدمون أجزاء هامة من هذه النظم الرياضية ليؤدوا أعمالهم اليومية في التعامل بالمال ، وفي إعطاء الوزن الصحيح ، وفي تشييد المنازل تشييداً سليماً ، فيجدون أن النظم التي توصل إليها علماء الرياضيات عن طريق الاستنباط ذات قيمة عملية بالنسبة إليهم . ولكن ليس هذا هو الدافع الأساسي الذي يحفز العالم الرياضي إلى العمل فهو كثيراً ما يضع نظاماً رياضياً ليست بذات فائدة عملية معروفة ، وإن كان من الممكن أن تظهر لها فائدة في المستقبل .

فمثلاً تأمل العبارة الرياضية الآتية : $١ + ١ = ٢$. ، . يحتمل أن تقول من أول نظرة إن هذا القول خطأ . ولكنه قد لا يكون بالضرورة خطأ فهو خطأ بالنسبة لنظام العد المألوف لنا، وهو النظام المبني على أساس عشرة أرقام .

ولكن العبارة صحيحة إذا اعتبرنا نظام العد المبني على رقمين اثنين ، وهو النظام المسمى بالنظام الثنائي ، وهو نظام لا يستخدم إلا الرمزين ١ ، صفر . أما الرموز ٢ ، ٣ ، ٤ الخ فليست مستخدمة فيه . وفي النظام العشري نجد أن الرمز (١٠) ، معناه عشرة واحدة ولا آحاد . أما في النظام الثنائي فإن الرقم (١٠) ، معناه « اثنان واحدة ولا آحاد » ، وإذن فالعبارة المبينة على النظام الثنائي التي تقول إن $1 + 1 = 10$ صحيحة وتعني تماماً ما تعنيه العبارة المبينة على النظام العشري التي تقول $1 + 1 = 2$ ؛ لأنها عبارة صحيحة طبقاً للنظام العددي المستخدم .

ولقد تعجب : ما فائدة مثل هذا النظام العددي العجيب ؟ وإلى وقت قريب لم تكن ثمة فائدة عملية تذكر لعلم الحساب المبني على أرقام هذا النظام الثنائي ؟ ولكنه قد أصبح الآن عظيم الأهمية في تشغيل العقول الآلية الضخمة التي بدأت تؤثر تأثيراً عميقاً في حياتنا العملية .

ولذلك مثالا آخر : تأمل كيف تطورت الأنواع المختلفة لعلم الهندسة ؛ فالهندسة العادية التي تستخدم في حياتنا اليومية في العالم أجمع هي التي وضعها الرياضي الإغريقي اقليدس بالتفصيل منذ نحو ألفي عام . في هذا النوع من الهندسة أمكن استنباط حقائق عديدة معقدة عن الزوايا والمثلثات والمستطيلات والمربعات والدوائر ومتوازيات المستطيلات والمكعبات والسكرات والمخاريط وغيرها من الأشكال — كلها أمكن استنباط حقائق عديدة معقدة عنها من بضع مقدمات قليلة . ولكن علماء الرياضيات في العصور الحديثة الذين بدأوا بديهيات مختلفة قليلاً عن بديهيات اقليدس استطاعوا أن يبتكروا أنواعاً مختلفة من الرياضيات « غير الإقليدية » . ففي القرن الحالي وجد « أينشتاين » أن هذه الرياضيات الجديدة أقدر على تفسير طبيعة الكون من الهندسة الإقليدية التي كانت شيئاً طبعياً جداً لأولئك الذين اعتادوا عليها .

إن العلماء والباحثين يحصلون على المعرفة باستخدام الأساليب الاستقرائية مع الأساليب الاستنباطية (بمسافها الرياضيات) ، فهم يجمعون الحقائق ثم يتوصل بعض ذوى الابتكار إلى القيام « بفترات استقرائية » توصلهم إلى نتائج هامة

ومن هذه النتائج يستنبطون النظريات . وتفحص النظريات بجمع عدد أكبر من الحقائق ، فإذا ثبتت صحتها فإنها تعتبر مبادئ أو قوانين . ثم يأتي المهندسون والأطباء وغيرهم من الرجال العاملين فيطبقون هذه المبادئ والقوانين وتأني أجيال جديدة من العلماء والرياضيين ويستفيدون من سبقهم ويستخدمون نفس العملية للسير قدما نحو المجهول

الاستدلال في مواقف الحياة اليومية

إن الاستنباط والاستقراء جميعاً جزء من عملية الاستدلال والحصول على معرفة جديدة . فالاستدلالات إما أن تكون استنباطية وإما استقرائية في طبيعتها . ويمكن توضيح الطريقة التي تعمل بها هذه الاستدلالات في حياتنا اليومية بواسطة بعض الأمثلة التي نعرضها بشأن الصورة في (شكل ٦) .

إننا نرى في الصورة بعض مناطق معتمة وأخرى مضيئة



(شكل ٦)

(شكل ٦) ادرس هذه الصورة بعناية ، ثم استنتج كل ما تستطيع استنتاجه عن الأشخاص والأشياء والموقف كله .

ونحن نعلم من خبرتنا أنها تمثل أشكالا لأشخاص ، ولسنا نعرف هل هؤلاء الأشخاص قد عاشوا فعلا ؟ فربما كانت الأشكال قد رسمت على الورق بواسطة فنان ماهر . أما إذا كانت هذه صورة فوتوغرافية (ولسنا واثقين من ذلك تماما) فإن ما فيها من أشكال يمثل أشخاصا . والآن أجب عن الأسئلة الآتية مستخدما ملاحظتك للتفاصيل الظاهرة في الصورة . حاول أولا أن تجيب عن الأسئلة بنفسك ، ثم قارن إجابتك بالإجابة التي ستلي الأسئلة :

١ — ما هي صلة القرابة المحتمل وجودها بين الأشخاص الذين تراهم في الصورة ؟

٢ — ما هي أعمارهم بالتقريب ؟

٣ — أين أخذت الصورة ؟

٤ — ما جنسية كل شخص في الصورة ؟

٥ — كيف كان الطقس عندما أخذت الصورة ؟ ماذا كانت درجة الحرارة بالتقريب ؟

٦ — في أي فصل من فصول السنة أخذت الصورة ؟

٧ — في أي وقت من النهار بالتقريب ؟

٨ — في أي اتجاه كان المصور ينظر عندما التقط الصورة ؟ (الشمال ؟ الجنوب ؟ الشرق ؟ الغرب ؟) .

الاجابة عن السؤال الأول

نستطيع أن نستنتج أن الصورة لأسرة مكونة من أربعة أفراد : الأب ، والام ، والابن ، والابنة ، يؤدون عملا ما مع مضيقة جوية وموظف فرنسي لعله من موظفي المطار أو رجال الشرطة الفرنسية . ويمكن استنتاج وظيفتي الشخصين

الآخرين من الملابس التي يرتدونها . أما استنتاج أن الأربعة يكونون أسرة فيؤكده الطريقة التي أحاط بها الرجل الفتاة الصغيرة بذراعه .

الإجابة عن السؤال الثاني

قد يختلف الناس بعض الشيء في الإجابة عن هذا السؤال ، ولكنهم مهما اختلفوا فإن هناك مجالا أو نطاقا معيناً سيتفق أغلبهم في داخله ، فيمكننا أن نستنتج من حجم الفتاة أنها بين السابعة والثامنة من العمر . أما الصبي فهو أطول قليلا من الفتاة ، ويحتمل أن تكون سنه بين الثامنة والعاشرة . ويمكننا أن نحكم من مظهر الأم وخلو وجهها من التجاعيد ، وكذلك من سن الطفلين ، أنها في نحو الثلاثين من العمر ؛ في حين يظهر أن الأب تتراوح سنه بين الثلاثين والأربعين . أما المضيفة فوجهها به القليل من التجاعيد ؛ ولذلك يحتمل أن تكون بين العشرين والثلاثين . وأما الموظف الفرنسي فوجهه بمعدل بعض الشيء ولكنه ليس متقدما في السن ؛ ويمكننا أن نستنتج من مظهره أن سنه حوالي خمسين عاماً .

وقد يختلف الناس في تقديراتهم ؛ ولكن هناك مدى مقبولا من معظم الناس ؛ فمثلا يحتمل ألا يقبل معظم الناس سن ١٦ سنة أو سن ٣ سنوات للفتاة . كما أن سن ٢٥ سنة للموظف الفرنسي يعتبر في نظر معظم الناس سنا صغيرة جدا . ومن وسائل تضيق مدى الحدس والتخمين أن نستبعد الأطراف سواء أكانت بالزيادة أو النقصان ؛ فمثلا بالنسبة للفتاة يمكننا أن نضع السن من سنة إلى ١٥ سنة . وواضح أنه يستحيل قبول السن من سنة إلى ثلاث . أما سن أربع سنوات فهي ممكنة (وفي هذه الحالة لا بد أن تكون الفتاة نامية نموا غير عادي بالنسبة لسنها) . وأما من سن الخامسة إلى سن العاشرة فهي احتمالات . سن ١١ و سن ١٢ بعيدا الاحتمال ، والسن من ١٢ إلى ١٥ تتراوح بين غير المحتمل والمستحيل .

فإذا أخذت طرفي الإجابات المحتملة — من أربع إلى عشر — لوجدت أنها تمتدنا إلى حد كبير من تخمين السن فالتوسط بين أربع وعشر هو سبع ؛ ولهذا

يحتمل أن تكون سن السابعة سنأ تقريبية معقولة . ومعظم الناس يفكرون بهذه الطريقة ويستبعدون الأطراف للوصول إلى الجواب .

الرجابة عن السؤال الثالث

لنا نرى في عبارة « مرحباً بكم في باريس » ، كما نلاحظ طائرة وسيدة مرتدية زي المضيفات ، ولهذا نستنتج أن هذا المكان هو مطار في باريس .

ولاحظ أننا في هذا الموقف العملي نستطيع أن نجمع قدراً كبيراً من المعلومات عن طريق الملاحظة ، ثم الاستنباط ، ولكن الاستنباط مبنى على مقدمات لسنا واثقين بصدقها . فربما أخذت هذه الصورة في أحد استديوهات التصوير في الولايات المتحدة ، أو في غيرها من البلاد ، واستخدمت ستارة مناسبة ومستلزمات المنظر . بل ربما كانت الصورة مجرد رسم متقن .

ولهذا فكل ما نستطيع أن نقوله عن استنتاجاتنا هو أنه من المحتمل أن تكون صحيحة . أما القول بأن استنتاجاً ما يعتبر بعيد الاحتمال أو شديد الاحتمال ، فذلك أمر نتعلمه عن طريق الخبرة ، فكلما تقدمنا في السن فإن ما جمعناه من حقائق بطريق الاستقراء والاستنباط يعطينا معلومات تتزايد بالتدريج نبنى عليها استنتاجات بشأن ما نراه أو نسمعه أو نحسه أو نقرؤه . ولا يمكننا قط أن نتأكد من أى واحد من هذه الاستنتاجات ، ولكننا نستطيع أن نصل إلى حدس قريب جداً من الصحة باستخدام قدرتنا على التحليل بالإضافة إلى استخدام الحواس .

الرجابة عن السؤال الرابع

إن العبي يحمل حقيقة قد كتبت عليها بضع كلمات بالإنجليزية واسم شركة طيران أمريكية فنستدل من ذلك على أن هذه الأسرة قادمة من الولايات المتحدة ، كما أن أفرادها يرتدون ملابس يظهر أنها أمريكية — وإن كنا لسنا متأكدين من

ذلك — ولا نستطيع أن نعرف جنسية المضيئة على وجه التحقيق ولكننا نستطيع أن نستنتج أنها أمريكية لأنها على ما يظهر ذات صلة بشركة طيران أمريكية . ولكن هنا أيضاً لا نستطيع أن نكون متأكدين تماماً من استنتاجنا .

أما الرجل الواقف إلى يمين الصورة فإن معطفه وقبعته يظهر أنهما فرانسيان ، ولذلك نستطيع أن نستنتج أنه فرنسي الجنسية . ولكن هنا أيضاً لسنا واثقين تماماً من هذا الاستنتاج .

الإجابة عن السؤال الخامس

نستدل من شدة الضوء وعمق الظلال على أن الشمس مضيئة ولا تظهر أية سحب في الصورة . ونحن نرى معاطف وقفازات ، فالطقس إذن صاف خال من من السحب ولكنه بارد . ولكنه ليس شديد البرودة بدليل أن كلا من السيد والسيدة قد خلع معطفه .

فلنحاول الآن أن نصل إلى درجة حرارة الطقس بطريقة التقدير :

٣٠ فهرنهايت — غير ممكن لأنه في هذه الحالة كان الجميع يرتدون معاطفهم .

٤٠ — ممكن ولكن في هذه الحالة يحتمل أن يلبسوا معاطفهم .

٥٠ — ممكن .

٦٠ — غير محتمل فإن الناس عادة لا يلبسون قفازات صوفية في هذه الدرجة من الحرارة .

٦٠ — غير ممكن فإن المعاطف والقفازات لا تلبس قطعاً في هذه الدرجة من الحرارة .

ومن هذه القائمة نستنتج أن درجة الحرارة المحتملة هي ٥٠° فهرنهايت .

الدجاية عن السؤال السادس

نستنتج من كون الصبي والمضيضة يلعبان قفازيهما أن الفصل من السنة يحتمل أن يكون قريباً من الشتاء . ويمكننا بالأكيد أن نستبعد الصيف ، ولهذا فإن الفصل يحتمل أن يكون أواخر الخريف أو أوائل الربيع .

الدجاية عن السؤال السابع

إن الظلال التي تلقيها الشمس تعطينا بعض الأدلة التي تساعدنا على الوصول إلى الإجابة ، فانت تلاحظ أن جميع الظلال تظهر منخفضة قليلاً عن الأجسام التي تلقي هذه الظلال ، ويلاحظ هذا بصفة خاصة في الورقة التي تمسك بها المضيضة وفي ظل المعطف الذي تلبسه المضيضة . ومن هذا نستنتج أن الشمس منخفضة في السماء ، ومعنى هذا أن الوقت إما أن يكون الصباح الباكر وإما ساعة الأصيل .

ولابد من أن نكتفي بهذا القدر من الاستنتاج ، لأنه ليست هناك دلائل حقيقية تدلنا على أي الحدين أصدق ، ولكن ربما استطعت أنت أن تصل إلى دليل .

الدجاية عن السؤال الثامن

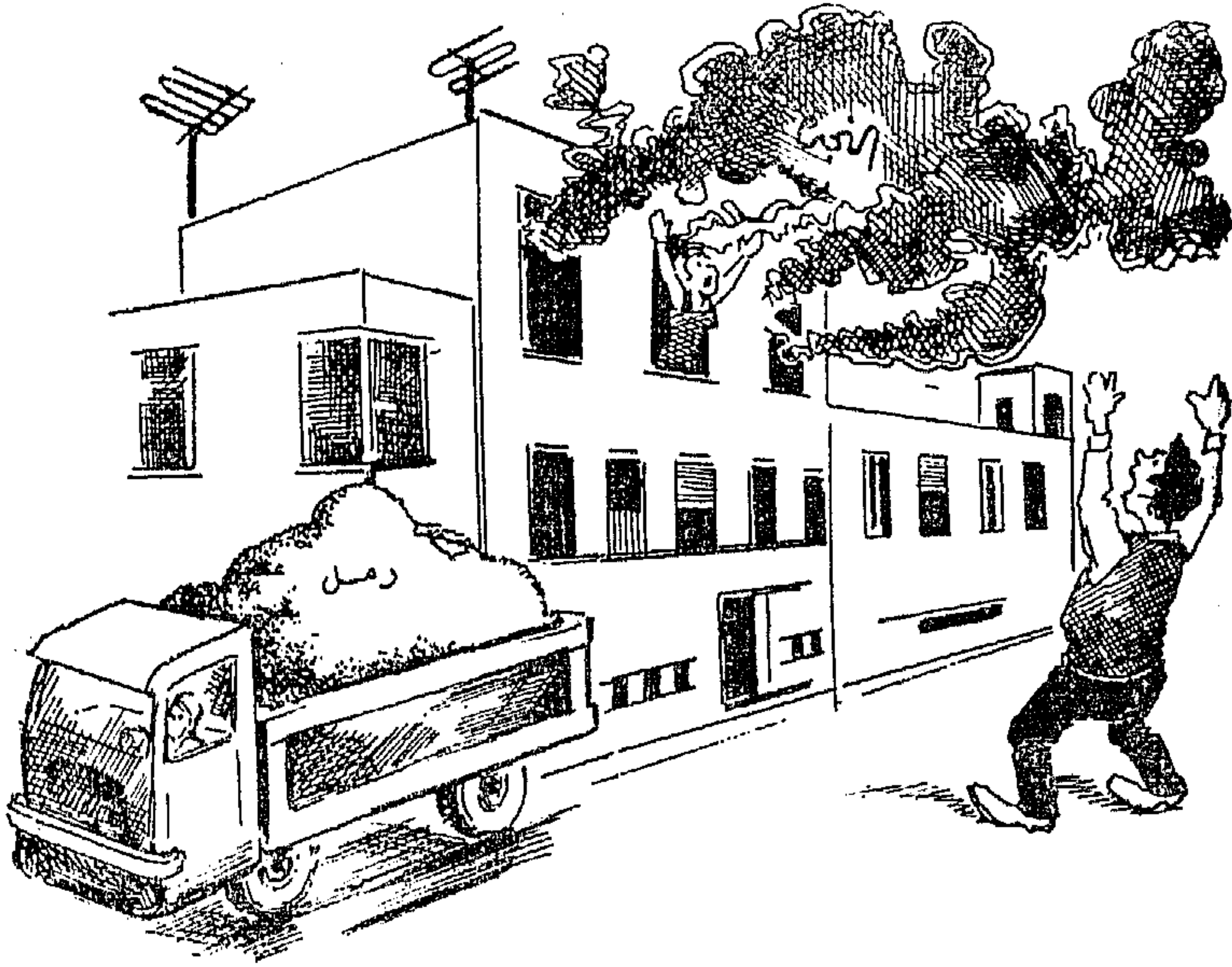
يظهر من الظلال أن الشمس تسطح من يمين المصور وخلفه بقليل . فإذا كان الوقت هو الصباح الباكر فالشمس في مكان ما في الشرق أو في الجنوب الشرقي إلى اليمين ، وهكذا يكون المصور مواجهاً للشمال أو الشمال الشرقي . أما إذا كان الوقت هو الأصيل فإن الشمس على اليمين تكون في الغرب ، وفي هذه الحالة يكون المصور مواجهاً الجنوب تقريباً .

وما دمنا لانستطيع أن نحكم على ما إذا كان الوقت صباحاً أو أصيلاً فلنترك المسألة عند هذا الحد . ومن المحتمل جداً أنه يمكننا أن نستبعد الشرق والغرب ، وبذلك نستنتج أن المصور يواجه إما الشمال وإما الجنوب .

حاول أنه تجر الحلول لهذه المشكلات

(الحلول في آخر الكتاب)

١ - بين (شكل ٧) فتاة في مازق ، فهي في منزل يحترق . يمكنك أن تستخدم خيالك الإبداعي ، واستنباطك المنطقي ، لنضع خطة لإنقاذ الفتاة وإخراجها من هذا المنزل بسلام



(شكل ٧)

(شكل ٧) إن التفكير الواضح يمكن أن ينقذ هذه الفتاة ، فما الذي تقترحه لإنقاذها ؟

٢ - ترى في (شكل ٨) سيارة تظهر كأنها تطير في الهواء وأنت ترى السائق جالسا إلى عجلة القيادة ، فما الذي نستنتجه من هذه الصورة إذا سلّمنا جدلاً

بأنها صورة حقيقية وليست مزورة ؟ حاول أن تضع بضعة أسئلة وأجب عليها ،
وحاول أن تقدر مدى احتمالات الصحة في إجاباتك .

٣ - استخدم التفكير الاستقرائي لتستنتج الأنماط التي رتبته على أساسها
هذه الحروف والأرقام المتتابعة ثم اذكر الحروف أو الأرقام التي يحتمل أن
تتلوها .

(أ) ج ن د ر ج ن د ر ج

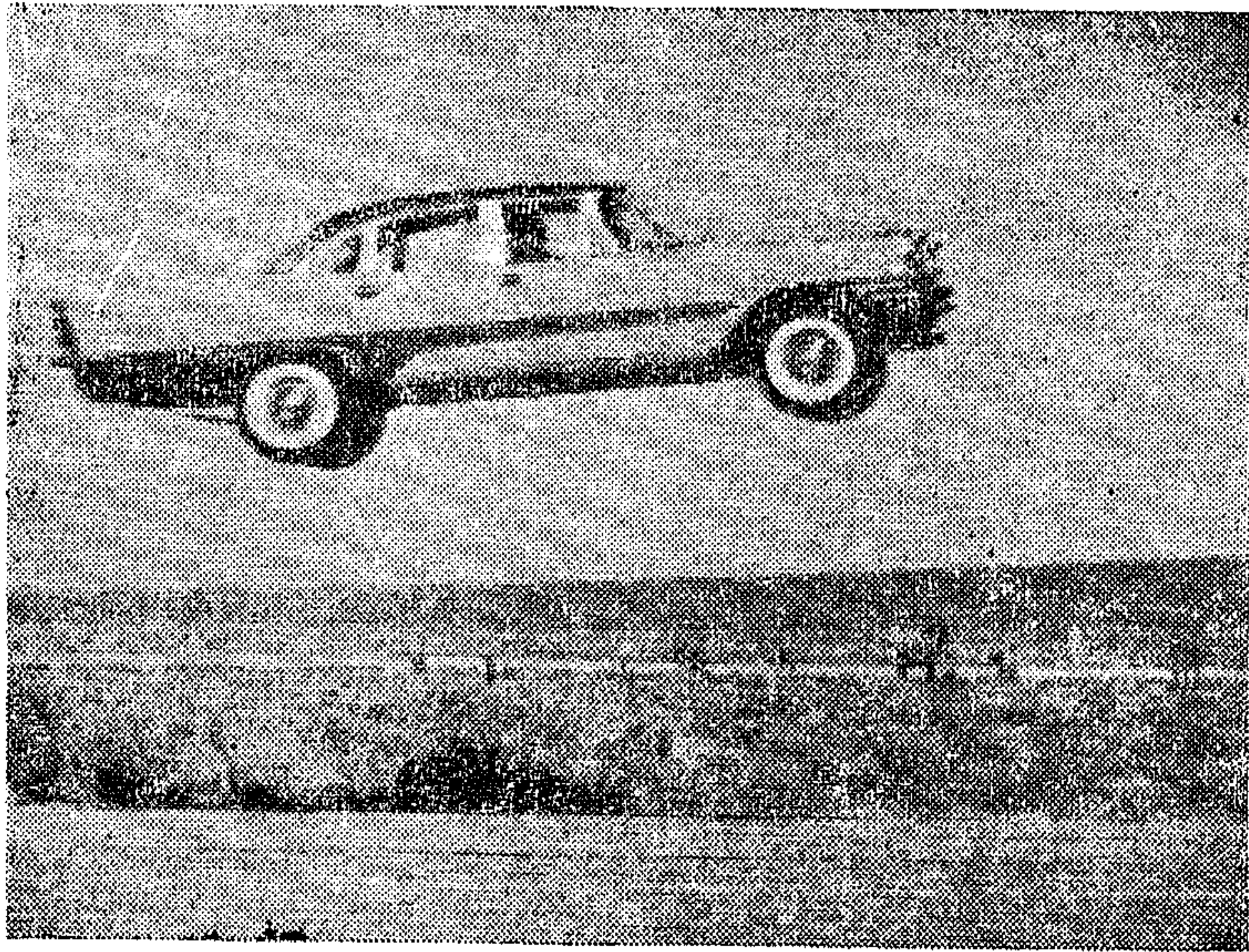
(ب) ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٤ ، ٤ ، ٥ ، ٥ ، ٦ ، ٦ ، ٤

(ج) ٤ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ٤

(د) ١٣ ، ٨ ، ٥ ، ٣ ، ٢ ، ١

(هـ) ١٥ ، ٩ ، ١١ ، ٥ ، ٧

(و) ٣ ، ٢ ، ج ، ب ، ٥ ، ٤ ، هـ ، د ، ٧ ، ٦ ، ز ، و



(شكل ٨) ماهي الاستنتاجات المعقولة التي يمكن أن تخرج بها من
هذا المنظر ؟

٤ — استخدم الطريقة الاستنباطية لتحل اللغز الآتي :

أجرى المستر بيترز اختباراً في المنطق لفصله فاستدعى هنري وجيم وبول وطلب منهم أن يقفوا في دائرة مواجهين بعضهم بعضاً ثم عصب أعين الأولاد الثلاثة وقال : سأحرك إصبعي على جباهكم . وقد استخدم هذه الإصبع المغطى بالسناج أو هذه الإصبع للمنظيفة ، وإن تعرفوا إذا كانت على جباهكم علامة سوداء أم لا ، وعندما أرفع العصابات من على أعينكم عليكم أن تخبروني ما إذا كانت على جباهكم علامة سوداء . ومع هذا فإني سأعطيكم إشارة تساعدكم في معرفة الجواب : إن واحداً منكم على الأقل مستكون على جبهته علامة سوداء .

ثم وضع علامة سوداء على جبهة هنري وجبهة جيم ، ولكنه لم يضع هذه العلامة على جبهة بول ثم نزع العصابات . نظر هنري إلى زميله ولحظ أن جيم قد أخذ علامة سوداء ولم يأخذها بول . وبعد ثوان صاح هنري : « إنني أحمل علامة سوداء ، فكيف توصل إلى هذا الاستنباط ؟ »

٥ — بعد أن نتوصل إلى حل اللغز السابق (أو بعد أن نرجع إلى الحل في هذا الكتاب) .

حاول أن تحل هذا اللغز الآخر . إنه أكثر صعوبة ، ولكنه يستتبع استخدام الإجابة عن اللغز السابق :

في لعبة أخرى وصم الأولاد الثلاثة بالعلامة السوداء ، وعندما نزع عصابة جيم من على عينيه لاحظ أن كلا من هنري وبول قد أخذ علامة سوداء ، وبعد قليل صاح :

« إنني أحمل علامة سوداء ، فكيف استنبط ذلك ؟ »

٦ — إن الحروف التي تسبق الجمل الآتية قد استخدمت في الإجابة في آخر هذا الكتاب .

(أ) تقابل كل من المستر كوك (ومعنى الكلمة « طاه ») والمستر تيلور (ومعناها « خياط ») والمستر بيكر (ومعناها « خباز ») في حفلة

(ب) وكانت مهن الرجال الثلاثة بجمعة تتفق مع أسمائهم بجمعة من حيث النطق .

(ج) وقال مستر كوك : « هل لاحظتكم أن مهنة كل منا تختلف عن اسمه ؟ » .

(د) قال مستر بيكر : « هذا صحيح » .

فما هي مهنة كل من الرجال الثلاثة ؟



الفصل الرابع

اللغة والتفكير

وضع العالم بضعة صناديق كبيرة في أحد أطراف قفص كبير . ثم تسلق ملما في وسط القفص وربط موزة بخيط متدل فوق رأسه ، ثم نزل من على السلم ووضعها جانباً ، وهكذا استعد لإجراء تجربته .

فأدخل الشمبانزى الذى فى القفص المجاور إلى هذا القفص ، وبينما العالم يعبر القفص ليتابع التجربة من مقعده شعر بغتة بالقرد يتسلق ظهره ، وفى ثانية واحدة انتهى كل شيء . . . ؛ فقد وصل الشمبانزى إلى الموزة بالوقوف على كتفى العالم وجرى بها إلى ركن ليا كلها .

وهكذا أفسد الشمبانزى على العالم خطته ، فقد كان يتوقع منه أن يكسب الصناديق بعضها فوق بعض ليصل إلى الموزة . ولقد أظهر الشمبانزى ذكاء كبيراً بعمله هذا ؛ فقد فكر بطريقة دقرية ، خاطئة أنه فى حاجة إلى شيء مرتفع يصعد عليه ، وقد تصادف أن كان العالم أيسر لتحقيق هذا الغرض من الصناديق ، وهو عامل لم يحسب له العالم حسابه .

تدل هذه الحادثة ومثيلاتها على أن الحيوانات تستطيع أن تفكر بطريقة بدائية ، فلا بد أن الشمبانزى قد استطاع أن يستنبط فى ذهنه شيئاً من الحقائق المألومة . ولكن شتان ما بين هذا النوع البسيط من التفكير وبين التفكير الأكثر تعقيداً الذى يقوم به معظم الناس فى مواقف الحياة اليومية .

فمثلاً يقدم شخص ما شيكاً فى نافذة البنك ، فينظر إليه صراف البنك ، ثم يذهب إلى صوان سجلاته ويقاب البطاقات وينظر إلى التوقيع ، ويقارن بينه وبين التوقيع فى السجل ، فإذا تشابهها أصبح الصراف متيقناً تماماً أن الذى وقع على الشيك هو نفسه المودع . فإذا لم يكن متأكداً فقد يطلب إلى الشخص الواقف أمام النافذة أن يوقع بإمضائه ، ثم يقارن بين التوقيعين ، أو قد يسأله عن اسم أبيه

ويقارن بين الإجابة وبين ما هو مكتوب في البطاقة . ثم يمد يده داخل أحد الأدراج ويستخرج منه عدداً من أوراق النقد وبعض القطع المعدنية ويعطيها للشخص الواقف أمام النافذة ، وبعد هذا نقوده ويمضى إلى حال سبيله . وسرعان ما ينفق هذا المال فيسلم أوراق نقده ونقوده المعدنية إلى أناس مختلفين ، ويحصل في مقابل ذلك على طعام وأحذية وبزير وغير ذلك من الحاجات ، أو على خدمات مختلفة كالانتقال بالأتوبيس وغير ذلك من الخدمات . وهو يحصل عادة على المبلغ المتبقى له صحيحاً في كل عملية من هذه العمليات .

إن كلا من هذه العمليات التي نعتبرها أعمالاً عادية تستتبع عمليات تفكير أكثر تعقيداً بكثير من تفكير أي حيوان . وأساس هذه العمليات جميعاً هو قدرة الإنسان على تكوين الأفكار وإيصالها إلى الآخرين بطريق اللغة منطوقة أو مكتوبة . فكل من العراف والمودع كان يعرف ما تعنيه الرموز ١٠٠ أو ١٠ أو ١ على أوراق النقد . والواقع أن المودع يقبل تشكيلة مختلفة من أوراق النقد والعملات التي يصل مجموعها إلى القيمة المطلوبة ، وهو يشكو إذا حدث خطأ في ذلك . وأما بالنسبة إلى الشمبانزى أو الكلب أو غيرها من الحيوانات فإن جميع العمليات المصرفية لا تعنى شيئاً أبته .

إن الإنسان الحديث يعيش في عالم مليء بالمجردات المؤسسة على اللغة والمعبر عنها برموز مكتوبة أو مطبوعة . فالكتاب الذي تقرأه الآن هو مثل جيد على ذلك . فبالنسبة إلى شخص لا يعرف اللغة العربية تعتبر الألفاظ الواردة في هذا الكتاب سرّاً غامضاً غموضها بالنسبة للشمبانزى . وأما أنت فإنك تعرف معاني الكلمات المختلفة على هذه الصفحة ، ولهذا نستطيع أن نكون عدة أفكار جديدة بمجرد النظر إلى هذه الكلمات بترتيبها الصحيح . فهذه الرموز تكون في عقلك كلمات متتابعة ذات معنى ، وهذه الكلمات المتتابعة تكون أنماطاً تستثير التفكير في عقلك .

إن قدرة الإنسان على استخدام اللغة تعطيه ميزة كبرى على الحيوانات ، فإن الكلام بالإضافة إلى استخدام الأرقام والحروف والرموز الأخرى المكتوبة أو

المطبوعة - قد جعل في الإمكان قيام الحضارة بمدنها وطرقها وسياراتها وطائراتها ومصانعها ومنازلها ومدارسها ومكتباتها .

ولقد حاول العلماء أن يربوا قردة الشمبانزى فى بيوتهم ، فعاملوها معاملة أطفالهم ليعرفوا أى مدى تستطيع هذه الحيوانات أن تصل فى تعلم الكلام وغيره من القدرات اللغوية الإنسانية . وفى السنوات القليلة الأولى من حياة الشمبانزى لوحظ أنه يسبق الأطفال آدميين فى سرعة نمو الجثاني ، فهو يتعلم المشى والقفز والجري والتسلق أسرع بكثير من الأطفال آدميين . وهو يستطيع أن يمسك بالأشياء خيراً مما يستطيع آدميون فى سن مبكرة ، ولكن لم يحدث قط أن استطاع أحد قردة الشمبانزى أن ينطق بأكثر من بضع كلمات قليلة بسيطة ، ولم يحدث أن تعلم أكثر من معانى بضع عشرات من التعابير .

تعلم استخدام الكلمات كرموز

إن مخ الإنسان أكبر بالنسبة إلى جسمه من مخ أى شيمبانزى أو أى حيوان آخر . وهناك جزء كبير من فراغ الجمجمة مخصص أساساً للكلام وغيره من القدرات اللغوية ، وتنمو هذه القدرات اللغوية ببطء خلال مدة طويلة من الزمن فشلا بينما نجد أن الشيمبانزى يبلغ أقصى قدراته فى سن الرابعة والخامسة ، فإن الطفل فى مثل سنه يعتبر بعيداً جداً عن تفهم أبسط مظاهر النشاط الجثاني ، وهو لا يملك المهارات اللغوية التى سيحتاج إليها ليستطيع الحياة فى بيئته المركبة .

وفى الخامسة أو السادسة يبدأ فى أن يتعلم كيف يترجم الرموز المكتوبة أو المطبوعة إلى كلام وبالعكس . إن تعلم القراءة والكتابة عملية طويلة جداً وتستمر عادة عشرات السنين وقلما يتقنها الإنسان قبل سن العشرين ، ولهذا فلا بد من تدريب جدى فى المدرسة لتثبيت الكلمات والرموز فى العقل حتى يمكن استخدامها وتنظيمها للتعبير عن الأفكار ، ثم تصبح هذه الأفكار بعد ذلك أساساً لعملية التفكير وللفكر الإنسانى .

وأول ما يتعلمه الطفل من الكلمات هى أسماء الأشياء والأحداث مثل :

« ماما » ، « معلقة » ، « اذهب » ، « كلب » ، « يركب » . ويتعلم الطفل هذه الكلمات بواسطة عملية شبيهة ببعض الشيء بالاستقراء . فالطفل يرى كلباً واحداً ويلاحظ أن له أربع أرجل ، وفماً كبيراً ، وأذنين عريضتين ، وجسماً مغطى بالشعر ، وأنه أصغر حجماً من معظم الناس . ثم يلاحظ الطفل كلباً آخر قد يكون مختلفاً في اللون والحجم ولكن له كالسكلب الأول أربع أرجل ، وفماً كبيراً وأذنين عريضتين ، وجسماً يكسوه الشعر ، وهو أصغر من الشخص البالغ . فإذا تكرر ذلك عشر مرات ، أو عشرين مرة ، أو ربما أقل من ذلك ، كونه الطفل لنفسه فكرة عن خصائص هذا النوع من الحيوان ، وهو يسمع الناس يتحدثون عن هذا الحيوان ويسمونه كلباً ، وقد يشيرون إليه ويذكرون هذه الكلمة . وهكذا يبدأ الطفل في أن يربط بين الكلمة والحيوان ، وسرعان ما نسمعه يسمى ذلك الحيوان كلباً ، وهو واثق أن هذه التسمية صحيحة .

وذات يوم تظهر قطة — أتراها كلباً ؟ أن لها أربع أرجل وجسماً مغطى بالشعر وأذنين كبيرتين ، ولكن شكل الفم يختلف عن فم السكلب ، وكذلك شكل الأذنين — ثم إنها أصغر من معظم السكلاب ، ولها شوارب طويلة . ويسمع الطفل الناس يتحدثون عن هذا الحيوان وتسميه قطة ، وسرعان ما يتعلم الفرق بين القطة والسكلب ، ويمكنه أن يسمى كل حيوان منها التسمية الصحيحة بمجرد أن يراه . وهكذا تنمو حصيلة الطفل من المفردات .

وسرعان ما يضع الطفل الكلمات جنباً إلى جنب بطريقة بسيطة مثل : (يبي يركب) (أى لاني أريد أن أركب) أو (بوبي يأكل عضم) أو (أنا عاوزة عروسة) . ويتعلم الطفل أن يبلغ احتياجاته ورغباته إلى الناس من حوله ، ولسكنك إذا سألت طفلاً في الثالثة من عمره ماذا قصد باتريك هنرى بقوله : « أعطني الحرية أو أعطني الموت ؟ » فإنه يفغرفاه لأنه لم يفهم شيئاً ، فلا بد من أن تضي سنوات عديدة حتى يبدأ الطفل يفهم من خبراته معنى الكلمات المجردة مثل : الحرية ، والموت .

وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة ويتعلم القراءة والكتابة سيطلب إليه كثيراً

ان يقص قصة ، أو أن يكتب قصة صغيرة ، وهو يرتبك في بادى الامر في وضع الكلمات جنباً إلى جنب بالترتيب الملائم ، وقد يكون لإنشاءه شيئاً كالآتى :

« ذهبى إلى البقال الرجل أعطانى حاوى . ثم كما فى السيارة وهى سارت مسرعة . عى فى المدينة رأى عروستى وانبسط منها . ذهبنا إلى المنزل ، .

فإذا نظرت إلى إنشاء الطفل وجدت أن الاحداث توصف بطريقة متقطعة لا تدرج فيها وليست مذكورة فى ترتيبها الطبيعى ، ويخطئ الطفل فى استخدام رموز هامة كالفاصلة والنقطة ومثل هذه العلامات — علامات الترقيم — هامة ، لأنها تقسم الجمل الطويلة إلى أجزاء أصغر ، وتفصل الفكرة عن غيرها حتى يمكن أن يتأملها الإنسان على حدة .

تعدد معانى اللفاظ

بازدياد خبرات الإنسان تسكتسب الكلمات ظلالاً جديدة متعددة من المعانى — ولبعض الكلمات الشائعة خمسون معنى مختلفاً أو أكثر يحددها — إلى مدى كبير — طريقة ووقت استعمالها والكلمات التى تسبقها أو تلحقها ؛ فمثلاً تأمل المعانى المختلفة الكلمة (خط) كما هى مستعملة فى الجمل الآتية :

- ١ — ارسم خطاً مستقيماً .
- ٢ — اكتب الواجب بخط يدك .
- ٣ — لقد مدوا خط تباد الكهرباء عبر الحقول .
- ٤ — إنه يتبع خط الحزب .
- ٥ — لاحظ الخطوط الحادة (= الملامح) فى وجهه .
- ٦ — إنى أستخدم الخط الحديدى لأذهب إلى عملى .
- ٧ — يمكننا أن نعرف المجالات المغناطيسية عن طريق أشكال خطوط القوة .

وكثيراً ما تكون معانى الكلمات غير محددة ؛ فمثلاً كلمة « كلب » قد تظهر بسيطة واضحة ، ولـكننا عندما نرى لأول مرة كلباً من النوع الضخم ذى الفروة الناعمة والقوة البالغة (وهو الذى يطلق عليه اسم Great Dane) ثم كلباً من ذلك النوع الألمانى الصغير القصير الأرجل بالنسبة لطول جسمه (وهو الذى يطلق عليه اسم Dachshund) ، أو أى كلب آخر غير عادى الشكل ، فإننا نكون فى شك من أمرنا : أهو كلب أم لا ؟ وذئب البرارى الأمريكية (Coyotes) ، والذئب العادية ، قريبة الشبه من كلاب الرعاة الألمانية . فى حين نجد أن هذا النوع الآخر من الكلاب يختلف اختلافاً كبيراً فى الشكل عن الكلاب السلوقية . وهكذا نجد أن اعتبار حيوان ما من فصيلة الكلاب قد لا يكون من الأمور الهينة ويتعذر أحياناً أن نقرره بمجرد نظرة سطحية .

ولـإليك على سبيل المثال هذا القول :

« إن ثمرة الطماطم فاكهة » . فلقد تقول بداهة إن هذه العبارة غير صحيحة ، فلقد يكون تحديدك لأنواع الطعام الذى يسمى فاكهة مبنياً على الوقت الذى تتناول فيه ذلك الصنف من الطعام على المائدة ؛ فقد تربط بين الفاكهة وبين أول صنف تتناوله فى الإفطار ، أو آخر صنف تتناوله فى الغداء أو العشاء . ولـما كانت الطماطم عادة تدخل فى عمل « السلطة » مع بعض الخضروات كالخس والكرفس والقش (الخيار) ، فإنك قد تعتبر الطماطم نوعاً من الخضراوات .

ولـكنها أيضاً فاكهة طبقاً للتعريف العلمى الذى يقول إن الفاكهة (أو الثمرة) هى ذلك الجزء من النبات الذى يحتوى البذور . وعلى هذا الأساس تكون الطماطم فاكهة ، بل إن القشء والبندق وقرن الفول أو الفاصوليا كلها فواكه .

والواقع أنه لا بد من أن نفهم الطرق المختلفة التى تعرف بها الكلمات فى المواقف المختلفة ، وأن نستخدم هذه التعاريف استخداماً صحيحاً . ونتيجة لذلك تصبح اللغة من الأمور المعقدة التى يصعب إتقانها .

تأمل الخطأ فى الاستنباط فى المثال الآتى وهو ناجم عن المعنى المزدوج لكلمة « قدر » (pot) (وهى الحد الأوسط للقياس المنطقى) .

١ — القدر إناء يستخدم في المطبخ .

٢ — (قدر) كلمة مكونة من ثلاثة أحرف .

٣ — وإذن فالكلمة المكونة من ثلاثة أحرف هي إناء يستخدم في المطبخ .

هذا نوع شائع من الخطأ في المنطق (وفي البحوث الخاصة بالقياس المنطقي يسمى بالخطأ ذي الأربعة الحدود . وأنت تذكر أننا قلنا في الفصل الثالث إن هذا النوع من القياس له ثلاثة حدود فقط) . فكلمة (قدر) مستعملة في معنيين في المقدمة الأولى والمقدمة الثانية ، فهي في المقدمة الأولى تشير إلى شيء من نوع معين ، وفي المقدمة الثانية تعني كلمة منطوقاً بها أو مطبوعة على صفحة كتاب . وهذان شيان مختلفان تمام الاختلاف . وعلى ذلك فلا يمكن أن نصل إلى استنباط صحيح من هاتين المقدمتين — وشكل القياس هو في الواقع :

١ — أ هو ب

٢ — ج هو د

وإذن ؟ (لا يمكن استنباط شيء من هاتين المقدمتين) .

والغرض من القاموس أن يعرف الكلمات التي نستخدمها حتى لا يكون هناك إلا أقل قدر ممكن من الخلط أو الإبهام في اتصالاتنا وتفكيرنا ، ولهذا فإن من أهم واجبات الناشئة في المدارس أن يتقنوا استخدام (القاموس) وأن يوسعوا محصولهم اللغوي ليشمل أكبر عدد ممكن من الكلمات بحيث تكون كل منها محددة ، إلى أقصى حد ممكن ؛ فإن هذه الكلمات هي التي ستكون القاعدة الأساسية لنشاطهم الفكري .

ولسكل حرفة أو مهنة مصطلحاتها الخاصة التي لا بد من إتقانها، فمثلاً إذا أصبح الإنسان محامياً أو واحداً من رجال الشرطة فلا بد له من أن يعرف بالضبط معاني الكلمات الآتية :

سطو ، سرقة ، جنحة ، جناية ، اعتداء ، تعمد بالضرب ، تشويه . فإن ضابط الشرطة الذي يخطئ في تسمية جريمة لا يؤدي عمله كما يجب ، والمحامي الذي يدافع

عن موكله كثيراً ما يكون هدفه الأساسى تخفيف النهمة بحيث تخف العقوبة ،
ولسكى يفعل ذلك لابد له من أن يفهم الحدود بين الالفاظ المستخدمة .

الكلمات المجردة

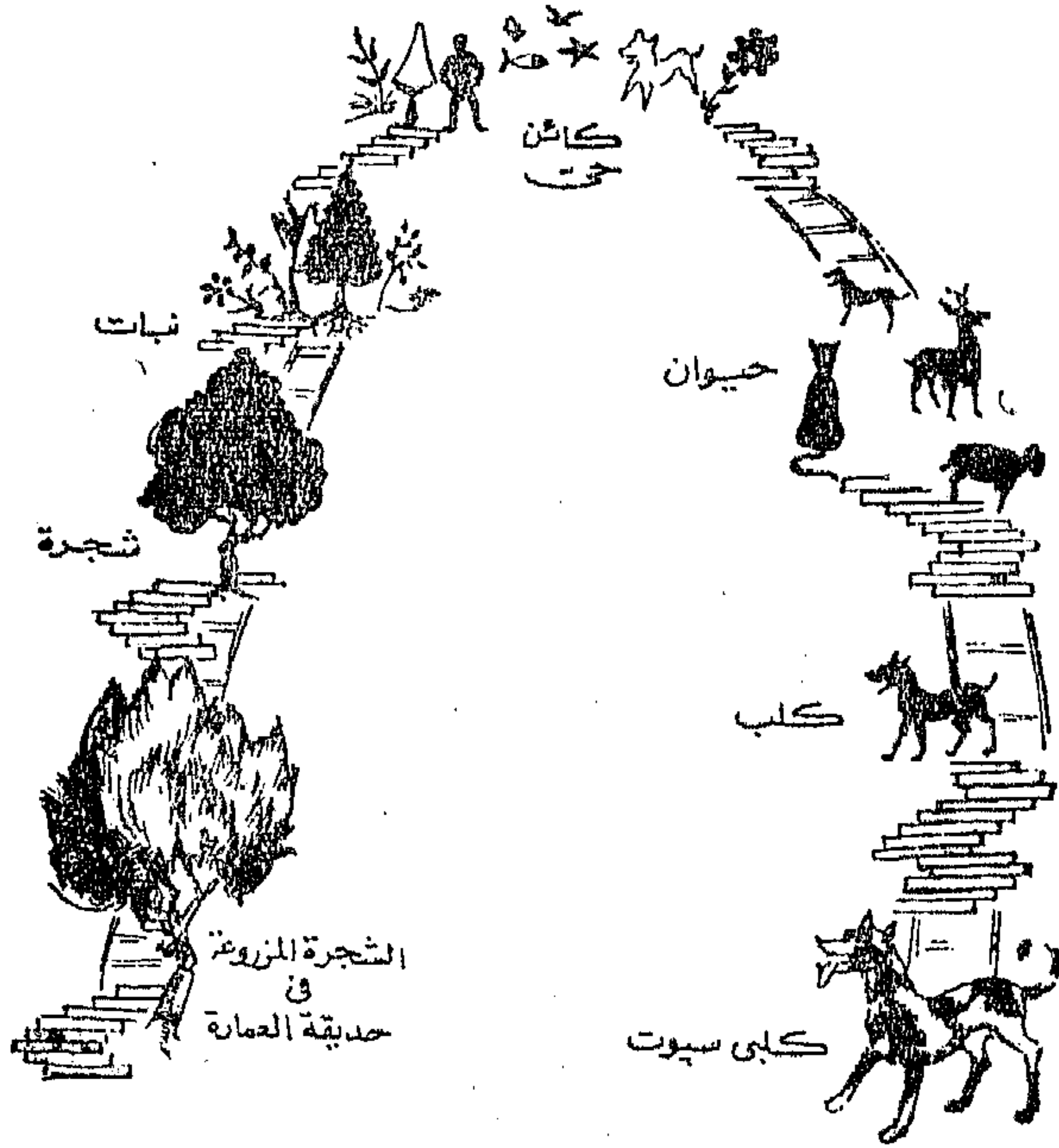
إن ألقاظا من نوع « بيت » ، « جبل » ، « مطرقة » ، هى كلمات بسيطة نسبياً
(وإن تكن بعض معانيها دقيقة) — وتسمى مثل هذه الكلمات كلمات محسوسة ،
ويندر أن يختلف شخصان مثلاً : هل المنزل منزل فعلاً أم لا ؟ ولكن هناك
ألقاظاً عديدة أخرى ؛ كالديمقراطية ، والحرية ، والخيانة ، والصدق ، والعدالة ،
الخ ، تختلف آراء الناس فى معانيها بحسب خبراتهم الماضية . مثل هذه الالفاظ
تسمى ألقاظاً مجردة .

وهناك مستويات متعددة للتجريد ، ويمكن أن نتصور « سلماً » ممتداً من المحسوس
إلى كلمات تزداد تجريداً بالتدرج . فمثلاً يمكنك أن تنظر إلى شجرة فى المنطقة
السكنية التى تقطنها — إنها شىء معين تسميه شجرة الدردار (elm tree) ،
وأنت بإطلاقك هذه التسمية عليها قد جعلتها أكثر تجريداً وربطتها بأشجار كثيرة
أخرى من نفس النوع . ثم إنها نبات ، وأنت بذلك تدخلها ضمن مجموعة كبيرة
من الأحياء تشمل الحشائش ، والطعالب ، والأعشاب البحرية ، التى تختلف تمام
الاختلاف فى شكلها عن الأشجار . وأخيراً يمكنك أن تضعها فى مجموعة الكائنات
الحية ، وهى مجموعة تشمل الحيوانات إلى جانب النباتات . وربما فكرت فى تجريد
أكثر من ذلك ولكننا نكتفى بهذا .

وكما زاد الإنسان علماً زاد مقدار استخدامه للتجريد فى عمليات التفكير .
خذ أى كتاب متعمق فى أى فرع من فروع العلم . إنك ستجد صعوبة فى قراءته ،
وذلك لأن الالفاظ المجردة التى يستخدمها المؤلف تدل على أنه يفترض فىك خبرة
واسعة وعلماً غزيراً بالموضوع الذى يعالجه .

إن العلماء والرياضيين إذ يدركون الأهمية القصوى لدقة التعاريف فى عملية
التفكير يبذلون جهوداً مضنية لتعريف الكلمات التى يستخدمونها تعريفاً دقيقاً .

وكثيرا ما تعقد المؤتمرات الدولية لمراجعة التعاريف والوصول إلى اتفاق بشأن التعديلات التي تشير الخبرات الجديدة إلى ضرورة إدخالها — ويمكن القول إن التعاريف تلعب في الاستنباط نفس الدور الذي تلعبه البديهيات .



(شكل ٩)

(شكل ٩) إن سلم المجرّدات ، تصعد بنا بعيدا عن الأشياء الحقيقية التي بنيت تلك المجرّدات على أساسها . وهذه طريقة مفيدة في إصدار أحكام عامة عن العالم الذي نعيش فيه ، ولكنّها يمكن أيضاً أن تؤدي بالناس إلى تبرير الأعمال الفظيعة التي ترتكب في حق مجموعات من الناس ، وهي أعمال ما كانت لترتكب على أساس فردى .

فبغير الوضوح اللغوي ، وبصفة خاصة في الكلمات المجردة ، تخفق عملية التفكير وتؤدي إلى أخطاء خطيرة .

علم المعانى — دراسة معانى الألفاظ

قد يكون من أصعب الأمور على شخصين مختلفين فى النشأة والتربية أن يتفقا على المقصود ببعض الكلمات المجردة ؛ ففى مثل هذه الحالات يتعذر الاتصال ويصبح تفكير الشخص الواضح عديم المعنى أو دليلاً على الغباء بالنسبة للشخص الآخر . وترجع بعض الصعوبات التى تنشأ بين الشعوب المختلفة إلى المعانى المختلفة التى يعطونها للكلمات . ولا مفر من تحريف بعض المعانى عند الترجمة .

وحتى عندما تستخدم نفس اللغة فإن الفروق العديدة الدقيقة بين الناس — وهى فروق فى النشأة والتربية والخبرة والميول — تخلق معانى مختلفة للكلمات ، وهذه الفروق هى ما يبحث فيه علم المعانى .

ولنأخذ مثلاً لذلك صديقين تواعدا على اللقاء لثنين واحداً من هذه الفروق فى المعانى . (فدوتى) التى اعتادت التأخر عن مواعيدها تنظر إلى معنى كلمة (متأخر) نظرة مختلفة عن نظرة (هوراس) إليها ، وهى تعنى أن هوراس هو الذى تأخر ، لأنه قد مضى وقت طويل منذ غادرت منزلها قاصدة لقاؤه ، إذ أنهما لم يتقابلا إلا منذ لحظة . ومن الناحية الأخرى تجد هوراس يعيش مقدار الزمن الذى تأخرته من اللحظة التى بدأ ينتظرها فيها فى المكان المتفق عليه .

وهناك الخلط فى المعانى ، فقد يكون لكلمتين نفس الصوت ولكنهما يختلفان فى المعنى ، أو قد يحدث فى المحادثة أو الخطاب أن أجزاء بعض الكلمات تتصل بأجزاء من كلمات أخرى تسبقها أو تلحق بها بشكل يؤدي إلى غموض المعنى ، وهكذا يصبح من الممكن أن يقصد الشخص شيئاً وأن يظن السامع أنه قد سمع شيئاً آخر يختلف عنه تمام الاختلاف .

تأمل هذا الموقف — إنه وقت الانتخاب ، ويمر بك فى الشارع شخص يحمل لافتة تقول :

انتخبوا باركر
لرئاسة الجمهورية
سلام — عمل — أمان

إن معظم الكلمات المكتوبة في هذه اللافتة أكثر تعقيداً من الكلمات المحسوسة مثل : مائدة ، يمشى ، قلم رصاص ، منزل — فلنتأمل بعض الصور المختلفة والمعاني المتداعية التي تبعثها الكلمات المكتوبة في اللافتة .

إن كلمة « انتخبوا » قد تثير في أذهان معظم الناس صورة المواطنين في كثير من المدن ذاهبين إلى المدارس وغيرها من المباني العامة حيث يشدون أزرعاً معينة في آلات ، أو يضعون علامات في أوراق الاقتراع السرى — وهى أوراق يتم فيما بعد فرزها وجمعها بطريقة ما . وبصفة عامة يمكن القول إن المعاني التي تستدعيها هذه الكلمة إلى الأذهان قد تكون معاني موجبة مبنية على الشعور بأن عملية الاقتراع هى حق أو ميزة . ولكن الشخص الساخر الذى لا يؤمن بصلاح البشر ، والذى يعتقد أن عملية الانتخاب كلها مظهرية ، كما يربط كلمة انتخاب بصورة غير مستحبة ؛ فقد يتصور حجرة قد انعقدت في جوها سحب الدخان يقسام فيها زعماء حزب سياسى ويتشاورون لاختيار مرشح يستطيع أن يقدم لاتباع ذلك الحزب أكبر عدد من الوظائف الحكومية . ولقد يخيل إليه أنه ليست هناك فرصة للناس لاختيار السياسات الهامة التي يعتقدون صلاحها .

وعندما ينظر مثل هذا الساخر المتهكم إلى اللافتة ويرى كلمة « انتخبوا » ، فإنه يرى في الواقع رمزاً يختلف تماماً عن الرمز الذى يراه الناس الذين تربط الكلمة في أذهانهم بمعانٍ إيجابية .

ثم تأمل كلمة « رئيس » ، إنك قد تتصور إنساناً جالساً إلى مكتب يوقع أوراقاً ، وفي هذه الأوراق قد خطت قوانين ستؤثر فيك من عدة نواح ، فهى قد تزيد أو تقلل من الضرائب التي تدفعها ، وقد تؤدي إلى شق طريق يخترق الأرض التي بنيت عليها بيتك وقد تؤدي إلى بناء مدرسة جديدة ، أو صنع قنبلة نيوترون ،

أو إنشاء منتزهات أو ملاعب جديدة ، إنك قد تتصور إنساناً يستطيع أن يقرر الدخول في حرب ، أو إنساناً يستطيع أن يقابل غيره من الساسة في الأمم المتحدة ليناقش مشكلات نزع السلاح .

فإذا كان موقف الشخص بالنسبة للرؤساء موقفاً إيجابياً فإن المعاني التي تستدعيها تلك الكلمة ستكون معاني سارة ، وسيكون تصرفه محبذاً لها ، فهو سيعطى صوته كأى مواطن صالح . ولكن إذا كان موقف شخص ما إزاء أكبر وظيفة في البلاد هو موقف من خابت آماله في مثل هذه الوظيفة فإن ما تستدعيه تلك الكلمة في ذهنه واستجاباته لها ستكون سلبية .

أما كلمة « السلام » فهي أكثر تجريداً من كلمة « رئيس الجمهورية » فهذه الكلمة الأخيرة كما استخدمت على اللافتة تشير إلى شخص معين هو أكبر موظف منتخب في الولايات المتحدة . وبالعكس تشير إلى السلام « إلى حالة عامة تسود بين الدول غير المتنازعة » ، وقد تشير كذلك إلى الحالة داخل دولة واحدة ليست فيها اضطرابات عنيفة .

إن هذه الكلمة قد تعنى أشياء مختلفة لمختلف الأشخاص في المواقف المختلفة . فبالنسبة لأمريكي يعتقد أنه من المحال العيش في سلام مع الروس ، وقد تعنى كلمة السلام الحالة التي قد تنشأ بعد الفوز في الحرب القادمة (حتى وإن كانت حرباً نووية) وفي الطرف الآخر نجد الأمريكي الذي تعنى الكلمة بالنسبة له تلك الحالة التي لا تستخدم فيها الولايات المتحدة وحلفاؤها أية أسلحة ، حتى وإن أدى ذلك إلى نصر كامل للروس لا تراق فيه قطرة دم . وبالنسبة لأمريكي ثالث في الوسط بين الطرفين قد تعنى كلمة السلام هدنة قلقة ، نحاول أثناءها التوصل إلى طرق للتعايش السلمي . فأنت ترى أن هذه الكلمة على جانب كبير من التجريد ، أكثر بكثير من كلمة رئيس الجمهورية .

ويمكنك بنفس الطريقة أن تحمل الكلمات المجردة الأخرى التي حوتها اللافتة ، وتبين أنه يمكن أن يكون لها معان مختلفة أشد الاختلاف عند مختلف الأشخاص .

وكثيراً ما ينشأ الخلط والاضطراب في المناظرات والمناقشات ، لأن لكل جانب تعاريفه الخاصة للكلمات الرئيسية . وفي مثل هذه الحالات من المهم أن نحاول أن نحدد موضوع النقاش بالاتفاق على معاني المصطلحات المستعملة . وكثيراً ما يكون هذا من الصعوبة بمكان ، لأن الفروق الكبيرة في المعاني قد رسخت في عقول الناس ، ولكن يجب أن يبذل الجهد لإيضاح هذه المعاني حتى يمكن التخفيف من أثر هذا الاختلاف .

استخدام التفكير لارتفاع مستوى ما نكتب

في فصول قادمة من هذا الكتاب سنقول مزيداً عن الدور الذي تلعبه المعاني في تفكيرنا اليومي ، ولكننا نود هنا أن نبحث كيف يمكننا أن نستخدم التفكير لتحسين قدرتنا على استخدام اللغة كوسيلة للاتصال اتصالاً واضحاً بغيرنا من الناس .

تأمل الشرح التالي لسبب سقوط المطر :

• عندما يبرد بخار الماء يتحول إلى مطر . إنه يتكاثف . ويسقط المطر . وتأني المياه التي تكون المطر من المحيطات . والأنهار تعود فتأخذ الماء من جديد إلى المحيط . وتدفع الرياح بخار الماء فوق الأرض . ويأتي بخار الماء من المحيط . وعندما يبرد بخار الماء يتكاثف بشكل قطرات صغيرة من الماء وتكبر القطرات في الحجم وتسقط بشكل مطر . وينشأ بخار الماء من سخونة المحيطات بفعل ضوء الشمس .

ينخيل إلى القارئ أن كاتب هذا الشرح المضطرب لأسباب سقوط المطر طفل صغير . فما وجه الخطأ في هذا الشرح ؟ لو أنك تأملت العبارات كل عبارة على حدة لوجدتها صحيحة ولكنها لم توضع في مكانها الصحيح . فلنحلل الطريقة التي رتب بها الأفكار في هذه القطعة ونضعها في نظام أفضل .

إليك الترتيب الفعلي للحقائق :

١ - إن ضوء الشمس يسبب الحرارة .

- ٢ - ترتفع حرارة المحيطات بفعل الشمس .
- ٣ - يتبخر ماء المحيطات ويصعد في الهواء . بشكل بخار .
- ٤ - تهب الرياح فتدفع البخار فوق اليابسة .
- ٥ - تسبب برودة البخار تكاثفه إلى قطرات صغيرة من الماء تكون السحب .
- ٦ - عندما تكبر هذه القطرات تسقط على الأرض بشكل مطر .
- ٧ - ينساب ماء المطر في الأنهار والنهيرات .
- ٨ - تعود مياه الأنهار إلى المحيطات .
- ٩ - تتكرر هذه العملية مراراً وهكذا يسقط المطر عاماً بعد عام .

والآن فلنضع هذه الحقائق بترتيبها الطبيعي في شكل فقرة :

إن ضوء الشمس يبعث الحرارة فتسخن المحيطات . يتصاعد ماء المحيطات في الهواء بشكل بخار . تدفع الرياح هذا البخار فوق اليابسة . عندما يبرد البخار يتكاثف ويكون سحبا من قطرات الماء الدقيقة . عندما تكبر هذه القطرات تسقط على الأرض بشكل مطر وينساب ماء المطر في الأنهار والنهيرات ثم يعود ماء الأنهار والنهيرات إلى المحيطات وتحدث هذه العملية مراراً وتكراراً ، وبذلك يسقط المطر عاماً بعد عام .

لقد وضعت الأفكار هنا في ترتيبها الطبيعي فبدأ الكلام أكثر اتساقاً ، وإن تكن العبارة لاتزال صيغانية . لاحظ أننا في الجمل الثلاث الأولى نجد كلمتي « سخونة » و « محيط » مكررتين . إن مثل هذا التكرار ، ومثل هذا الأسلوب المتقطع ، يعرقل عملية التفكير . وهو وإن كان يلائم ضعاف القراء أحياناً إلا أنه عمل مسم للقرارئ المجيد . ثم لأنه لا توجد فقرات تقسم الفكرة إلى وحدات منسقة . ولهذا فإذا شئنا أسلوباً أقرب إلى أساليب البالغين فقد نستطيع أن نجعل الأفكار تنساب في يمر وسهولة أكثر كأن نقول مثلاً :

إن ضوء الشمس يسخن المحيطات ، ويحول الماء إلى بخار ، ثم تدفع الرياح بخار الماء فوق اليابسة .

وعندما يبرد بخار الماء يتكاثف مكوناً سحباً من قطرات الماء الدقيقة التي تكبر في الحجم ثم تسقط بشكل مطر .

وينساب ماء المطر على سفوح التلال مكوناً نهيرات وأنهاراً ، وأخيراً تحمل الأنهار مياهها عائدة بها إلى المحيطات من حيث أتت .

وتحدث هذه العملية مراراً وتكراراً وهكذا يسقط المطر عاماً بعد عام .

إن الأفكار الآن قد وضعت في ترتيبها الملائم وأصبحت الجمل أطول وأكثر اتسافاً وقل التكرار في الألفاظ . ويمكن أن يزداد طول الجمل باستخدام الفاصلة (الشوطة) المنقوطة وتوصل الأفكار بعضها ببعض . لاحظ استخدام لفظة (التي) في الفقرة التالية فهذه اللفظة تربط الفكرتين الرئيسيتين في الفقرة وتخففنا عن تكرار عبارة (قطرات الماء الدقيقة) .

ثم إن الكلمات (ثم) و (أخيراً) وما تشابههما ، مفيدة في هذه القطعة ؛ لأنها تبرز تتابع الأحداث وتجعلها أقرب إلى الفهم .

ثم لاحظ ميزة أخرى في الفقرة المعدلة تمتاز بها على الأصل ؛ ذلك أنه عندما تكون الأفكار في غير ترتيبها الطبيعي يكون من الضروري أحياناً أن تكررهما حتى يمكن أن تفهم الإشارات الجديدة . فمثلاً الجمل الثالث الأول في القطعة الأصلية تقول : (عندما يبرد بخار الماء يصبح مطراً . إنه يتكاثف . ويسقط المطر) . وفي الفقرة التالية تجد نفس هذه الأفكار مكررة : (عندما يبرد بخار الماء يتكاثف إلى قطرات دقيقة من الماء ، وتنمو القطرات في الحجم وتسقط بشكل مطر) .

إن هذين القسمين من الفقرة الأصلية يكادان يعبران عن شيء واحد ، ولهذا فإن القارئ يشعر كما لو كان مسافراً في سيارة نقل تسير به في طريق متعرج ، فهي تارة تقف وتارة تعود القهقري ، وهي تذهب إلى هذا الاتجاه ، ثم في ذاك ،

وبنفس الطريقة نظل أفكاره تتقدم ، ثم تتأخر ، ثم تنحرف إلى أن يصاب بالدوار . إنه يفضل دون شك أن تنساب أفكاره في سهولة ويسر كالسافر في سيارة ركاب مريحة تجرى به في طريق عريض بطيء المنحنى .

إن لبعض مشاهير الكتاب أسلوباً متقطعاً يغرم الكثيرون بقراءته . ولكن قبل أن تفكر في مزايا مثل هذا النوع من الكتابة يجدر بك أن تتعلم كيف تكتب بالأسلوب المنطقي المنساب ، ويمكنك أن تجرى التجارب الجديدة في الأسلوب فيما بعد عندما تكون قد أتقنت فن نقل الأفكار إلى غيرك من الناس بطريقة واضحة بسيطة .

ومن أسباب التقطع وعدم الانسياب في الكتابة أن الأفكار التي تفتنى إلى موضع معين في السياق كثيراً ما ترد على خاطر الكاتب فيما بعد . وهناك من الناس من يسجلون بالكتابة كل فكرة تطرأ لهم أياً كان ترتيب وقوعها . وإليك بعض المقترحات العملية التي تساعدك على التغلب على هذه المشكلة :

١ — اكتب على سطر واترك سطرًا لتتمكن من إضافة الأفكار التي تطرأ لك فيما بعد .

٢ — لا تكتب على ظهر الورقة فإذا وجدت أن قسماً بأكمله قد جاء في غير موضعه الطبيعي فإنه يمكنك أن تنزع هذا القسم وتلصقه بالمكان المناسب . ولا يمكنك أن تفعل ذلك إذا كنت قد كتبت في ظهر الورقة .

٣ — عند التمييز أو النسخ على الآلة الكاتبة يجب أن تكون الأفكار في ترتيبها الصحيح ، وأن تكون قد أدخلت على الجمل ما تستطيع من تحسين . فإذا شئت أن تكون ممتازاً في أسلوبك فقد يكون من الضروري أن تعيد الكتابة والصقل عدة مرات .

جرب هذه الوسائل وانظر مدى ما يطرأ على أسلوبك من تحسن .

المقدمة في استخراص الالفاظ

ما أكثر ما نجد أناساً يستخدمون ألفاظاً وعبارات في غير مواضعها الدقيقة ، وإننا نتيجة لذلك كثيراً ما نسمع أو نقرأ عبارات لا يمكن أن تكون صحيحة .

إليك هذا المثال :

كتب جون يقول : « وبصفة عامة إن السرعة التي يستطيع الرياضي أن يجرى بها في لعبه في حلبة المباريات أكبر من الوقت اللازم لإبلاغ النتيجة إلى الحكم ،

إن النظرة الأولى إلى هذا الكلام قد تشعرنا بأنه يؤدي معنى معقولاً ، ولكن حمله لترى ماذا يعنى في الحقيقة . وقبل أن نقرأ التحليل الذى سيأتى بعد قليل حاول أن تجد ثلاثة عيوب خطيرة في استخدام الالفاظ في هذه العبارة ، ثم قارن إجابتك بالتحليل الذى يعقبها .

١ — « ... إن السرعة التي يستطيع الرياضي أن يجرى بها في لعبه في حلبة المباريات ، . فهل كل لعبة في حلبة المباريات هي سباق في الجرى ؟ إن القفز بالزانة ليس سباقاً في الجرى ، كما أن الوثب العريض ليس سباقاً في الجرى . ولعل جون يريد أن يقول : « إن السرعة التي يستطيع الرياضي أن يجرى بها في سباق في حلبة المباريات ، .

٢ — « إن السرعة ... أسرع من الوقت ، . إن السرعة يمكن أن تكون أكبر أو أسرع من سرعة أخرى ، ولكنها لا يمكن أن تكون أسرع من وقت ما . إن العبارة السابقة تشبه قولنا : « إن الأحمر أوسع من اللون ، فإنك سرعان ما تدرك أن استعمال هذه الكلمات أحمر ، أوسع ، لهن هو استعمال خاطئ . ولكن رغم هذا فقد تظن أنه من الممكن مقارنة السرعة بالوقت .

فلنضع السؤال بالشكل الآتى : أيهما أسرع : سرعة ٦٠ ميلاً في الساعة أو فترة من الزمن مقدارها يومان ؟ « إنك لا تستطيع أن تقارن هذين الشيئين المختلفين أن هناك لاشك صلة بين السرعة والزمن ، ولكنهما ليسا شيئين من نوع

واحد ، ولهذا يستحيل أن نقارنهما بغير أن نضيف شيئاً لنحدد الموقف . . فمثلاً إذا كان أحد المتسابقين يجرى ميلاً واحداً في أربع دقائق وخمسين ثانية ، ومتسابق آخر يجرى ميلاً في أربع دقائق وثلاثين ثانية ، فيمكنك أن تستنبط من هذه المعلومات أن الثاني أسرع من الأول — ولكن جون لم يراع هذا التعريف الدقيق .

٣ — و... و يبلغ النتيجة إلى الحكم ، من الذى يحكم فى نتيجة السباق عند خط النهاية ؟ إنه الحكم ، فهو الذى يعرف من الفائز قبل أى شخص آخر ، وإذن فهل جون يعنى حقاً الحكم ؟ واضح أنه لا يمكن أن يعنى ذلك ، ولعله يقصد الشخص الذى يسجل أو يعلن نتيجة السباق .

والآن فلنحاول أن نعيد كتابة هذه العبارة لتعبر عما أراد جون أن يقوله :

« فى كثير من مباريات الجرى التى تجرى فى حلبات المباريات نلاحظ أن الزمن الذى يستغرقه الرياضى فى الجرى أقل بكثير من الزمن اللازم لإبلاغ نتائج السباق إلى مسجل النتائج وإعلانها بواسطة المذيع » .

وهناك طرق معينة يمكنك استخدامها لتحليل العبارات واستبدال الكلمات الصحيحة بالكلمات التى استخدمت استخداماً خاطئاً، وتشمل هذه الطرق ما يأتى :

١ — أن نسأل بعض التفاصيل غير المؤكدة .

٢ — أن نستنبط الإجابات عن الأسئلة .

٣ — أن نغير الكلمات بحيث تغطى العبارة الإجابات الواضحة للأسئلة .

لاحظ كيف تستخدم هذه الأساليب فى تصحيح العبارة الآتية :

(إن أكبر مشكلة يواجهها كل من فى المدارس هى مشكلة دخول الكلية إذا كان ذاهباً إلى كلية ، وكيف يلتحق بالكلية التى يختارها أولاً) .

فلنسأل بعض الأسئلة :

- ١ — « كل » — هل هذه الكلية هي المقصودة فعلا ؟ هل يعتبر الالتحاق بكلية مشكلة بالنسبة لشخص لا يعتزم دخول إحدى الكليات ؟
- ٢ — « أكبر » — أمن الممكن أن نثبت أن أية مشكلة هي أكبر مشكلة لجميع الطلبة .
- ٣ — أى نوع من المدارس هو المقصود ؟ المدارس الابتدائية ؟ المدارس المهنية .
- ٤ — هل المقصود هو « الكلية التي يختارها أولا ، أو « الكلية التي يفضلها » .
- ٥ — هل المقصود « إذا كان ذاهبا إلى كلية ، أو « إذا كان يعتزم الذهاب إلى كلية » .

يمكن إعادة كتابة الجملة بالشكل الآتي :

من بين المشكلات الرئيسية التي يواجهها طلبة المدارس الثانوية الذين يعتزمون الالتحاق بإحدى الكليات مشكلة القبول في الجامعة ثم تأتي مشكلة الالتحاق بالكلية التي يفضلها الطالب على ما عداها .

العبارات المتناقضة

تصاحب الصورة الهزلية في الشكل ١٠ عبارة قد يخيل إلينا أنها معقولة ، ولكنها في الواقع تناقض نفسها ، فهذا الشاب يرغب — على ما يبدو — في أن يعدل عن قراءة القصص إلى قراء الكتب الواقعية ، ولكنه يطلب كتباً تحوى مقالات « واقعية » عن الحياة على كوكبي المريخ والزهرة ، ولكن أحدا لا يعرف هل هناك حياة على كوكب المريخ كما أن المعتقد أنه لا حياة على كوكب الزهرة ، وإذن فإن ما يمكن قراءته من الكتب الواقعية عن هذين الكوكبين هو أقل من القليل . ثم إن اختياره هذا الموضوع يتناقض مع قصده أن يقرأ الكتب الواقعية ، فهذا الشاب لا يزال يرغب في قراءة الكتب الخيالية ، وكلما بعدت عن عالم الواقع كان ذلك أفضل .



«لقد بدأت في الإقلاص من قراءة القصص الخيالية
وأريد الآن كتاباً به بعض مقالات واقعية عن
الحياة في المريخ والنهضة»

(شكل ١٠)

(شكل ١٠) هذه العبارة تناقض نفسها بنفسها ، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يقرأ كتاباً (واقعياً) عن الحياة في الكواكب التي لم يرها أحد . قد تكون عند العلماء نظريات عن أشكال الحياة على هذه الكواكب ، ولكن هذه النظريات لم تثبت بعد عن طريق الزيارات الفعلية أو بواسطة المراصد ذات المناظر الفائقة القدرة .

ويلاحظ أن كثيراً من الفكاهة يدور حول مثل هذه العبارات والمواقف المتناقضة غير المنطقية ، وهذا هو السبب في أن الكثيرين من الناس يستمتعون بالتمثيلات الهزلية التي هي من هذا النوع .

تأمل هذه العبارة : « إنك لا تستطيع بحال أن تخمن ما فعلت هذا الصباح ، واضح أن هذه العبارة خاطئة — وإن يكن لا ضرر منها — فقد يحدث من آن لأن أن يستطيع شخص ما أن يخمن ما حدث وأن يصدق حديثه . إننا كثيراً

ما نقبل في أحاديثنا اليومية عبارات متناقضة أو شديدة المبالغة ، ولكننا عندما نكتب مثل هذه العبارات يظهر ما فيها من حماقة .

ثم إن هناك عبارات تنقل إلينا مشاهدات مستحيلة تماما . إليك مثلا : « في الشهرين الماضيين كان العالم الاثري هيجنز يجرى حفريات في آثار مدينة طروادة في آسيا الصغرى ، وقد أعلن أنه قد عثر على عدة قطع قديمة من العملة الفضية وعليها تاريخ ١٢٠٢ ق . م . » .

إن هذا محال ، إذ أن ق . م . معناها قبل ميلاد المسيح ، وما كان لأحد في ذلك الوقت الذي صدرت فيه تلك العملة أن يعرف أن التاريخ هو ١٢٠٢ قبل ميلاد المسيح .

ومن أمثلة العبارات المستحيلة الشبيهة بهذه العبارة ذلك النوع الذي يتجاهل المعنى الأساسي لإحدى كلمات العبارة كقولك : « إنني أستطيع أن أحول الدائرة إلى مربع بأن أضغطها بين يدي » .

هذا محال ، لأن الدائرة تعرف بأنها خط منحني كل نقطة فيه تبعد بعدا متساويا عن المركز ، وعليه فالمنحني لا يكون دائرة إذا لم يتوافر فيه هذا الشرط . وكان يمكن أن تكون العبارة مقبولة لو أن كلمة دائرة المجردة قد حوت إلى كلمة تدل على محسوس بإضافة بعض الالفاظ إليها كقولك :

« إنني أستطيع أن أحول دائرة من السلك النحاس اللين إلى مربع ، بأن أضغطها بين يدي » .

إننا بطبيعة الحال لا نود أن نقضى على ما للاستعارات في اللغة مع جاذبية وطرافة ، فنحن عادة ندرك المقصود بالعبارات التي لا تستخدم في معناها الحرفي ، بل في معناها المجازي ونستمتع بها كقولك : « ما أبعد ما تلقى هذه الشمعة الصغيرة بضوئها ؟ هكذا يضئ العمل الطيب في عالم شرير » . والعمل الطيب لا يضئ بالمعنى الحرفي للكلمة ولكنه مجازياً يمكن أن يضئ .

ولكى نقرر ما إذا كانت عبارة من العبارات مستحيلة وغير مرغوب فيها يجب أن نحرص على تحليل الهدف فيها والسياق الذى وردت فيه ، فإذا وجدنا أن المقصود منها هو معناها المجازى فإننا حينئذ لا نعتبرها استعمالا للغة غير مرغوب فيه .

اللفاظ العامة أو الطافية

من أهم أسباب عدم الوضوح فى اللغة استخدام كلمات لا يسهل التيقن مما تشير إليه . تأمل مثلا هذه العبارة : « إن الفرنسيين يختلفون عن الإنجليز ؛ فهم أكثر عاطفية وأكثر ميلا إلى الانفعال الدرامى . فالمشكلة هنا هى كلمة (هم) . أهى تشير إلى الفرنسيين أو إلى الإنجليز ؟ لاشك أن كاتب هذه العبارة يعرف ما تشير إليه الكلمة ، ولكن القارى قد يفهمها على أنها تشير إلى أى من الفريقين . والواقع أن تفسيره للعبارة قد يتوقف على رأيه الشخصى فى الفرنسيين والإنجليز ، فإذا كان هناك من يعتبر الفرنسيين أكثر عاطفية ودرامية من الإنجليز فإنه سيفترض أن (هم) تشير إلى الفرنسيين ، وهكذا يمكن أن يكون لعبارة بسيطة تفسيرات متعارضة بواسطة أناس مختلفين . مثل هذه (الكلمة العامة) يجب أن نحدد بحيث لا يكون هناك شك فى المقصود بها . وفى مثالنا السابق يمكن أن يحصل هذا التحديد لو صيغت العبارة بالشكل الآتى :

« لو قارنا الفرنسيين بالإنجليز لوجدنا الفرنسيين أكثر عاطفية ودرامية . »

وتمتاز هذه الجملة على سابقتها بأنها جملة واحدة بدلا من اثنتين . والجملة الجديدة أكثر جلاء وأكثر تحديدا . ولذلك فهى أيسر فى الفهم ، فهى توصل الفكرة إلى القارىء أو السامع بشكل أوضح .

ولو شئنا أن نحفظ بتركيب الجملة الأصلية كما هو ، لأمكنا أن نوضح المعنى بالطريقة الآتية :

« إن الفرنسيين يختلفون كثيرا عن الإنجليز . فالأولون أكثر عاطفية ودرامية . »

وينتج غموض معنى الكلمات العائمة أو الطافية عادة من سوء استخدام الضمائر وأسماء الإشارة كهم وهى وهذا وهو الخ . فعندما تستخدم مثل هذه الالفاظ يجب أن تستوثق من أن الكلمات التى تشير إليها تلك ضمائر واضحة تماماً . فإذا جاء الضمير بعيداً عما يشير إليه فى فقرة طويلة فمن الخير أن تكرر الكلمة الأصلية لتجنب الغموض والابهام .

وتعتمد الفسكاهة فى الرسم الهزلى شكل ١١ على استخدام هذه الضمائر القائمة ، فالزوج يستطيع أن يختار واحداً من تفسيرات عديدة لكلمة « هذا » . وقد اختار أن يفعل شيئاً بشأن « هذا » الموضوع بأن وضع فوق وجهه « غمامات » تحجب عن عينيّه منظر الزوجة وهى تسكدح فى شئون البيت . لقد كانت الزوجة



(شكل ١١)

(شكل ١١) إن كلا من « مط » وزوجته ، يفسر الضمير العائم « هذا » على هواه فيعتبر « مط » أن « هذا الموضوع » يشير إلى ما يسديه له قيام زوجته بأعمال البيت من إزعاج ، فى حين تعتبر زوجته أن « هذا الموضوع » يشير إلى ما يصيبها من تعب وملل من كلنس الأرض .

تستطيع أن تحدد المعنى الذى تقصده « وتحدد بذلك مسلك زوجها » لو أنها قالت مثلاً : « إذن فلماذا لا يفعل شيئاً بشأن ما ألقى من غذاء من أعمال البيت ؟ » أو ربما كانت العبارة الآتية أكثر تحديداً ودقة . لماذا لا تساعدنى ؟

ففي هذه الحالة ما كان الزوج بمستطيع الهروب من الموضوع بهذه السهولة .

كتابة الرسائل

في عديد من المناسبات تحتاج إلى كتابة رسالة هامة تحمل معلومات معينة ، ومن هذا النوع طلبات الاستخدام ، كما أننا كثيراً ما نحتاج إلى معلومات هامة نطلبها بطريق الرسائل ، وإن اتباع الأساليب المنطقية في كتابة مثل هذه الرسائل يزيد من فرص الإنسان في الحصول على رد مرض على طابه .

إليك مثلاً خطابين من النوع الذي يكتبه الشبان عادة إلى مختلف الشركات والهيئات ومصالح الحكومة . هذه رسالة من جين جرين :

أيها السادة :

لقد طلب منا مدرسنا أن نقوم بمشروع في علم الأحياء ، ولست أدري ما أفعل ، فهل تفضلون بتزويدي بمعلومات عن مشروع أستطيع القيام به ؟

وتفضلوا بقبول الاحترام ؟

جين جرين

إن مصير هذا الخطاب هو في الغالب سلة المهملات ، أو قد يلقى رداً قصيراً جافاً ، ذلك أنه خطاب غامض غير محدد بحيث تتعذر الإجابة عنه ، كما أنه يتبين منه أن جين فتاة حمقاء جريئة ، فلقد طلبت من هؤلاء الناس أن يكلفوا أنفسهم مشقة مساعدتها دون أن تكلف نفسها مشقة اختيار مشروع بنفسها . ولو أنها كانت أكثر تحديداً لكانت احتمالات حصولها على المساعدة المطلوبة أكبر بكثير .

قارن خطابها هذا بخطاب زميلتها في الفصل سادى كروس ..

أيها السادة :

لأننى أعمل فى مشروع علمى يتصل بالبنسليين ، ولقد علمت أن شركتكم تفتح البنسليين ، ولهذا فإننى أكون شاكرة لو تفضلتكم بإرسال أية معلومات نشرت فى هذا الموضوع قد تكون متاحة لكم .

كما أننى أكون ممتنة لو تفضلتكم باقتراح أية تجارب فى هذا الميدان ، وإنه ليسعدنى أن أعترف فى مشروعى بأية مساعدة قد ألقاها منكم .

وتفضلوا بقبول الاحترام

سادى كروس

إن خطاب سادى أوضح بكثير من خطاب جين، فهى تطلب معلومات عن موضوع واحد محدد، وهى قد اختارت شركة يحتمل أن تكون لديها المعلومات المطلوبة، كما يحتمل أن تكون على استعداد لتقديها .

لأننا لم نستنفد بعد كل احتمالات موضوع دور اللغة فى عملية التفكير ودور التفكير الواضح فى تحسين المهارات اللغوية، وفى الفصول القادمة سنشير من وقت لآخر إلى مظاهر هامة من العلاقة بين اللغة والتفكير .

هاول أنه تحل هذه المسئلة

(الإجابات آخر الكتاب) .

١ - ماهى التحسينات التى تقترح إدخالها فى القطعة الآتية :

الأمييا حيوانات صغيرة جداً تعيش فى البرك ، وإنك تجد كثيراً منها فى الغالب فى الطمى الذى يؤخذ من قاع بركة . اجمع بعضاً منها من بركة وازرعها فى قدر ، ولا بد لك من بجهر لدراستها ، ومن المرغوب فيه أن تكبرها ٤٠ مرة ، ويجب أن نترك الأمييا مدة أسبوع وهى مزروعة لتنمو قبل أن تجرى تجاربك .

٢ — حلل الجمل الآتية واقترح تعديلات فيها تؤدي إلى جعلها أكثر دقة :

(أ) لقد كانت « بيت روث » أكثر لاعبات البيسبول تفردا في كل العصور .

(ب) توجد الآن قبيلة أكبر من جميع القبائل التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية ، تلك هي القبيلة الهيدروجينية .

(ج) لقد قضا وقتاً ممتعاً بشكل فظيع في حلبة الزحلق .

(د) لأنك ترى أن الأشجار في « تاعب » فقد أصابها مرض من الخنافس .

(هـ) إن مذاق الحبوب الساخنة أحسن هذا الصباح ، لأنها طهيت لمدة أطول .

٣ — ما هي الأخطاء اللغوية في كل من العبارات الآتية :

(أ) إن الأمر يكفين أكثر الناس مودة في العالم .

(ب) يقول المرشح جون سميث لناخي دائرته : إذا انتخبتموني فإنني سأؤيد جميع المقترحات التي ترغبون في تحقيقها .

(ج) إن كل التعميمات خاطئة .

(د) متى قالت « إيفا » إنها ستخبرنا ؟

٤ — أرسل فريق للمناظرة إلى فريق آخر يدعو لمناظرته . وقد وردت الفقرة التالية في الخطاب — حاول أن تجد فيها عباوات متعارضة :

« إننا نقترح أن تقام بيننا مناظرة يوم السبت ، الخامس من مارس . في قاعة مدرسة إيفا نزيج الثانوية . وذلك بالشروط الآتية :

١ — لكل متكلم ١٥ دقيقة لعرض الموضوع وثلاث دقائق للرد .

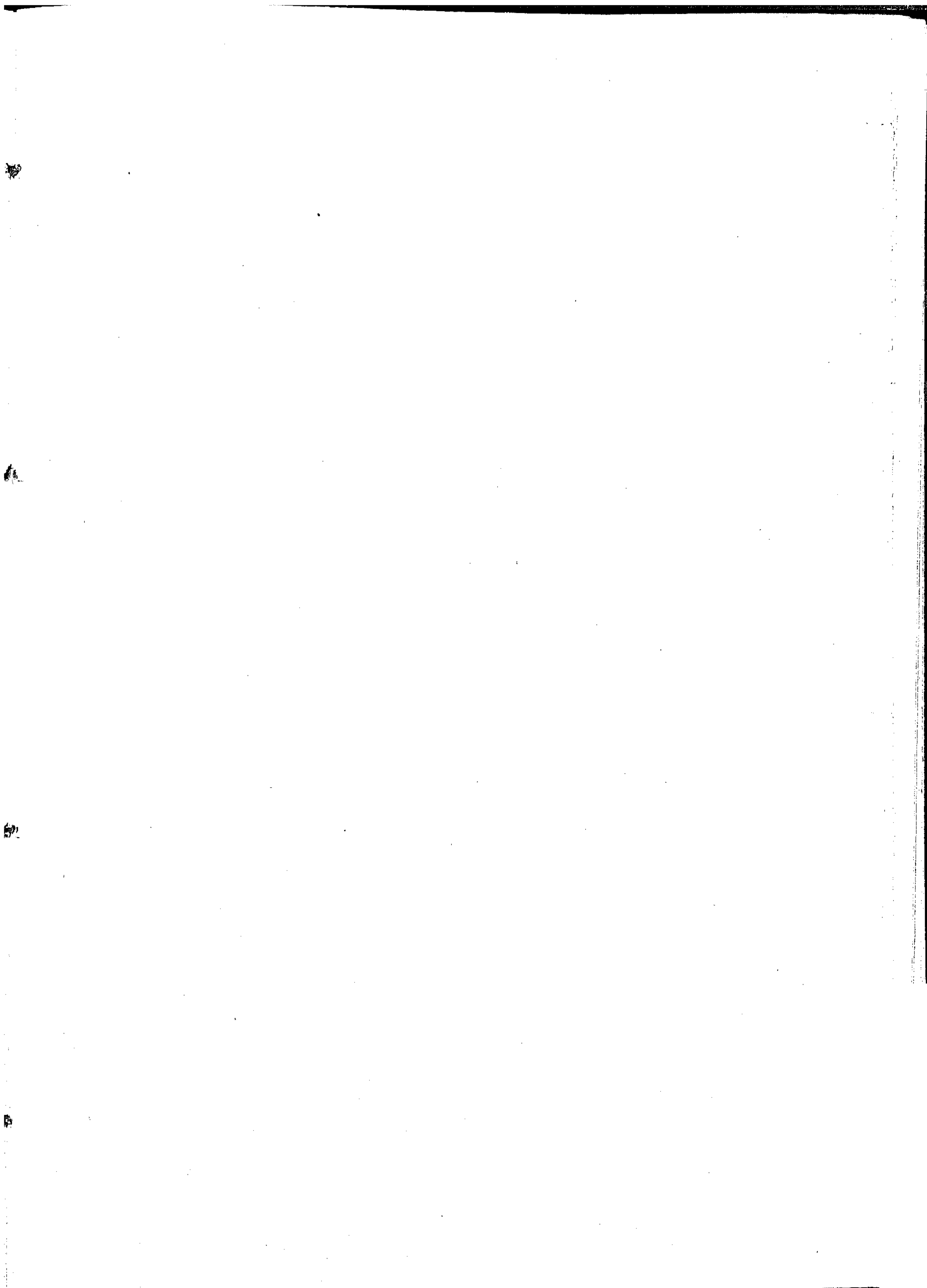
- ٢ — كل فريق يتكون من عضوين .
- ٣ — موضوع المناظرة هو أى موضوع لا يختلف عليه أحد .
- ٤ — يختار ناظرا المدرستين المحكمان فى المناظرة .
- ٥ — لماذا يمكن أن تعتبر العبارة المصاحبة لشكل ١٢ عبارة فكرية .



« إن صديقتى حسنة الهيئة وإن كانت
لا تظهر كذلك فى الصورة »

(شكل ١٢)

(شكل ١٢) هذه عبارة تناقض نفسها بنفسها .



الفصل الخامس

الحقائق الناقصة

أخذ الرقيب الأول (الباشجاويش) يرقب شاشة الرادار بإمعان . ثم نادى الضابط بصوت هادئ ولكنه متوتر : « يظهر أن عدداً من القذائف قادمة في اتجاهنا من الشمال ، » .

فأسرع إليه الضابط وألقى نظرة على الشاشة لبضع ثوان ثم رفع سماعة التليفون واتصل بقائد القاعدة ، وفي أقل من دقيقة كان عدد من كبار الضباط قد التفتوا حول شاشة الرادار .

وحاول أحدهم أن يتصل بالقيادة العامة ، ولكنه عاد مبهوراً يقول :
(لم أتمكن من إبلاغ الرسالة ياسيدي) .

لقد كانت تلك لحظة رهيبة : ترى هل سقطت القنابل الذرية فعلاً على واشنطن ؟ أكانت تلك النقاط المتحركة على الشاشة قنابل ذرية أخرى ؟ أكانت قاعدة قذائفهم (أى القاعدة الأمريكية) على وشك أن تمحوها قنبلة من الوجود ؟ أكان هؤلاء الرجال القلائل المنعزلون في تلك القاعدة النائية في المنطقة المتجددة ؟ أكانوا مستطيعين أن يحملوا على عاتقهم مسؤولية ضغط الأضرار التي تطلق قنابلنا الذرية في طريقها إلى المدن والقواعد الروسية ؟

ولكن ماذا لو فرضنا أنهم قد أخطأوا وأنهم ضغطوا الأضرار رغم أن ررسيالهم تطلق قذائف ذات رهوس ذرية ؟ أيستطيعون أن يتحملوا مسؤولية إشعال الحرب العالمية الثالثة وإبادة مئات الملايين من الناس ، وربما البشر جميعاً ؟

سأل قائد القاعدة : أين خروشوف ؟

جاء الجواب : إنه في نيويورك — في هيئة الأمم .

لقد قدم هذا السؤال وهذا الجواب حقيقة أساسية ناقصة — حقيقة يمكن أن يستنتج منها أن ظهور النقطة على شاشة الرادار وتعذر الاتصال بالقيادة العامة، كل ذلك لم يكن راجعاً إلى هجرم غادر من روسيا على الولايات المتحدة .

فلقد كان من رأى جميع الحاضرين أن روسيا لا يمكن أن تطلق قذائفها على الولايات المتحدة في الوقت الذي كان فيه زعيمها موجوداً في تلك البلاد .

وهكذا لم يضغط أحد على الأضرار ولم تشتعل نيران الحرب العالمية الثالثة .

إن حادثاً مثل هذا وقع فعلاً في قاعدة عسكرية في المنطقة المتجمدة عام ١٩٦١ ، وفي تلك اللحظة كان مصير العالم معلقاً على سؤال وجواب بسيطين قدما الحقيقة الناقصة .

ولكن هناك حقائق أخرى ناقصة : فما الذى سبب النقطة التى ظهرت على الشاشة ؟

لقد اكتشف فيما بعد أن الذى سببها هو فى الغالب انعكاسات من القمر الذى كان إذ ذاك منخفضاً فى السماء — وانقطاع الاتصال التليفونى مع واشنطن ؟ ما الذى سببه ؟ لقد اتضح أن ذلك كان راجعاً إلى عطل مؤقت فى الاتصال لم يلبث أن أصلح وعاد الاتصال إلى سابق عهده .

فى هذه الحالة بالذات كادت نتائج قرار خاطيء تؤدي إلى كارثة تحمل بالبشر فى جميع أنحاء العالم . ولكن هناك كثيراً من مثل هذه المواقف ذات الحقائق الناقصة فى الحياة اليومية تستلزم اتخاذ قرارات أو إصدار أحكام . وكما سبق أن أشرنا فى مناقشتنا لموضوع الاستدلال عن طريق الاستقراء ، هناك دائماً حقائق ناقصة فى الحياة الواقعية ، لأننا لا نستطيع أن نعرف جميع الظروف المحيطة بحادثة ما .

وفى عالم اليوم — عالم القنبلة الذرية — قد يكون من الأمور الجوهرية لحفظ السلام أن نعرف الدور الهام الذى تقوم به الحقائق الناقصة . ولقد عبرت نشرة علماء الذرة عن هذه الحقيقة . فإنه من الممكن أن ينشأ موقف تتمكن فيه

أمة ما من أن تسبب حرباً نووية بين الأمم الأخرى ، وذلك بالقيام بعمل استفزازي يظل فاعله مجهولاً . فحتى لو فجرت قنبلة ذرية صغيرة على إحدى المدن الأمريكية (أو الروسية) فإن هذا يشير للناس بشكل يمكن أن يشعل نيران الحرب . ولكن هذه القنبلة من الممكن أن تكون قد ألقتها الصين أو الأرجنتين . أو قد يكون الذي أطلقها سياسى أو عالم أصابت عقله لؤثة .

الحقائق الناقصة في قصة غامضة

والآن فلنتأمل بالتفصيل حادثاً أقل خطورة من تلك الأحداث التي تهز الأرض برمتها ، حادثاً قد يقع في أحد شوارع أية مدينة كبيرة .

كان جون جونز في طريقه إلى عمله ، وبينما هو سائر بجانب عمارة كبيرة سمع صوت صرخة عالية ، فأسرع بالالتفاف حول الناصية ، وأمام مدخل العمارة وجد رجلاً ممسكاً في يده يسكين واقفاً فوق جثة ملقاة على طوار الشارع . ألقى الرجل باليسكين وجرى داخل العمارة ، فجرى جون إلى دكان يقال بجاور وصاح قائلاً : أسرعوا بطلب الشرطة . . ثم أسرع عائداً إلى الرجل الملقى على الطوار وقد ظهر أنه قد فارق الحياة .

وسرعان ما تجمع الكثيرون من الناس وقرروا أن يبحثوا عن القاتل داخل العمارة ، فاندفعوا داخلها ، وكان باب الشقة الأولى مفتوحاً بعض الشيء ، ولمح جون القاتل وقال للآخرين : « هذا هو القاتل » . ورغم مقاومته العنيفة قبض على القاتل وظل معتقلاً إلى أن حضر رجال الشرطة .

أيمكنك أن تقول إن التهمة ثابتة على الرجل الذي كان ممسكاً باليسكين والذي جرى (لينختي) ؟ ولو أنك كنت واحداً من هيئة المحلفين التي تحاكم هذا الرجل بتهمة القتل بناء على هذا الدليل أكان يكون لديك أى شك في جرمه ؟

إن هناك عدة ثغرات في هذه الأدلة : أولها أن جون جونز لم ير جريمة

القتل ترتكب فعلاً . . صحيح أنه رأى الرجل يلقي بالسكين ويجرى فاستنتج من ذلك أن الرجل قد جرى لأنه ارتكب الجريمة . ثم إنه عندما قبض عليه قاوم بعنف، فلو كان بريئاً لما قاوم . ولكن إليك الجانب الآخر من القصة :

إن هذا الرجل المتهم بالقتل ويدعى (بيل بيسكر) أعلن أنه برى براءة تامة من هذا الجرم . وادعى أنه بينما كان خارجاً من العمارة رأى رجلين يتجادلان في الشارع . وفجأة طعن أحدهما الآخر وهرب بأن نزل إلى (بدروم) منزل مجاور فجري بيل إلى المجنى عليه ليساعده . ف جذب السكين بعيداً وألقى بها . ثم جرى داخل العمارة ليستدعى الشرطة . ففتح أقرب باب ودخل الشقة واستدعى الشرطة . ولم يكذب ينتهي من مكالمته حتى اندفع ثلاثة رجال داخل الشقة وهاجموه . فظن أنهم عصابة من القتلة . فقاتلهم بعنف لينجو بحياته . ولكنهم تغلبوا عليه وسلموه للشرطة قائلين إنه القاتل .

لنفرض أنك رجل الشرطة السرية المكلف بالبحث في هذه الجريمة . فما هي الإجراءات التي تتخذها لكي تستوثق من أنك قد قبضت على القاتل الحقيقي ؟

إن أول وأهم ما يلزمك هو أن تكون متفتح العقل — إن قصة بيل بيسكر قد تظهر غير محتملة للمحققين . ولكن هناك احتمال أنه يقول الصدق ، وحتى إذا كانت احتمالات الصدق واحداً في المائة واحتمالات الكذب ٩٩٪ فإن رجل المباحث الجنائية يجب أن يبحث في قضيته بعناية ، وإلا فلو أدين بيل وهو برى لدمرت حياته ووصمت أسرته بالإجرام . وليظل القاتل الحقيقي حراً طليقاً ليرتكب جرائم أخرى .

فما هي خطة البحث المعقولة التي يجب اتباعها ؟ إليك بعض الأسئلة التي يجب أن يسألها رجل الشرطة . وكل سؤال منها يوجه الأنظار إلى اتجاهات معينة يجب أن يأخذها التحقيق . والغرض من هذا التحقيق هو لإزاحة الستار عن الحقائق الناقصة . وهذه عندئذ تعطينا الأساس الذي نبني عليه نتائج قد تكون عظيمة الفائدة في تقرير ما إذا كان الرجل مذنباً أو بريئاً .

١ — هل استدعى أحد الشرطة ؟ أيمن لرجل الشرطة الذي تلقى مكالمة بيل أن يستبين صوته ويميزه ؟ فإذا كان بيل فعلا قد تحدث إلى الشرطة بالتليفون فإن الأدلة ضده تضعف إلى حد كبير .

٢ — ما الذي أتى ببيل إلى العبارة ؟ أيمن لأي من سكان العبارة أن يؤيد السبب الذي ادعاه في وجوده بالعبارة ؟ إذا أمكن إثبات أن بيل كان في العبارة لغرض معقول فإن قصته تكون أقرب إلى التصديق ، وإلا فإنها تكون دليلا قويا ضده .

٣ — هل هناك من شاهد الجريمة وهي ترتكب ؟ إن استجواب الأهالي في الحى قد يكون مفيدا . ولما كان الشهود كثيرا ما يمتنعون عن الإبلاغ عما شاهدوا خوفا مما قد يسببه لهم ذلك من متاعب فإن الصحف قد تستطيع أن تؤدي خدمة بأن تطلب إلى الشهود أن يتقدموا للإدلاء بشهاداتهم .

٤ — أكانت هناك علاقة بين بيل والقتيل ؟ أكان هناك دافع يمكن أن يدفع إلى ارتكاب الجريمة ؟ إذا أمكن إثبات أن بيل كان يعرف القتيل فربما أدى ذلك إلى إضعاف حجته .

٥ — هل رأى أحد رجلا آخر يخرج من بدروم المنزل المجاور حوالى ذلك الوقت ؟

٦ — هل وجدت أية بصمات على السكين بخلاف بصمات بيكر ؟

٧ — أكان هناك من الوقت ما يكفي لأن يفعل بيل ما ادعى أنه فعله ، في حين كان جون جونز يحرق حول الناصية ؟ ربما كان من المفيد أن تعمل تجربة لقياس الزمن فيكلف جون جونز وبيل بيكر بأن يعيدا مفعلا . ويجب أن يفحص كل فعل بالتفصيل لما قد يلقيه من الضوء ؛ فمثلا الباب المؤدى إلى الشقة كان مفتوحا — أليس هذا مما يؤيد صدق رواية بيل ؟ هل يعقل أن يختبئ قاتل في شقة ويترك بابها مفتوحا .

٨ — أكان بيل رجلا ممتاز الخلق ؟ أو كان من النوع الذى يحتمل أن

يرتكب جريمة كهذه؟ أله سوابق في الإجرام؟ وما هو عمله بالضبط؟ فإذا كان واحداً من تجار المخدرات مثلاً فإن التهمة قد تعتبر ثابتة عليه (وإن يكن ذلك بغير مبرر) .

٩ - من كان القتل؟ أكان هناك في حياته ما يمكن أن يكون دافعاً إلى قتله؟

ولاشك أنك تستطيع أن تفكر في اتجاهات أخرى يمكن أن يتخذها التحقيق .

في مثل هذه المواقف لابد لنا من أن نعتمد في الوصول إلى الحقائق على ما يراه الناس ويسمعونه ، ففي أوقات الشك يميل الناس إلى أن يتصوروا أشياء لا سند لها من الواقع . وقد أجريت اختبارات على مقدرة الناس على الملاحظة الصحيحة في المواقف التي تتوالى فيها الأحداث بسرعة كبيرة ، فعندما طلب من عدد من الناس أن يصفوا ما رأوه اختلفت رواياتهم عن الوقائع من عدة نواح حتى عندما أخذت أقوالهم بعد ملاحظتهم تلك الأحداث مباشرة . فإذا ما مضى على الحادث يوم أو أسبوع والناس يتعدثون عنه ، فإن الكثير يضيفون إلى ما لاحظوه بأنفسهم مبالغات سمعوها من الآخرين ، وبعد قليل يصبح من الممكن للناس أن يعتقدوا اعتقاداً راسخاً أنهم رأوا أحداثاً لم تحدث قط .

ولهذا السبب فإنه من المهم أن نشكك في الروايات التي نسمعها من الآخرين عن الأحداث حتى في حياتنا اليومية . إن خير سياسة تتبعها عندما تسمع شخصاً يتحدث عن الأعمال الفظيعة التي يرتكبها شخص آخر هي أن تستمع إليه بحذر ، وأن تمتنع عن إصدار الأحكام ، وألا تتخذ إجراء عاجلاً قبل أن تعرف الجوانب الآخر من القصة ، فلقد يتضح أن ما اتخذت من إجراء مبني على رواية مشوهة هو إجراء خاطيء ، وقد تكون الفرصة فائت لإصلاح ما وقع من ضرر .

إن البحث عن الحقائق الناقصة ليس من الأمور الهينة ، فإنه — فضلاً عن أنه يواجهنا بمشكلات في حياتنا اليومية — كذلك يواجهنا بمشكلات في كثير من الأعمال التي يقوم بها الناس . وإنك لتذكر ما قلناه عن محاولة لايجمير الوصول

إلى الحقيقة بشأن ذبابة الخيل . تذكر كيف تمكن بفضل عقله المتفتح من أن يتشكك فيما ظنه الآخرون حقائق . كما أنك يذكر كيف أن إعداده العلمي مكنه من أن يصل إلى الحقائق الهامة التي أدت إلى إصدار حكم صحيح .

صعوبات في طريق العثور على الحقائق الناقصة

إن الحقائق الغامضة ليست دائما حقائق معقدة ، ففي بعض الأحيان تواجهنا مواقف في غاية البساطة بمشكلات بحيرة . وإليك تجربة تبين لك أن اكتشاف حقيقة بسيطة ناقصة قد يكون من أصعب الأمور .

طلب إلى أربعة طلاب أن يتطوعوا لإجراء تجربة في التعليل ، فعرض عليهم المدرس قطعة من الطباشير في يده ثم قال : « إن شيئا ما سيحدث لهذه القطعة من الطباشير ، ولكن لم يسمح لكم بأن تروا ما سيحدث . والمشكلة المطلوب منكم حلها هي أن تتخيلوا ما حدث . ولأن أنبئكم مقدما بأنه لن تكون هناك أحداث معقدة ، وسأسمح لزملائكم الطلاب أن يحكموا هل توصلتم إلى الجواب الصحيح أو أنكم اقتربتم قريبا معقولا منه ، »

ثم طلب إلى الطلاب الأربعة أن يقفوا ويتجهوا بأبصارهم إلى الجزء الخافي من الحجرة حتى لا يبصروا ما سيحدث ، بخلاف بقية تلاميذ الفصل الذين سمح لهم بأن يروا كل شيء . وسمع كل من الطلاب الأربعة صوت قطعة الطباشير تسقط على الأرض ، ثم طلب المدرس إلى الطلاب الأربعة أن يستديروا ، وإذا هم يفعلون ذلك انحنى المدرس والتفت قطعة الطباشير من على الأرض ثم سألهم : ماذا حدث؟

وكانت إجابات التلاميذ عن هذا السؤال كالآتي :

- « إنك رميت قطعة الطباشير على الأرض ، »
- « إنك تركت قطعة الطباشير تسقط على الأرض ، »
- « إنك دحرجت قطعة الطباشير على المدرج إلى أن سقطت على الأرض ، »
- « إنك وضعت قطعة الطباشير على رأسك وتركها تسقط ، »

« إنك ألقيت بها إلى أعلى في الهواء » .

« إنك وضعت قطعة الطباشير في جيبك وأسقطت قطعة أخرى على الأرض » .

أجريت هذه التجربة في نحو خمسين فصلاً دراسياً على مدى نحو ١٥ سنة ، وفي خلال تلك المدة الطويلة لم يستطع واحد من الطلاب المشتركين في التجربة أن يخمن الحقيقة الناقصة .. أيمنك أنت أن تخمنها ؟ اكتب قائمة بتخميناتك — فكر في المشكلة بضع دقائق قبل أن تكتب الإجابة .

ومن الممكن أن تحلل مثل هذا الموقف بالطريقة الآتية :

اكتب أولاً عبارة معقولة تصف ما حدث — مثلاً : « إنك أسقطت قطعة الطباشير » . لاحظ أن هناك ثلاثة أجزاء في هذه الجملة : أنت (شخص) أسقطت (حدث) قطعة الطباشير (شيء) . اكتب هذه الأجزاء الثلاثة للوقوف في أعلى الورقة ، ثم اكتب تحت هذه الرموس كل الأحداث التي كان يمكن أن تقع .

الشخص : المعلم — طالب في الفصل — أو شخص ما دخل الحجرة في تلك اللحظة .

لاحظ أن هذا العنوان (شخص) يستبعد بعض الإمكانات الأخرى مثل أداة يمكنها أن تلقى الطباشير ، أو فرد مختبئ وراء كرسي المعلم ومدرّب على إلقاء الطباشير ثم الجرى إلى مخبئه .

الحدث : إلقاء الطباشير إلى أعلى — إلقاؤه إلى أسفل — إسقاطه — دفعه — دحرجته من على مائدة — دحرجته من على أحد أجزاء الجسم — إن الإمكانات هنا متعددة جداً لأنه من الممكن أن يكون حدثان متتابعان أو أكثر قد حدثا — فمثلاً قد يكون المدرس استدار مرتين قبل أن يسقط أو يلقى بالطباشير أو يدفعه أو يدحرجه . وقد يكون المدرس وضع الطباشير في جيبه ثم عمل صوتاً ما على الدرج ثم التقط قطعة أخرى من الطباشير كانت قد وضعت على الأرض من قبل .

الشيء : قطعة الطباشير التي أمسك بها المدرس أولاً — قطعة أخرى من الطباشير أو شيء آخر يشبه صوته عندما يسقط على الأرض صوت الطباشير .

وكذلك من المفيد أن نسأل بعض الأسئلة : من الذي فعل الحدث : ماذا فعل أو فعلت : أكان شخصاً ما : كيف وقع الحدث : (بالذراع أم بالساق) .

هل حقاً سمعنا صوت الطباشير وهو يسقط ؟ أم يمكن أن يكون شيء آخر هو الذي سقط ؟ وما هي الأشياء التي كانت ذات صلة بالحدث :

في الواقع أن ما حدث هو أن المدرس أعطى قطعة الطباشير لطالب قريب وأشار إليه بأن يدعمها تسقط على الأرض . فالذي أسقط الطباشير طالب . فلماذا فشل جميع الطلاب الذين أجريت عليهم التجربة (وهم بالمثل) في أن يخمنوا أن شخصاً آخر غير المدرس قد يكون هو الذي أسقط الطباشير .

وعندما تعرف الإجابة فيما بعد يكون من الواضح أنه كان يجب أن يوضع مثل هذا الاحتمال موضع الاعتبار .

القولب العقلية والحقائق الناقصة

عندما نحاول الوصول إلى حل لمشكلة ما نتأثر جميعاً بقولبنا العقلية فنرى المشكلة داخل إطار من بيئتنا وداخل إطار من الزمان والمكان والظروف السابقة ونحدد تفكيرنا فيما هو مألوف ومعتاد . فالطلاب يرون المعلم والطباشير قبل الحدث وبعده فتنشأ علاقة بسيطة طبيعية بين رؤية المعلم ممسكاً بالطباشير في يده وبين رؤيته بعد لحظة يلتقط قطعة الطباشير من على الأرض . إن التتابع « الطبيعي » للأحداث يدل على أن المدرس هو الشخص الوحيد الذي اشترك في العملية . ويكون من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى دليل أن الحادث ما هو إلا مجرد إسقاط الطباشير ثم الانحناء على الأرض لالتقاطه . وفي هذه العملية الاستقرائية « يقفز الإنسان إلى النتيجة » متخطياً كثيراً من الحقائق الناقصة دون أن يدرك في الغالب أنها فعلاً ناقصة .

فمثلا في العصور القديمة كان الناس يعتقدون أن الأرض منبسطة ، وأن الشمس تدور حولها . وكما رأينا كان هذا محقولا جداً ، لأنهم رأوا الأرض فعلاً وأحسوا بها منبسطة . فقد لاحظوا أن الشمس تشرق في الشرق وتغرب السماء ثم تغرب في الغرب . ألم يكن من المعقول أيضاً أن يعتقدوا أن أى إنسان ينسكرك هذه الحقائق الواضحة لابد أنه معتوه أو تقمصه شيطان : وكان المعروف أن العته والمس من الشياطين كثيراً ما « سبب » المتاعب والأمراض ، بل الموت لأفراد الأسرة والجيران وغيرهم من الناس ... ألم يكن من الصواب التخلص من هذا الشخص المعتوه ؟ وأية طريقة لذلك أسلم من إحراقه للتأكد من القضاء قضاء تاماً على الروح الشريرة الخطرة التي تقمصته ومنع أية أضرار أخرى تصيب المجتمع ؟

إن هذا القالب الفعلى يظهر لنا اليوم حماقة ؛ لأننا نعرف أن كثيراً من الأمراض تنتج عن البكتريا وعن المواد السميكية ، وعن نقص الفيتامينات وما شابهها من الأسباب . ومع ذلك يجب ألا ننسخر مما نعتقد أنه اتجاهات وآراء حقا . فلو أننا عشنا في تلك العصور أما كنا نتخذ نفس هذه القوالب العقلية ؟ أما كنا ننضم إلى الجمهور الذى كان يقف ليشاهد أولئك الذين بهم مس من الشيطان يحرقون أحياء ؟ أما كنا نسر لان الأرواح الشريرة قد أبيت ومنع إذاها ؟ أم كنا ننضم إلى الأفراد القلائل الذين استطاعوا أن يتخلصوا من القوالب العقلية الثابتة السائدة في ذلك الوقت وأن يبحثوا عن الحقائق الناقصة .

ومن الخطأ أن نظن أن القوالب العقلية ضارة دائماً في حياتنا اليومية . فكثير من المواقف يتكرر مرارا ونستطيع عن طريق الاستقراء أن نصل إلى التعميم من الأحداث المتشابهة ، وأن نرتبها في عقولنا . وهكذا يمكننا غالباً أن نصل بسرعة إلى استنتاجات صحيحة بشأن الحقائق الناقصة .

فمثلا سماعنا رنين الزجاجات في الصباح الباكر يكاد يكون سببه دائماً وصول بائع اللبن . ولكن قد يكون سببه كذلك هروب سجين من سجنه وهو يحمل بضعة زجاجات من اللبن . والصوت المألوف لوقع أقدام شخص يصعد الدرج في

الساعة الحادية عشرة صباحاً قد يكون وقع أقدام ساعي البريد يحمل إلينا يريدنا في الوقت المعتاد . ولكنه قد يكون أيضاً وقد أقدام محصل لأحد المتاجر جاء يتقاضى ثمن ما اشترينا من سلع . والصوت المرتفع في المطبخ قد يكون راجعاً إلى إغلاق باب الثلاجة ، ولكنه أحياناً قد يرجع إلى سقوط إنسان على الأرض . إن الحقائق الناقصة التي نفترض وجودها في المواقف المألوفة قد لاتصدق رغم صدقها آلاف المرات من قبل . وعندما تجعلنا قوالنا العقلية نستنبط حقائق ناقصة غير صحيحة فقد تكون النتائج خطيرة كما رأينا في قضية « بيل بيكر » .

العقل المفتوح

إننا في حاجة إلى أن نظل عقولنا مفتوحة ، وذلك كنوع من الاحتياط للأوقات التي نضللنا فيها قوالنا العقلية . إن العقل المفتوح يتيح لنا أن نتلقى الحقائق الناقصة ، وأن نبحث عنها بمجرد أن ندرك أننا في حاجة إليها . وعندما يختلف الناس معنا فإن من وسائل الاقتراب من التفاهم معهم أن نبحث منطقة الحقائق الناقصة . وكثيراً ما يكون من المستطاع تجنب المجادلات العنيفة والقطيعة بين الأفراد (وبين الشعوب كذلك) لو جلسنا وأخذنا نبحث عامدين في منطقة الحقائق الناقصة بعقولنا المفتوحة .

فمثلاً قد يلاحظ صاحب عمل أن أحد موظفيه الأكفاء قد أخذ يجادل من حوله ويكثر من الشكوى والتذمر ويرتكب أخطاء جسيمة . إن صاحب العمل يستطيع أن يطرد هذا الموظف لأنه يسبب الإزعاج لغيره من الموظفين . أما إذا كان ذا عقل مفتوح فإنه يأخذ في البحث عن الأسباب التي أدت بهذا الموظف إلى أن يسلك هذا المسلك غير المألوف ، وقد يجد سبباً معقولاً لمسلكه . فقد تكون في منزله حالات مرضية خطيرة ، وعندئذ قد يستقبح صاحب العمل أن هدوه أعصابه سيعود إليه بزوال تلك الحالات المرضية . أو قد يكون بين الموظفين موظف شرير ما كر يوغر صدورهم بعضهم على بعض . إن العقل المفتوح والبحث عن الحقائق الناقصة في مثل هذه المواقف قد يتيح للناس أن يعيشوا معاً في سلام ووثام ، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى نفس النتيجة بين الأمم .

إن رجل الشرطة الكفء يحتاج إلى هذا العقل المفتوح ، وإلى أن يناضل ضد قوالبه العقلية المألوفة . وكثيراً ما يحتاج إلى أن يدع خياله يسرح في أحداث غير مألوفة يمكن أن تكون قد حدثت في واقعة معينة يبحثها . ويصدق نفس الشيء على المخترعين وعلماء البحث وغيرهم من الناس ممن لا بد لهم من التفكير الإبداعي ، أو ممن يحتاجون إلى معاملة الناس عن كثب .

إن الخطوط المستقيمة العادية تظهر لنا أنها أقصر المسافات بين نقطتين . فهل هي كذلك ؟ ما هو الخط المستقيم ؟ ما هما الخطان المتوازيان ؟ أهما الخطان اللذان لا يلتقيان أبداً ؟ أم أنهما يلتقيان في مكان ما بعيد في الفضاء ؟ أين تقل الضوء حقاً في خطوط مستقيمة ؟ أم يسير في مسارات منحنية قليلاً ؟ عندما أثار بحث أنيشتين هذه المسائل في أوائل هذا القرن نتجت عنها اكتشافات تعتبر من أهم ما اكتشف في عصرنا ، ونتيجة لذلك قد أخذنا نتحدث عن الهندسة اللا إقليدية ، وعن البعد الرابع ، وعن الانطلاق في الفضاء في سفن تحملها الصواريخ والعودة من الفضاء أصغر سناً مما نكون لو بقينا على ظهر الأرض .

إن معظم أحداث الطبيعة أكثر تعقيداً مما نتصور ، فإننا لا ندرك إلا جزءاً ضئيلاً جداً مما يدور حولنا . فهناك أنواع كثيرة من حركات الجزيئات والذرات التي نراها . وهناك الأشعة الكونية التي تخترق أجسادنا دون أن نعلم . ونحن لا نرى ولا نحس بموجات الراديو أو التليفزيون التي تخترق جدران منازلنا وتخترق أجسادنا كذلك . إن خبرتنا بالأحداث مقصورة على جزء ضئيل جداً من العالم . وهو الجزء الذي تحدده المسافة التي يصل إليها مدى بصرنا وسمعنا . وهكذا نجد أن هناك مجالا كبيراً للخطأ لجهلنا بالحقائق المتعلقة بأنواع كثيرة من الأحداث .

ونحن لا نستطيع أن نفكر تفكيراً سليماً في عالمنا الحقيقي دون أن نتذكر أن الحقائق غير الصحيحة أو الحقائق الناقصة هي مصدر دائم للخطأ ، ولهذا فلا بد لنا أن نصوغ أحكامنا بحرص وحذر حتى يمكننا أن نتجنب التفكير الخاطيء بقدر الإمكان .

إننا عندما نفكر في أحداث هذا العالم فلا مفر لنا من أن نخطئ أحيانا ،
ولكن ليس ثمة ما يدعونا إلى أن نخجل من هذا الخطأ مادامنا نحتفظ دائماً بعقولنا
مفتوحة للحقائق الجديدة ، وما دمنا نغير آراءنا بسرعة عندما تشير الحقائق إلى
خطئنا .

الحقائق الناقصة في الحياة اليومية

إن مشكلة العثور على الحقائق الناقصة تلعب دوراً هاماً في حياتنا اليومية
العملية ، فنظهر هذه المشكلة عندما ينطفئ النور ، أو عندما يكف محرك السيارة
عن العمل ، أو عندما يمرض شخص ما . ففي مثل هذه الحالات يكون واجب
الساكن ، أو الكهربائي ، أو الميكانيكي ، أو الطبيب ، أو الممرضة ، هو البحث عن
الحقائق الناقصة لتحديد سبب المشكلة . وبعد ذلك يصبح من الممكن إصلاح الآلة
أو شفاء المريض باتخاذ الإجراءات المناسبة .

تأمل مثلاً حالة المصباح الكهربائي العادي . فلنفرض أنك عندما أدت مفتاح
النور حدث وهج في المصباح ثم انطفأ النور . إنك تحضر مصباحاً جديداً وتضعه
في مكان المصباح الذي انطفأ بغتة ، فإذا عاد النور . مرة ثانية فقد اكتشفت
الحقيقة الناقصة ووجدت سبب المشكلة وحللتها ، وكل ذلك مرة واحدة .

ولكن كثيراً ما يكون الموقف أشد تعقيداً ، ففي بعض الأحيان لا يضيء
المصباح الجديد .. وفي هذه الحالة في بحثك عن الحقائق الناقصة قد تأخذ كلا من
المصباح القديم والمصباح الجديد وتجربهما في تجويف مصباح مضئ . لنرى ما إذا
كان أحدهما أو كلاهما يضيء . في هذه الحالة لابد أن هناك عيباً في التركيبة التي
كان بها المصباح القديم ، أو لعله في الأسلاك الموصلة إليها .

بهذه الطريقة تبحث عن الحقائق الناقصة ، فأنت تقوم بسلسلة من الاختبارات
أو التجارب ، وكل منها تعطيك بعض المعلومات . وهكذا يمكنك عادة أن تعرف
ما هو مصدر العطل ؟ أهو المصباح أو التركيبة أو سلك الانصهار أو الأسلاك ؟

ومن المهم عند البحث عن مصدر المتاعب أن نحصل على معلومات صحيحة ، وإلا فإن وقتاً طويلاً قد يضيع . وإليك على سبيل المثال قصة حقيقية (مع تغيير الأسماء) :

عندما أدار بروس مورجان مفتاح أحد المصابيح انطفأت جميع الأنوار في غرفة الطعام بمنزله ، ولكن ظل النور مضيئاً في الغرفة المجاورة . ومن هذه الحقائق استنتج بروس أن سلك الانصهار قد احترق .

فطلب إلى والده المتقدم في السن أن يلاحظ المصباح وهو يصبح قائلاً : « كل شيء على مايرام إذا أضاء المصباح » ، ثم ذهب بروس إلى البدروم وحاول أن يعثر على السلك الذي احترق بفحص جميع أسلاك الانصهار ، فظهر له أنها جميعاً سليمة ، فأخذ يستبدلها واحدة في إثر واحدة واضعاً مكانها أسلاكاً جديدة ، وهكذا فحص جميع أسلاك الانصهار ، ولكنه لم يسمع من والده ما يفيد أن النور قد عاد إلى الحجرة المظلمة ، فنادى والده في الطابق العلوي قائلاً : هل أضاء المصباح يا أبي ؟ فأجاب والده بالنفي ، فعاد بروس ونظر بتدقيق في كل سلك من أسلاك الانصهار ولكنه لم يجد أي عيب .

ربما كان هناك عيب في الأسلاك ففحص بروس الأسلاك في الجدران ليعرف هل التيار الكهربائي يسري فيها ؟ فلم يجد عيباً — وبعد مجهود استغرق بضع ساعات كاد ييأس ، ثم طلب من زوجته أن تلاحظ المصباح بينما هو يعيد فحص أسلاك الانصهار ، فصاحت : « كل شيء على مايرام ! ، عندما غير سلكاً معيناً ، وكان سبب المتاعب سلكاً يصعب اكتشافه بمجرد النظر . فسأل والده : ألم يضيء النور عندما كنت تراقبه منذ ساعات ؟ .

أجاب والده بقوله : نعم لمدة ثمانية واحدة ولكنه لم يستمر فلم يكذب يضيء حتى انطفأ ثانية ، فما الفائدة إذا كانت الأنوار لا تستمر مضيئة ؟ إنك ما كنت تنتظر مني أن أقول : (كل شيء على مايرام) مادامت الأنوار مطفأة . . .

كثيراً ما تكون حقيقة بسيطة غير صحيحة ، أو حقيقة أسوأ تفسيرها معقدة

لعملية التفكير ومسببة لاستحالة الوصول إلى نتيجة صحيحة . . ثم إن الحقيقة غير الصحيحة لا تفضل فقط ، بل هي تخفي الحقائق الناقصة التي تلزمنا لحل مشكلة . فنحن نضيع وقتنا بالسير في اتجاه خاطيء . وأحيانا قد يكون لهذا آثار خطيرة ، فمثلا حدث أخيرا في أحد المستشفيات أن الطبيب المقيم (النائب) دخل حجرة مريضة وسألها : أنت المسز جرين ؟ فأجابت بنعم ، فأخذ الطبيب في نقل الدم إليها فشنجت المرأة ولم تلبث أن ماتت .

وقد أظهر التحقيق أنه كان المفروض أن ينقل الدم إلى سيدة أخرى تدعى مسز جرين في غرفة أخرى ! وقد أدى نقل الدم من فصيلة خاطئة إلى وفاة مسز جرين الأولى ! صحيح أن مثل هذا الحادث نادر الوقوع جدا ، ولكن هذا يرجع إلى الاحتياطات التي تتخذها المستشفيات لتجنب الوقوع في مثل هذه الأخطاء .

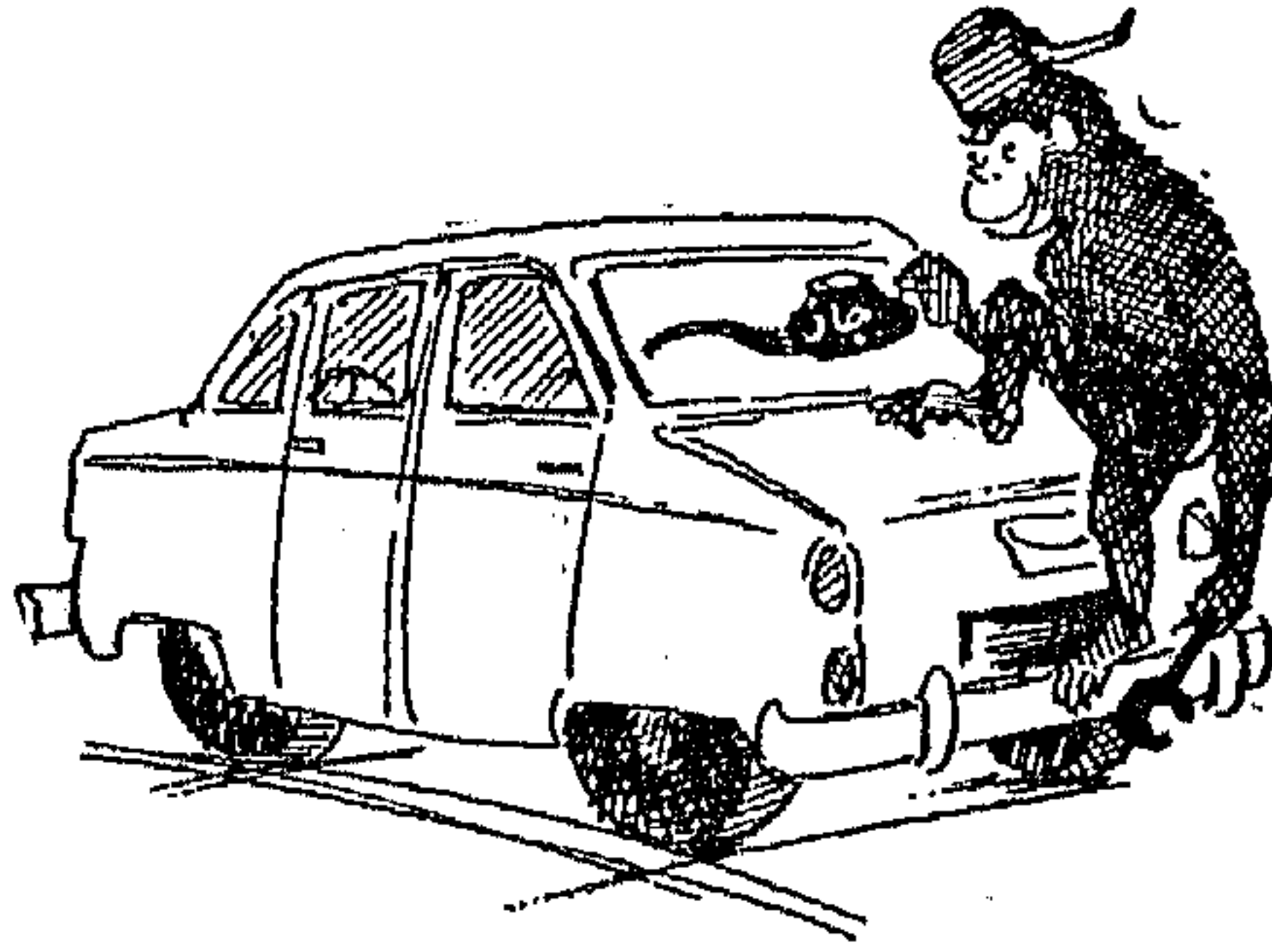
المعتمد على « العمليات » الصحيحة

لكي نعالج مشكلاتنا اليومية نتعلم أنواعا معينة من الاختبارات والإجراءات للوصول إلى الحقائق الناقصة وأسباب المتاعب . ونحن بذلك نكون نمطا معيناً من الإجراءات أو الأعمال التي نقوم بها للوصول إلى معرفة أسباب المتاعب واجتنابها .

تصور قردا يحاول أن يعرف لماذا لا تسير السيارة (وذلك على فرض أن القرد على درجة من الذكاء تسمح له بأن يرغب في تحريك السيارة) . ولنفرض أن القرد يعيش في « جراج » حيث يلاحظ الناس يؤدون أعمالا مختلفة في السيارات .

فلقد يحاول القرد القيام بعمليات معينة لتسيير السيارة ، فمثلا قد يضع بعض البنزين في جهاز التبريد ، أو بعض الماء في خزان البنزين ، أو قد يطرق مصد السيارة (أى التصادم) بطريقة . إن بعض الناس يعملون نفس الشيء عندما يستثمرون في خبط أو ركل آلة أوتوماتيكية لبيع السلع عاطلة لا تعمل . فهم يأملون

أن الركلة ستطلق قطعة العملة أو قطعة الحلوى من المكان الذي وقفت فيه .
وقد يحدث ذلك أحياناً ، ولكن لا معنى لأن نستمر في ذلك إذا لم يحدث شيء
بعد بضع ركلات وعلى أى حال فإن الإنسان يشعر بارتياح عندما ينفس من غضبه
بهذه الطريقة .



(شكل ١٣)

(شكل ١٣) يستطيع القرد أن يقلد أفعال الإنسان تقليداً سطحياً
ولكن مثل هذا التقليد لا قيمة له مالم تصحبه معرفة السبب في القيام
بتلك الأفعال ، ومتى وكيف تكون تلك الأفعال مؤدية للغرض
منها . فمثل تلك المعرفة تحيل الفعل إلى عملية صحيحة

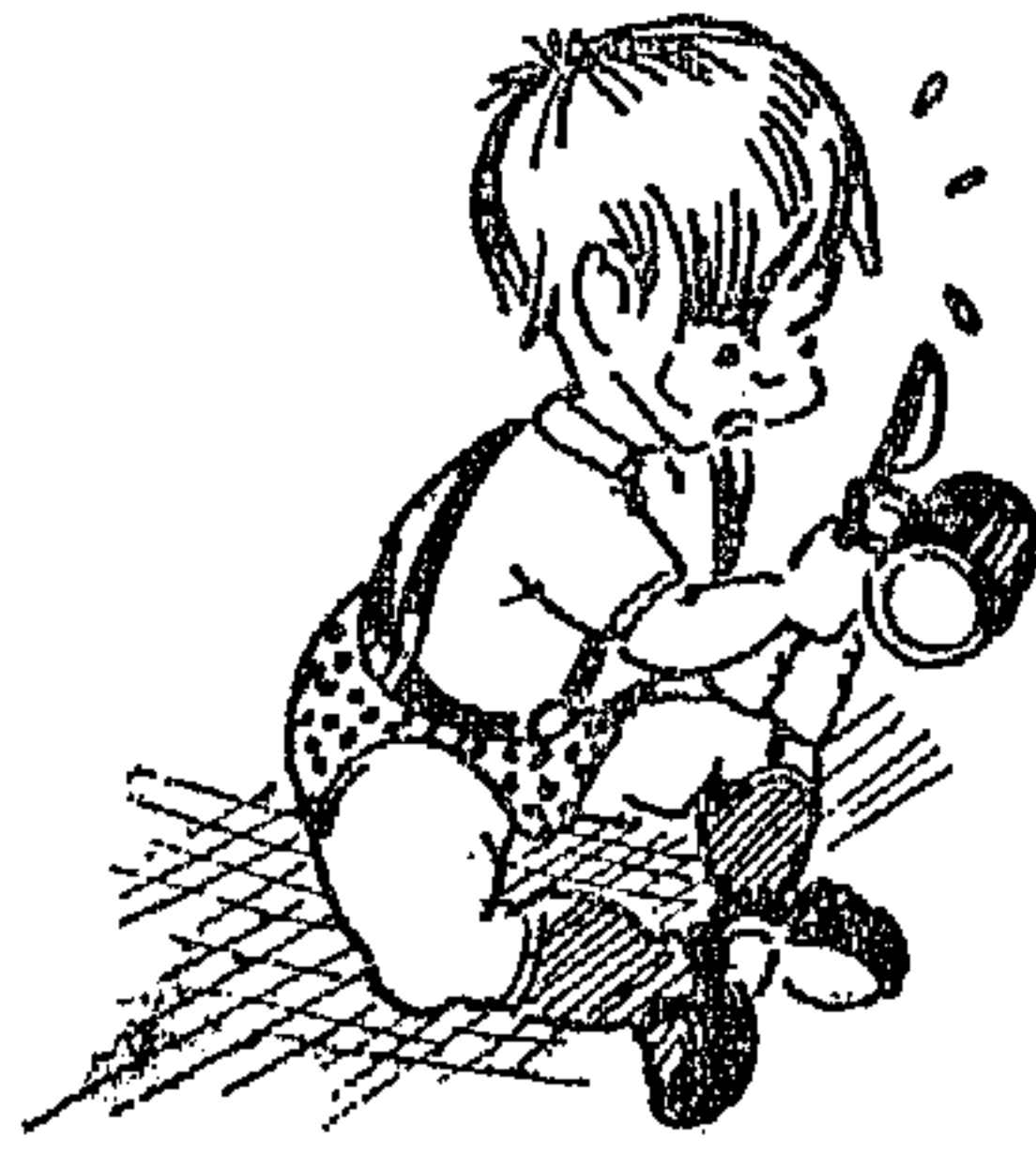
ولقد نميل إلى السخرية من جهل القرد ، ولكن يجب أن نذكر أنه عندما
تتعطل سيارة في الطريق فإن معظم الناس يصبحون قليلي الحيلة تماماً كالقرد ؛
فقد ينظرون إلى مؤشر البنزين ويحاولون تشغيل المحرك بضع مرات ويرفعون
غطاء المحرك وينظرون فيه ولكنهم يعجزون عن أن يفعلوا أكثر من ذلك ،
تماماً كمعجز القرد ، ذلك أن ينقصهم العلم بالعمليات الصحيحة التي لابد من إجرائها
للكشف عن الحقائق الناقصة .

إن جزءاً كبيراً من عملية النمو في مرحلة الطفولة إلى مرحلة بلوغ سن الرشد
هو عبارة عن التناقص التدريجي في مقدار جهلنا بالحقائق الناقصة وازدياد معلوماتنا

عنها بالتدريج حتى تتمكن آخر الأمر من جمع قدر هائل من الحقائق والعمليات الصحيحة التي تصبح أساساً لمناشطنا اليومية ، بما فيها الحركات اللازمة لفتح باب أو الجلوس دون وقوع أو إصلاح درج مكسور .

فتلاً إذا كان في أسرتك طفل يبلغ نحو سنة من عمره، جرب معه هذه التجربة الشائقة :

أدخل إحدى أدوات المائدة (كالمعلقة مثلاً) من خلال مقبض كوب معدني أو كوب من البلاستيك كما ترى في الشكل ١٤ .



(شكل ١٤)

(شكل ١٤) لم يتعلم هذا الطفل بعد الحركات التي يجب أن يقوم بها لإخراج المعلقة من مقبض الفنجان ؛ إن تعلم العمليات البسيطة المعقدة التي نقوم بها في حياتنا اليومية يستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً

ثم وضح له (أولها) كيف ينزلق الكوب إلى الأمام وإلى الخلف ، ثم اجلس وراقب ما يحدث .. إن كثيرين من الأطفال عندما يواجههم هذا الموقف سيحاولون إخراج الكوب ، ولكن معظمهم لن ينجح في ذلك ؛ لأن أيديهم الممسكة بالمعلقة تحول دون ذلك ؛ فهم لم يجمعوا بعد الحقائق الكافية عن

الاشياء في العالم الحقيقي ، ولذلك فهم لا يعرفون ماذا يفعلون في موقف بسيط كهذا .

وهذا هو ما ننتظره من طفل ، ولكن عندما نلاحظ في صبي أو فتاة أكبر سناً أو في شخص راشد مثل هذا الجهل بالحقائق فإننا نعتبره غيبياً .

فنحن نسخر من جيف وجوليوس لاننا ننتظر منهما — وهما البالغان الراشدان — أن يكونا قد جمعا من الحقائق ما يكفي لأن يجعلهما يستخدمان جميع المسامير بدلا من إلقاء نصفها ، أو ادخاره لاستخدامه في الجانب الآخر من البيت .

وكثير من الممن يحتاج — فضلا عن إدراك الحقائق الناقصة — إلى مهارة في استخدام العمليات الصحيحة لاكتشاف تلك الحقائق . فمثلا إذا استدعينا ميكانيكيا لإصلاح سيارة فإنه عادة يقف على مصدر المتاعب في بضع دقائق ؛ لأنه يعرف العمليات اللازمة لذلك . ولا بد من مرانه مدة طويلة قبل أن يتمكن الميكانيكي من أن يعرف ما يجب عليه أن يفعله في كل موقف لاكتشاف الحقائق الناقصة . وكل اختبار يجربه يزوده ببعض الحقائق إلى أن يهتدى إلى سبب المشكلة . . عند ذاك فقد يستطيع الميكانيكي أن يقوم بالعمليات الصحيحة اللازمة لتسيير السيارة .

دور العادة

في كل مرة تقوم بعمل ما ، جسمياً كان أم عقلياً ، تجري سلسلة من النبضات الكهربائية خلال مسارات محددة في الدماغ ، وكلما كررت ذلك العمل أصبح انتقال تلك النبضات في طريقها المرسوم أيسر بما كان إلى أن يأتي الوقت الذي تندفع فيه تلك النبضات بطريقة تلقائية دون حاجة إلى أى الصفات منك . وهكذا تكون قد كونت عادة .

إن عملية المشي تتوقف على العادات التي كونتها ، فعندما كنت طفلاً كان من العسير عليك أن تتحكم في عضلاتك حتى تستطيع الوقوف والخطو للأمام وتحريك قدم بعد الأخرى ، وأخيراً المشي لمسافة يسيرة . . لقد احتجت إلى شهور

وأحياناً سنين ، من المجهود لىكى تحفر النبضات السكرية و مساراتها ، العميقة فى
مخك لتجعل عملية المشى عملية آلية .

والكثير من قدراتنا الأساسية يعتمد على عادات مختلفة الأنواع — كالانتقال
من مكان إلى مكان ، والقراءة والكتابة ، والتحدث . وهذه قدرات تمكنا من
أن نؤدى وظيفتنا فى البيئة المحيطة بنا ، وهى قدرات أساسية لمعظم نشاطنا البدنى ،
وكذلك لأساليبنا فى التفكير والتعليل . فذلك الصبي الذى نجح بعد مجهود فى أن
يصل إلى نتائج منطقية فى دروس الرياضيات . أو فى درس التاريخ قد يكون أقدر
على استخدام عادات التعليل التى كونها فى معالجة مشكلات من نوع مختلف فى
حياته العملية فيما بعد .

على أن العادات إلى جانب كونها أساسية لتأديتنا لوظائفنا فى البيئة المحيطة
بنا إلا أنها تسبب المصاعب أحياناً عندما توجد مواقف جديدة . وقد أوضح
« سامويل والتر فوس » هذه النقطة بشكل شائق فى القصيدة الآتية :

« كان عجلى ذات يوم سائراً فى غابة قديمة فى طريقه إلى بيته .
ولكنه اتخذ طريقاً كثير التعاريج .

ومنذ ذلك الحين مضت ثلاثمائة سنة . ولا بد أن العجلى
قد مات .

ولكنه خلف وراءه جرتة (= أثره)

وها هنا مغزى قصتى .

فى اليوم التالى اقتفى أثر هذه الجرة كلب شريد كان يسير
فى ذلك الطريق ثم تلاه كبش اقتفى ذلك الأثر فى الوديان
والوهاد والقطيع يتبعه ، ومنذ ذلك اليوم اختط طريق فوق الربى
لوديان خلال تلك الغابات القديمة .

ومضت السنوات خفافاً مراعاة وأصبح هذا الطريق شارعاً

في قرية . ثم أصبح هذا — ولم يكد الناس يدركون ما حدث —
شارعا مزدحما في مدينة ، وسرعان ما أصبح هذا الشارع هو
الطريق الرئيسي في عاصمة كبرى شهيرة ، وظل الناس طوال
قرنين ونصف قرن يسرون في أثر ذلك العجل

ففي كل يوم كان مائة ألف من الناس يتبعون ذلك العجل
حينما ذهب ، وفوق طريقه المتعرج المنكسر سارت حركة مرور
قارة بأكلها . وهكذا قاد عجل واحد نفق منذ ثلاثة قرون
مائة ألف رجل ظلوا يقتفون أثر طريقه المنكسر مضيقين مائة
عام سدى في كل يوم !!

هكذا يبلغ تبجيلنا للعادات والتقاليد الراسخة .

إن المرغوب الواضح الذي بدأه هذا العجل البري ذات يوم قد أصبح طريقاً
واسعاً تسير فيه الآلاف من راكبي السيارات كل يوم . وواضح أنه أسهل
للسيارات أن تسير في الطريق المرسوم من أن تشق طريقاً جديداً خلال الحقول
والمباني . . ولكن إذا لم يكن الممر الأصلي خيراً ما كان يمكن اتباعه فإن الطريق
الآخر ليس خيراً الطرق ، لذلك ، إن اتباع السوابق قد أدى إلى نتيجة يمكن
تحسينها إلى درجة كبيرة لو بدأنا من جديد .

وهذا هو ما يفعله مهندسو الطرق العصريون ، فهم أحياناً يرممون خطأ
مستقيماً على خريطة من مكان إلى مكان ، ويهدمون كل شيء في طريقه بما ذلك
العمارات والمخازن التجارية والمصانع ، غير مدخلين إلا تعديلات بسيطة للظروف
غير العادية . وبذفس الطريقة نهالج أحياناً مشكلات جديدة بأساليب التفكير
التي ألفنا استخدامها ؛ فهذا أسهل من اقتلاع العادات القديمة في التفكير من
جذورها وخلق عادات جديدة مكانها . وإن النتائج التي نصل إليها عن هذا
الطريق غالباً ما تنجح في المواقف العملية .

ولكن أحيانا لا تنجح هذه العادات القديمة بتاتا ويكون من الضروري حينئذ أن نشق طرقا جديدة ، وأن نفكر في أساليب لم تستخدم قط من قبل في مثل هذه الحالات ، فإن المفكرين الإبداعيين في مجتمعاتنا يلعبون الدور الاساسي في إرشادنا إلى الطريق . وهكذا فعل أجدادنا الأولون الذين كانت لديهم الجرأة الكافية ليجروا التجارب على نوع من الحكومات اعتبر في أيامهم حكومة ثورية ، تخلفوا طرقا جديدة للتفكير بفضل وثائق إعلان الاستقلال ، وقانون حقوق الإنسان كما أن نيوتن واينشتين قد شقا طرقا جديدة خلال العادات القديمة للتفكير بأفكارهم العلمية التي أدت فيما بعد إلى تغيير نظرة الإنسان إلى الكون الذي يعيش فيه . وأما أرسطو فقد وضع قواعد المنطق التي أثرت في الفكر الإنساني على مر العصور . كما أن الزعماء الدينيين والسياسيين من مختلف البلاد قد أدخلوا أفكارا جديدة حطمت العادات القديمة في التفكير وسارت بالحضارة قدما .

ولابد — من وقت لآخر — أن نفحص العادات القديمة في التفكير التي خدمتنا خدمة جيدة في الماضي ، وأن نضعها موضع الاختبار وظروف جديدة . وفي مثل هذه الحالات نجد أن الكثيرين من الناس الذين رسخت في أذهانهم عاداتهم في التفكير ولم يدربوا على أساليب العثور على أنماط جديدة من التفكير — نجدهم يقاومون هذه التغييرات الإبداعية بمرارة ، وقد يحتاج الأمر أحيانا إلى عدة أجيال قبل أن ترسخ طريقة جديدة للتفكير فتصبح عادة مقبولة من الجميع .

وفي عالمنا الحديث قد أصبح الاكتشاف والتغيير منتشرين أكثر مما كانا في أى وقت مضى في تاريخ الإنسان . ولذلك فإنه من الضروري أن يعرف الناس الدور الذي تلعبه الأقوال العقلية والعادات في منعهم من فحص المعلومات الجديدة وإدماجها في طرائقهم في التفكير . ولو فهمت هذه الحقيقة على نطاق واسع لسهل العثور على حلول جديدة للمشكلات القديمة ولأصبح التواءم مع الظروف الجديدة أسرع وتحقيقه أيسر .

مازل أن تجيب عن هذه المسكلات

(الإجابات في آخر الكتاب)

١ — ذات ليلة مطيرة وصل جون سميث إلى نقطة التقاء ثلاث طرق ، وعندما بحث عن اللافتة التي تدله على الطريق الذي يوصله إلى مقصده وجد أنها قد سقطت بين بعض الأشجار . ولقد استطاع أن يحدد موضعها بالضبط ، وأن يحدد الطريق الذي يجب أن يسير فيه ليصل إلى الجهة التي يقصدها . فكيف أمكنه أن يحدد موضع اللافتة بالضبط ؟

٢ — كثير من المنازل تستخدم للتدفئة في الشتاء موقدا يعمل بالكبروسين يسخن الهواء أو الماء في فرن ويولد هواء ساخناً أو بخاراً أو ماء ساخناً يمر خلال المنزل فيدفئه . لنفرض أنك استيقظت ذات صباح فكتشفت أنه ليس ثمة تدفئة . ما هي ذي مشكلة تحتاج إلى التفكير لحلها . بطبيعة الحال يمكنك دائماً أن تستدعي فنياً من الشركة المسؤولة لإصلاح الخلل ، ولكنك قد تصل إلى نتائج أسرع وتوفر نقودك إذا فحصت بضعة أشياء قليلة قبل أن تستدعي هذا الفني . اكتب قائمة بالعمليات البسيطة التي يمكن أن تقوم بها لتتهدى إلى حل لمشكلتك .

٣ — ذات مساء وجدت نفسك متعباً جداً وذهبت إلى فراشك في الساعة الثامنة مساء مؤملاً أن تنام حتى التاسعة صباحاً ، ولكنك تطمئن إلى استيقاظك في الوقت المحدد ضبطت منبهك — ولكنه لن يوقظك في الوقت الملائم فما السبب ؟

٤ — ما هي الحقيقة النافذة التي يمكن أن تفسر التناقض الظاهري في العبارة الآتية :

يقول التقرير السنوي لشركة د سنكا ، للطيران إنه في عام ١٩٦٠ بلغ عدد مرات الطيران ٣٢٦٥٠ وعدد مرات الهبوط ٣٢٦٤٩ .

الفصل السادس

الأخطاء الشائعة في التفكير

إليك قصة شائعة نشرتها إحدى الصحف عن قضية طلاق :

د لندن — حكم قاض بريطاني بالامس بأنه وإن تكن السفينة أنثى، إلا أن الأنثى ليست سفينة .

وبناء على هذا قضى للمسر د ادنا بيلي ، بالطلاق من زوجها اللفتنان كوماندر لويس بيلي بالبحرية البريطانية .

وقال الشهود : إن أم بيلي قالت له في حفل عشاء إنه يجدر به أن يظهر رعاية أكبر لزوجته .. فأجابها بيلي بقوله : ليس هذا هو الموضوع — الموضوع هو أنه يجب أن يكون السفينة ربان ، وأن يطاع هذا الربان . فقالت أمه : هذه ليست سفينة ، إنها امرأة .

ووافقها القاضي على ما قالت :

هذه القصة تثير اهتمامنا من عدة نواح : أولها أن موقف بيلي لم يعرض بدقة كافية في هذا النبأ القصير ... فهو عندما قال : (يجب أن يكون السفينة ربان وأن يطاع هذا الربان) ، لم يكن — في أغلب الظن — يقصد أن يقول إن زوجته تشبه السفينة ، ولكنه كان يعنى أن بيته كالسفينة ، ولعله هو يقود سفينة ، فهو عندما يطلب إلى ملاحيه أن يؤدوا عملا ما فعليهم أن يؤدوه .

وهو في بيته يتبع نفس السياسة ويفترض أن زوجته كأحد ملاحيه ، وعليها طاعته . ولعل عبارته كانت تعنى هذا بالذات .

أو أما ردهه عليه بقولها : « هذه امرأة وليست سفينة » فهو تحوير خفيف لآراء بيلي ، ويظهر أن هناك خلطا في معاني الكلمات المستخدمة ، ويظهر أن الصحفي الذي نشر النبأ قد زاد في المبالغة بقوله إن قاضيا بريطانيا حكم بالأمس بأنه وإن تكن السفينة أنثى إلا أن الأنثى ليست سفينة . هذا أسلوب طريف لاستهلال قصة . ولكن هل من المحتمل أن يكون القاضى قد قال هذا فعلا ؟ وتقول الصحيفة إن القاضى وافق . فهل معنى هذا أنه وافق على ما قالت أم بيلي ، أم وافق على الطلاق ؟

إنك ترى أن هناك حقائق كثيرة ناقصة هنا ، ولهذا فليس من السهل أن نحصل على صورة واضحة للأحداث الحقيقية . ولكن على فرض أن ما استنتجناه من آراء مستر بيلي صحيح فلنبحث الموضوع بتفصيل أكثر .

قياس التشبيه

إن تفكير بيلي مبنى على القياس . والقياس هو مقارنة بين صفات متشابهة في شيئين ، أو حادثين ؛ أو موقفين مختلفين . وعندما يستخدم القياس شخص ما يحاول أن يشرح موقفا عن طريق موقف آخر . وواضح أن هذا هو ما فعله مستر بيلي عندما اعتبر بيته مشابها للسفينة ، وزوجته كأحد ملاحيه .

وعندما يحدث مثل هذا القياس تكون هناك دائما حقائق ناقصة . فإن أى فرق فى الشيء أو الوقت أو المكان يعنى أن الظروف والحقائق مختلفة . فمثلا فى القياس الذى استخدمه بيلي أسقط من تفكيره عدة فروق بين بيته والسفينة . ثم إن زوجته امرأة . والمفروض أنها رفيقته مدى العمر ، أما ملاحوه فليسوا كذلك . والغرض من القاعدة التى تقضى بإطاعة الربان هى تسهيل وصول السفينة بأمان إلى المرفأ فى الظروف التى لابد فيها من اتخاذ قرارات سريعة . وأما الغرض من السكنى فى البيوت فشئ يختلف عن ذلك تمام الاختلاف . ثم إن السفينة تتحرك والبيت لا يتحرك ، ويمكنك أن تجد فروقا أخرى كثيرة بين البيت والسفينة ، ولهذا فإن بيلي عندما يحاول تبرير تحكمه فى شئون البيت باعتباره شبيها للسفينة

فإنه يستخدم قياساً مع الفارق، ولعله بدأ باعتناق وجهة النظر القائلة بأنه يجب أن يكون سيداً للبيت، ثم أخذ يبحث عن الحجج التي تؤيد رأيه. مثل هذه العملية العقلية التي يبدأ فيها الإنسان برأي غير قابل للتغيير ثم يحاول أن يجد أية حجة تبرره يعرف بعملية التسويغ. وفي هذه الحالة نجد ببلي يستخدم قياساً مع الفارق لتسويغ رغبته في أن يكون سيد البيت المطاع.

وهناك عدة أقيسة أخرى كان يمكنه أن يستخدمها : إن مدير المصنع له نطاق السلطة على العاملين فيه، ويمكنه أن يأمرهم بما يجب أن يفعلوه، وكذلك ناظر المدرسة يملك أن يشير على أعضاء هيئة التدريس بما يجب أن يفعلوه (ويمكنك أن تجد أمثلة أخرى).

ومن الناحية الأخرى تستطيع زوجة ببلي أن تجد أقيسة أخرى تدافع بها عن وجهة نظرها؛ ففي الشركات التجارية يملك الشريكان حقوقاً متساوية. وحيث إن المسكان الذي تمارس فيه الزوجة عملها هو البيت فإنه يجب أن يكون لها نصيب مساو على الأقل لنصيب الرجل في الأمر والنهي.

والسبب الذي يدعو الناس إلى استخدام الأقيسة على نطاق واسع في مناقشاتهم ومحاجاتهم هو أن معظم ما لدينا من حقائق عن العالم نحصل عليه عن طريق البحث عن وجوه الشبه والاختلاف بين الأشياء والأحداث. فمثلاً إذا ذهب طفل إلى شاطئ البحر في يوم صيف مشمس وأصيب آخر الأمر بالتهاب في الجلد فقد يعزو ذلك إلى عديد من الأشياء التي حدثت له في ذلك اليوم، ولكن عندما يتكرر حدوث ما حدث سيدرك الطفل أن التعرض لضوء الشمس الشديد هو السبب في التهاب جلده، وعلى ذلك سيدع جانباً الفروض التي ترجع إلى المسكان والزمان والتاريخ والأصدقاء الخ.. ويرى العامل الأساسي، وهو ضوء الشمس، سبباً لما يشكو منه.

ويستخدم العلماء القياس باستمرار، فهم يتوصلون إلى القوانين والمبادئ العلمية عن طريق ملاحظة الأشياء والأحداث المختلفة ومنتج النتائج من هذه الملاحظات بطريقة القياس كما أن الناس يلخصون ويوبون خبرتهم اليومية

بنفس الطريقة . وهكذا نرى أن القياس يمكن أن يكون أداة هامة جداً في اكتشاف الحقائق الأساسية .

على أنه يجب أن نستخدم القياس بحذر شديد ؛ فمثلاً تأمل تقسيم الحيوانات المختلفة إلى فصائل . هناك عدد كبير من الحيوانات يسبح في الماء بذيله أو زعانفه وقد يظن الإنسان أن كل هذه الحيوانات تدخل في فصيلة الأسماك . ولكن عالم الأحياء الذي درس بدقة وجوه الشبه وجوه الخلاف لا يقول بذلك — فالحوت وخنزير البحر أقرب صلة بالكلاب والقطط والبقر منها بالأسماك المعروفة ، وذلك لأنه ليست لها خياشيم ؛ فهي تستخدم الرئتين في التنفس ، كما أنها مغطاة بالشعر بدلاً من القشور وتغذى صفارها بلبنها ، وذلك كله على خلاف الأسماك . ولهذا فإن هذه الكائنات تعتبر من فصيلة الثدييات ، وليست من فصيلة الأسماك .

إن جزءاً كبيراً من عمل العالم هو عبارة عن التخلص من الأقيسة البسيطة التي تترك وتضل الإنسان ليصل إلى حقائق ومبادئ أساسية .

ولذلك مثلاً آخر من أمثلة أخطاء التفكير التي ترجع إلى القياس : لقد وجد الصيادون أن السمكة المعروفة بنجم ، أو قنديل البحر ضارة بهم في كثير من مناطق الصيد ؛ لأنها تلتهم الأصداف . ولهذا فقد اعتاد الصيادون أن يتخلصوا من قناديل البحر التي تدخل في شبابهم بنقطيعها إلى عدة أجزاء وإلقائها في البحر .

وهم يفعلون ذلك على أساس الاعتقاد بأن تقطيع قنديل البحر إلى عدة أجزاء يقتله كما يحدث ذلك لسائر الحيوانات الأخرى ؛ فإن أية سمكة تقطع بهذا الشكل يموت ، وكذلك أية سلحفاة أو ثعبان أو قطة — ولكن أحداً لا يستطيع بغير الملاحظة الفعلية أن يستوثق بصدق القياس في هذه الحالة . والواقع أن القياس لا يستقيم هنا ، فإننا إذا فصلنا كلا من الأذرع الخمس لقنديل البحر مع قطعة صغيرة من الجزء الأوسط من السمكة ، فإن كلا من هذه الأذرع يستطيع أن ينمو من جديد ويصبح قنديل بحر كاملاً . وهكذا أدت هذه الطريقة التي اتبعها

الصيادون على أساس ما ظهر لهم أنه قياس تشبيه قريب إلى زيادة عدد قناديل البحر بدلا من نقصانها .

فليس من الحكمة إذن أن نعتمد على الأقيسة أكثر مما يجب . لأنها أدلة هامة ترشدنا إلى مزيد من الدراسة وتزودنا أحيانا بمفاتيح أساسية للحصول على معلومات جديدة . ولكن يجب أن نستخدم الأقيسة بحذر شديد ، كما يجب أن نفحص نتائج تفكيرنا بطريق القياس على الواقع لتأكد من صحة النتائج .

وكثيرا ما يلجأ المعلمون إلى استخدام القياس عند شرح الحقائق أو المبادئ ، وهم بذلك يخاطرون بتثبيت آراء خاطئة في عقول تلاميذهم سيحتاج من يأتي بعدهم من المعلمين إلى التخلص منها ، أو قد تظل أبد الدهر آراء خاطئة في عقولهم . فمثلا هناك نوع من الزنابير يبحث عن نوع معين من الفراشات يلمسه ويشل حركته ويبيض فيه بيضه ، ثم تدفن الفراشة الحية في الأرض ليصبح غدا غضا طازجا لليرقات عندما تفقس ؛ فقد تقول المعلمة لتلاميذها الصغار : أليس عجيباً أن كل « زنبور » يعرف تماما ما يجب أن يفعل ليحصل على غذاء لصغاره ؟ — إن هذا قياس تشبيه بالبشر الذين يملكون القدرة على التفكير ، وعن طريقه يعرفون الحقائق وما يجب أن يفعلوه وما لا يجب . فينتطع في ذهن الطفل أن الزنبور كائن ذكي ؛ لأنه يعرف ما يجب أن يفعل والواقع أن العملية تختلف تماما ؛ فالزنبور بولد بغريزة ترشده إلى ما يفعل ؛ فهو لا يحتاج إلى أن يتعلم كيف يقوم بسلسلة معينة من الأحداث بترتيبها الصحيح . إن مثل هذه الأقيسة بشأن الحيوانات والنباتات إذا ما قدمت للأطفال في القصص والحكايات الخرافية ، وحتى في الدروس ، كثيراً ما تؤدي إلى آخطاء أساسية في تفكيرهم بشأن الأحياء فيما بعد .

استخدام الأقيسة في إصدار الأحكام

إن استخدام القياس ذو أهمية خاصة في إصدار الأحكام في الأمور السياسية . فحين نحاول أن نقرر السياسات الصحيحة اليوم على أساس تاريخ الأحداث

الماضية ، فمثلا قد تجد اثنين يتجادلان في موضوع إعادة تسليح ألمانيا ، وقد تجدهما يفكران بأقيسة مختلفة ويصلان إلى نتائج متعارضة تماماً . فمثلا :

(١) لقد كان يجب أن نتعظ بما حدث في ميونخ من تهديّة . إن تلك التهديّة لم تمنع الحرب العالمية الثانية ، وإنما جعلت من الصعب كسبها ، ولهذا يجب ألا نرتكب نفس الحماقة بمهادنة روسيا الآن ، بل يجب علينا أن نسلح ألمانيا بالقنابل الذرية ، وأن نشبث للروس أننا نعتزم أن نحارب بكل ما لدينا

(ب) لقد كانت ألمانيا هي السادّة بالحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية . فهل نزودها بالأسلحة لتبدأ الحرب العالمية الثالثة ؟ يجب ألا نساعد على نهوضها خوفاً من أن تنقلب ضدنا كما فعلت في الحرب العالمية الثانية . وإنه لمن أخطر الأمور أن نسلحها بالقنابل الذرية .

إن كلا من القياسين معقول ، بمعنى أن هناك عناصر معينة متشابهة في المواقف الماضية والحاضرة .. ولكن هناك أيضا فوارق عديدة تغير من الصورة . لقد تغيرت كل من ألمانيا وروسيا والولايات المتحدة تغيراً كبيراً منذ حدثت الأحداث السالفة الذكر . كما تغيرت الظروف التي تؤثر في العلاقات بينها . إن الحقائق الناقصة هامة هنا .

كما أن المعتقدات والآراء الأساسية التي يبدأ بها شخص ما والتي تحدد عادة استجابته الأولى لأي سؤال . هذه المعتقدات والآراء هامة جداً ، فكثيرا ما يصدر الإنسان حكمه أولاً ثم يحاول فيما بعد أن يبرر موقفه باستخدام أنواع مختلفة من الأقيسة من الماضي ، أو من بلاد أخرى ، وأما كن أخرى .

إننا لا نقول إنه يجب ألا تستخدم الأقيسة ، ولكننا نقول إنه يجب أن تستخدم بعناية وبإدراك لنواحي قصورها .

الأمثال السائرة

كثيرا ما يتأثر الناس في مناقشاتهم بالآفيسة التشبيهية غير الدقيقة المبنية على الأمثلة السائرة ، فمثلا إذا كان هناك شخص يفكر في شراء متجر جديد فقد ينصحه صديق بأن ينتهر الفرصة مؤيدا كلامه بالمثل السائر : « اجمع الدريس والشمس ساطعة » . ففي هذه الحالة ليس القياس التشبيهي إلا تعبيراً عن الرأي القائل بأنه يجب أن يشتري الآن .

ومن الناحية الأخرى قد يكون هناك صديق آخر ليس من رأيه شراء ذلك المتجر ، فيقول : « في العجلة الندامة » . وهو يعنى بهذا المثل أنه يعتقد أن المتجر قد لا يكون صفقة رابحة ، وليس هناك داع للعجلة في إتمام الصفقة .

وهناك أمثال أخرى تنطبق على هذه الحالة منها : « إن الله يعين أولئك الذين يعينون أنفسهم » — « تزوج في عجلة تندم على مهل » ، كما أن هناك الكثير من أمثال هذه الأقوال المأثورة والأمثال السائرة وأقوال مشاهير الرجال لتأييد أية فكرة يمكن أن يعتنقها إنسان .

إن هذه الأمثال والأقوال المأثورة قد تجعل الحديث شائقا ولكنها ليست في الحقيقة حججا منطقية .

التسرع في الاستنتاج

إن هناك نوعاً من أخطاء التفكير يسمى « التسرع في الاستنتاج » أو « القفز إلى النتائج » . فهذا شاب يرى أزهاراً صناعية في زهرية تشبه في منظرها الأزهار الطبيعية ، فيتسرع في الاستنتاج أنها أزهار طبيعية دون أن يجري أى بحث في الموضوع وهذا الاستنتاج يؤدي إلى رد فعل في عقله يسبب له العطاس . ومن الواضح أنه مادامت الورود تسبب له العطاس دائماً ، فهذا دليل قوى على أن هذه

الأزهار ورود حقيقية، وهو يشعر أنه محق تماماً في لوم زوجته على شيء لم ترتكبه .
ولكن هناك حقائق ناقصة هامة ، فلو أنه لمس الورد أو نظر إليها بتدقيق
أكثر لوجد أنها أزهار صناعية من البلاستيك ، ولذلك لا يمكن أن تسبب له
المطاس .

ولا شك أنك قد خبرت مثل هذا النوع من التعايل الخاطيء مرارا
وتكرارا .

إن التسرع في الاستنتاج يلعب دورا هاما في الآراء الخاطئة التي يعتنقها
الناس ؛ تأمل هذا المثال :

حدث ذات يوم أن رأت مسز بنتنج ولدين يسيران معاً في أحد الشوارع :
أحدهما يدعى مايك فيالكو ، والثاني يدعى جين بتنام ، فالتفتت إلى صديقتها
مسز ريدينج وقالت : دوا خجلتاه ! إن هذا الولد الطيب فيالكو صديق لذاك
الولد الشرير بتنام ، فهذه هي المرة الثالثة التي أراها فيها معاً ، ولا شك أن فيالكو
سيقتدى بصديقه في تحطيم النوافذ ، لابد أنك سمعت مثل هذه العبارات مرارا
وعندما نفحصها يتضح أن الكثير منها يعتمد على دلائل واهية ، وأن كل ما يمكن
استنتاجه هو عبارة مبدئية أو نظرية عن الموقف كأن تقول مسز بنتنج : أرجو
ألا يكون معنى هذا أن هذا الولد فيالكو سيحذو حذو صديقه .

ويمكن بالطبع أن نعود خطوة إلى الوراء ونسأل كيف عرفت مسز بنتنج
أن بتنام ولد شرير فلقد يكون الدليل هنا واهيا كذلك

وكما رأينا أن الوصول إلى نتائج مبغية على عدد من الملاحظات أو الخبرات
استقرائي بطبيعته ، عندما نعلل لأحداث حقيقة فإن هناك دائما حقائق كثيرة
ناقصة ، ولهذا فإننا لن نستطيع أن نتأكد تأكدا مطلقاً من صحة النتائج المبغية على
ما نراه أو نسمعه ، أو نقرؤه أو نخبره بأي طريق آخر ، ولهذا يجب أيضا أن
نفكر إلى أي مدى يمكن اعتبار التعميم المبني على القرائن (الأدلة) تعميما صحيحاً .
ففي حالة الأجسام الثقيلة الساقطة قد نقول إنه يكاد يكون من المؤكد ، أو من
المحتمل جدا أن أي جسم آخر نفلته من أيدينا سيسقط . ولكن إذا كانت مسز

ينتج قد رأت هذا الولد بقتام يحطم نافذة (ربما عن غير قصد) واستنتجت أنه ولد شرب ثم تصادف أن رأت فى السكو و بقتام معا ، واعتماداً على هذا الدليل الواهى قررت أن فى السكو سيحطم النوافذ كصديقه — فى هذه الحالة تكون قد تسرعت فى الاستنتاج أو قفزت إليه ، فلقد جعلت عبارتها مؤكدة فى حين أنها قد تكون مجرد فرض أو نظرية لها من احتمالات الصواب ٥ ٪ أو ١٠ ٪ . ويمكن أيضا أن نقول إنها تعتمد إلى التعميم أكثر مما يجب اعتماداً على ما لديها من أدلة .

ومن الأخطاء المتصلة بهذا النوع من التفكير اتصالاً وثيقاً ما توضحه العبارات الآتية : « ينتج السرطان عن الإجهاد من أى نوع . إليك مثلاً حالة مسز بيانكو ، فلقد أصيبت بالسرطان بعد أن أجريت لها عملية المراحة . وأما جيم هانت قد أصيب بالمرض بعد وفاة زوجته بأربعة أشهر ، فى حين أصيب به بيجى شافلى بعد أن صدمتها سيارة بقليل . فلا بد أن هناك علاقة ما بين السرطان والصدمات العقلية أو الجسمية التى تعرضوا لها ، .

مثل هذا النوع من التسرع فى التفكير يمكن أن يسمى : البرهنة عن طريق اختيار الأمثلة . فلا شك أن بضعة أمثلة من ملايين الحالات لا يمكن أن تعتبر دليلاً حقيقياً . إن الأمثلة القليلة لا تزودنا إلا بأساس لنظرية معقولة أو مجرد تخمين للصلة بين الأشياء ، هذه الصلة التى يجب بعد ذلك أن تأملها جيداً . ومع ذلك فإن الكثيرين من الناس يتسرعون فى الوصول إلى نتائج اعتماداً على عدد صغير من الأمثلة .

وسنعالج هذا الموضوع بتفصيل أكثر فى الفصول القادمة من الكتاب عندما نبحث فى طبيعة التحيز والآراء المسبقة .

الدلائل والبينات

لنتأمل الفرق بين الدليل والبينة فيما يتصل بالطريقة التى يتسرع بها الناس فى الوصول إلى النتائج . تأمل هذا التعليل :

(١) إن سكرونج لص .

(ب) لا أصدق ذلك . هل لك أن تبرهن على ما تقول ؟

(ج) إنه يحاكم الآن بتهمة سرقة نقود من آلة لتسجيل النقد في متجر بامر وهذا دليل يكفيني .

الواقع أن كل ما يمكن قوله اعتماداً على هذه المعلومات ، هو أن هناك بعض البيانات على أن سكرونج لص ولكننا لا نستطيع أن نعتبرها دليلاً ما لم تكن الأدلة قاطعة .

إن جزءاً كبيراً من عمل العلماء وكذلك رجال الشرطة السرية هو جمع حقائق عديدة أو بيانات قد تؤدي آخر الأمر إلى نتيجة يستطيعون أن يكونوا واثقين بصدقها، ولكنهم إن استطيعوا أن يتأكدوا تأكداً مطلقاً من ذلك؛ فهم يعرفون بالخبرة أن العثور على الدليل القاطع هو عادة من أصعب الأمور .

وفي تفكيرنا اليومي نميل إلى نسيان الفرق بين الدليل والبيئة ؛ فالتناس يقبلون بيئة أو اثنتين كدليل على صحة معتقداتهم التي يؤثرونها . وفي المثال السابق قد يعتبر الناس الذين في خارج المحكمة أن مجرد محاكمة سكرونج بتهمة السرقة بيئة على إجرامه . فإذا ما أدين اعتبر معظم الناس أن هذا دليل قاطع ضده ، ومع هذا يجب أن نعمل حساباً لبيانات جديدة قد تؤدي إلى نقص نتيجة سبق الوصول إليها .

ولأنك لترى في هذه التفرقة بين الدليل والبيئة صلة هامة بذلك النوع من التفكير الخاطيء الذي سميناه التسرع في الوصول إلى النتائج . فأى إنسان يصل إلى نتيجة على أساس بيئة واحدة يعتبر متسرعاً في الوصول إلى النتائج .

التفكير في ملفات مفرغة

من أنواع أخطاء التفكير المكشيرة الشيوع اعتبارنا أن القضية المراد إثباتها هي قضية صحيحة . مثلاً :

السيدة (أ) إن الضريبة على الإيراد هي الصالح العام .

(ب) لماذا تقول هذا ؟

السيد (١) لأن ضريبة الإيراد هي - في آخر الأمر - في صالح جميع المواطنين .

إن السيد (١) لم يقدم دليلاً حقيقياً يؤيد قضيته ، وكل ما فعله هو أنه أعاد عرض قضيته بالفاظ جديدة ، فهو في الواقع يقول : إن ضريبة الإيراد هي للصالح العام ، لأنها د للصالح العام ، . وواضح أن هذا لا يثبت شيئاً .

الإجابة عن الأسئلة في حلقة مفرغة

كثيراً ما يستخدم الناس هذا النوع من التفكير في حلقات مفرغة عندما يجيبون عن الأسئلة ، وفي مثل هذه الحالات يسمى التفكير الخطأىء د بالإجابة في حلقة مفرغة ، وإليك مثالا :

المعلم : لماذا تضيء الشمس يا جون ؟

جون : لأنها تبعث ضوءاً .

المعلم : ولكن لماذا تبعث الضوء ؟

جون : لأنها مضيئة .

المعلم : حسناً ، لماذا تضيء الشمس إذن ؟

جون : لأنها تبعث ضوءاً شديداً

إن المدرس يتوقع إجابة مثل هذه : إن الشمس حارة جداً والحرارة تسبب الضوء . ولكنه بدلاً من أن يحصل على إجابة لسؤاله الأول يحصل على تعريف لكلمة د يضيء ، ، وهو : د تبعث ضوءاً ، مع إضافة كلمة د لأن ، في أول الجملة .

وفي الجولة التالية يستأنف المدرس سؤاله محاولاً أن يحصل على السبب الذي

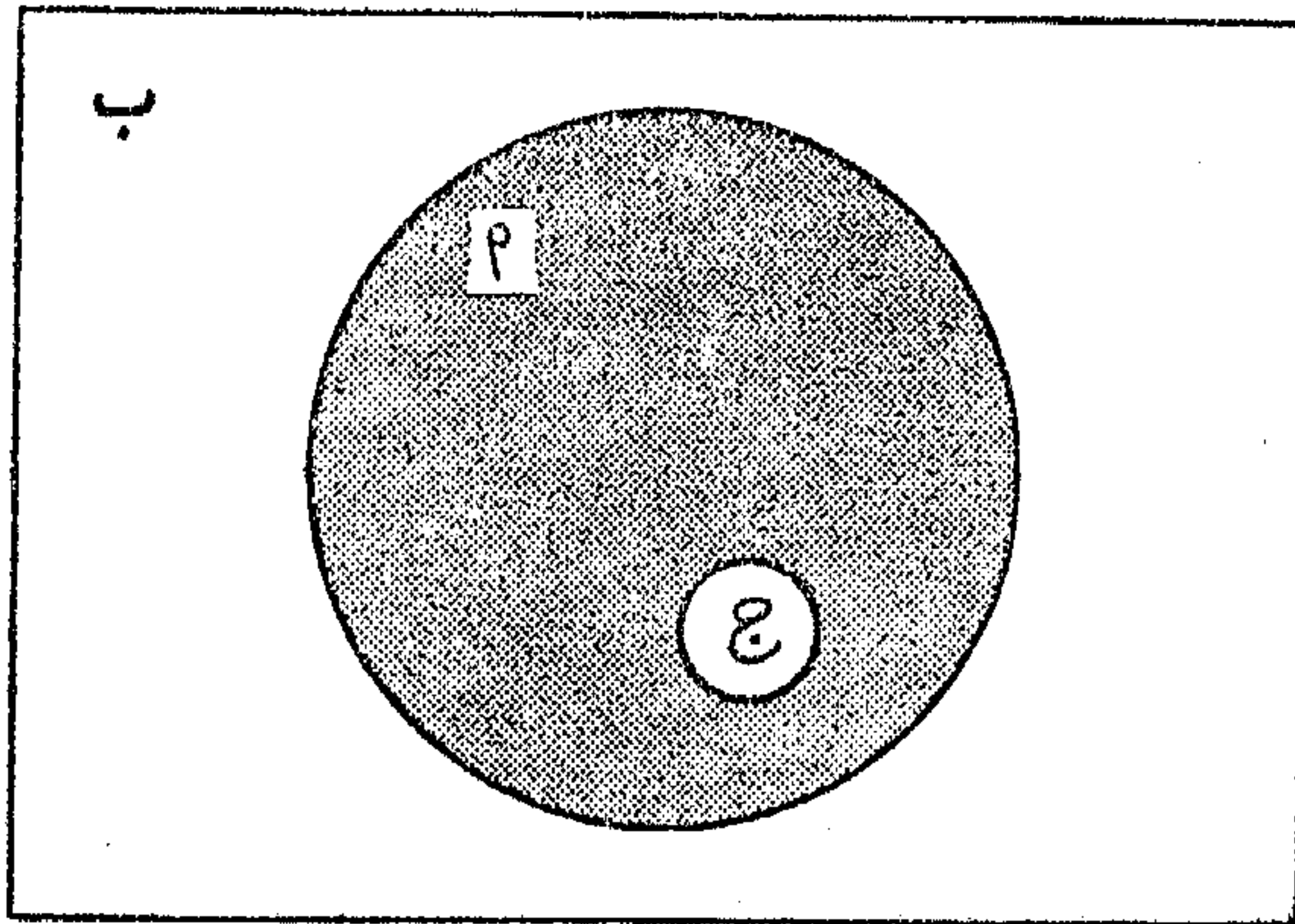
من أجله تضيء الشمس ، وفي هذه المرة يجيب جون في حلقة مفرغة بأن يعطى تعريفاً ناقصاً لعبارة « يبعث ضوءاً » ، فيقول : « لأنها مضيئة » .

وآخر الأمر عندما يضيق المدرس عليه الخناق يعود جون إلى نقطة البداية بقوله « لأنها تبعث ضوءاً شديداً » . إن هذه الإجابة تكاد تكون هي نفس الإجابة الأولى ، وهكذا تمت الدائرة وجون مستعد الآن للجولة القادمة ، وإن يكن المدرس في الغالب غير مستعد لاية جولة بعد ذلك !

ولقد بينت دراسة تطور المقدرة على التعليل ضعف مقدرة الاطفال بين السابعة والحادية عشرة على التعليل المنطقي للأحداث ، فهم لا يدركون إلا القليل عن طبيعة السبب والنتيجة ، وكثيراً ما يجيبون عن أسئلة تبدأ بـ « لماذا ؟ » بإعادة تعريف كلمات السؤال كما بينا آنفاً .

قياس غير صحيح

إنك تذكر ما قلناه عن القياس المنطقي في الفصل الثالث ، فقد قلنا إنه في القياس نصل إلى استنباط على أساس مقدمتين . وعند تحليل الأقيسة سنجد أن الرسوم التوضيحية تعين كثيراً . تأمل هذا الرسم (شكل ١٥) وصلته بالقياس الآتي :



(شكل ١٥)

(شكل ١٥) من الواضح هنا أن كل ما هو « ج » ، هو أيضاً « ا » ،

١ — كل الطيور كائنات تخرج من البيض (أ هو ب)

٢ — طائر الجزار ، هو طائر (ج هو أ)

٣ — وإذن فطيور الجزار هي كائنات تخرج من البيض .

في شكل ١٥ يمثل المستطيل (ب) كل الكائنات التي تخرج من البيض ، وتمثل الدائرة (أ) مجموعة واحدة من الكائنات التي تخرج من البيض ، وهي الطيور ، وتمثل الدائرة (ج) نوعا من الطيور — طائر الجزار .

إننا نستطيع أن نرسم داخل الدائرة (أ) دوائر أخرى تمثل الببغاوات والحمام واليافس وكل أنواع الطيور المعروفة . إن كل ما يصدق على الطيور بصفة عامة يجب أن يصدق على جميع الأنواع المختلفة من الطيور ، فإذا كانت هناك صفة تنطبق على جميع الطيور (الدائرة أ) فإن كل نوع من الطيور له كذلك تلك الصفة ، ولذلك فإنه من المنطق أن نستنتج أن طيور الجزار تخرج من البيض إذا كان طير الجزار طائرا ، وإذا كانت جميع الطيور لها هذه الصفة وهي أنها تخرج من البيض .

والآن تأمل هذا التعليل : يعتقد الاشتراكيون في تأميم الطب . آرثر بليك يعتقد كذلك في تأميم الطب ، وإذن فأرثر بليك اشتراكي .

إن شكل هذه القضايا هو شكل القياس المنطقي .

١ — الاشتراكيون (أ) هم أناس يعتقدون في تأميم الطب (ب)

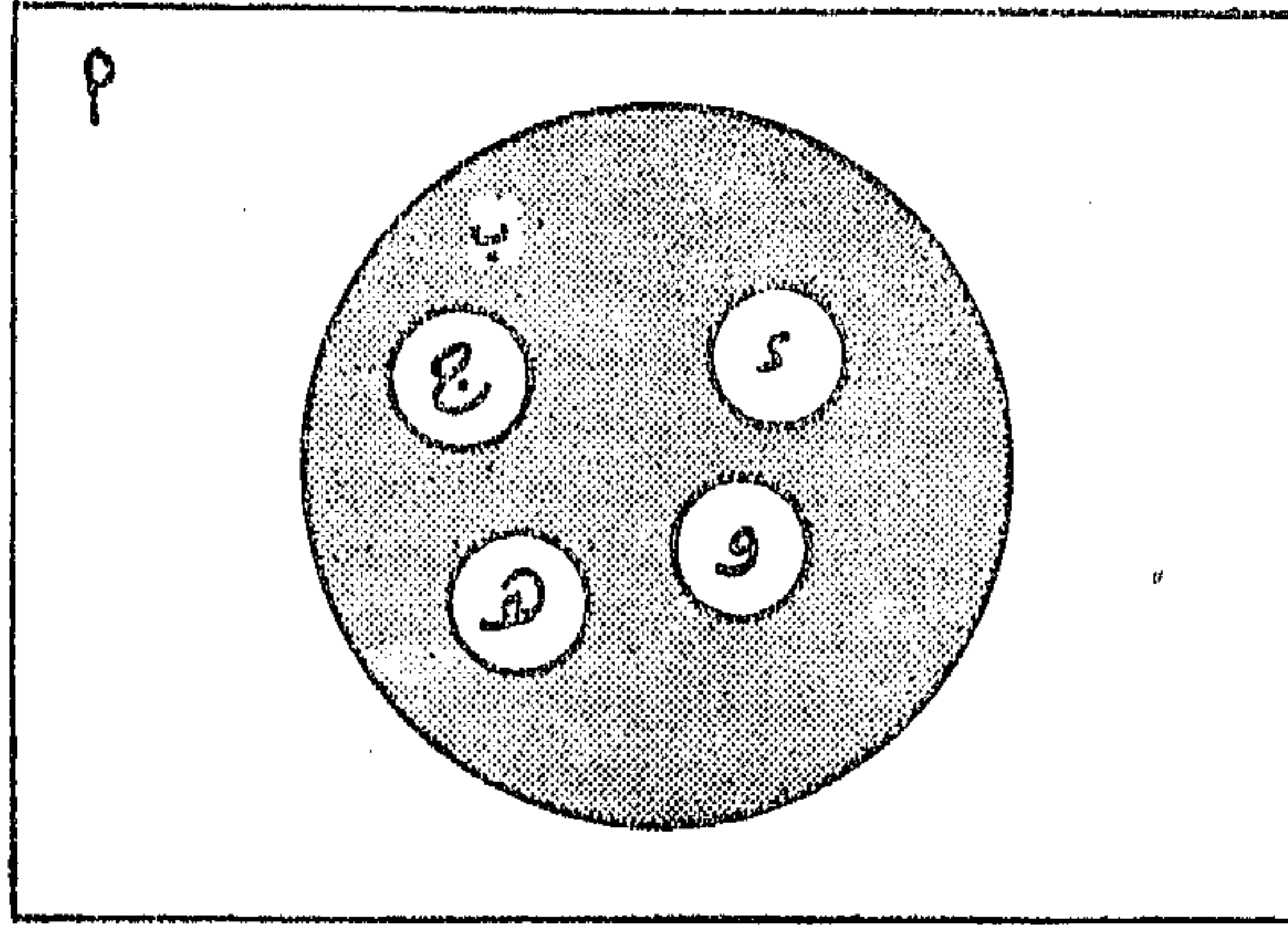
٢ — آرثر بليك (ج) هو شخص يعتقد في تأميم الطب (ب)

٣ — وإذن فأرثر بليك (ج) اشتراكي (أ)

هذا قياس خاطئ ، فالمقدمات لا تبرر النتائج ، ذلك لأن الاشتراكيين هم فريق واحد من الناس الذين يؤمنون بتأميم الطب ، وهذا واحد فقط من الأشياء التي يؤمنون بها . ولكي تكون النتيجة مترتبة منطقيا على المقدمتين اللتين في هذا

القياس يجب أن تذكر المقدمة الأولى أن الاشتراكيين هم الفريق الوحيد من الناس الذى يؤمن بتأميم الطب .

يوضح الشكل ١٦ هذا النوع من القياس الخطأ .



(شكل ١٦)

(شكل ١٦) مع أن ج ، د ، هـ ، و كلها ب إلا أنه من الخطأ أن نستنتج أن كل ج هي أيضاً د .

فالمستطيل (ا) يمثل كل الاشياء (ويمكن فى هذه الحالة اعتباره يمثل جميع الناس) ، والدائرة (ب) تمثل جميع الناس الذين يؤمنون بتأميم الطب . أما الدوائر الصغيرة المنفصلة (ج ، د ، هـ ، و) فهي تمثل جماعات عديدة مختلفة تؤمن كلها بتأميم الطب . ومن السهل أن ترى من الشكل أن (ج ، د ، هـ ، و) كلها متحدة فى إيمانها بتأميم الطب كما يدل على ذلك موضعها داخل الدائرة العامة . ولكن لاشك أنه من المحتمل أن بعض أفراد الدائرة (ج) (التى تمثل الاشتراكيين) والدائرة (د) (التى تمثل الشيوعيين) والدائرة (هـ) (التى تمثل أعضاء فى جمعية تأميم الطب) ، والدائرة (و) (التى تمثل جماعات أخرى من الناس تؤمن بتأميم الطب) ليسوا كلهم متفقين فى مسائل أخرى كثيرة ، فأثر بليك قد ينتمى إلى المجموعة (ج) أو (د) أو (هـ) أو (و) فلنأخذ نعرف . ولهذا إذا عدنا إلى قياسنا السابق نجد أن مجرد كون فئتين فرعيتين (الاشتراكيين ،

آرثر بليك (نذمتيان إلى نفس الفئة الكبرى (الناس الذين يؤمنون بتاميم الطب) لا يستتبع أن الفئتين هما فئة واحدة . (إن كون الكلاب تأكل اللحم ، والفاس تأكل اللحم كذلك ، لا يعنى أن الناس كلاب) .

وإلى هذا النوع من التفكير الخاطئ . يرجع كثير من الاستنتاجات الخاطئة عن المعتقدات السياسية ، فنحن نميل إلى التفكير في الناس باعتبارهم مقسمين إلى أقسام منفصلة تماماً ، لكل منها اسم (أو لفظة) خاصة : أحرار ، محافظون ، رجعيون ، يساريون ، يمينيون ، رأسماليون ، شيوعيون ، اشتراكيون ، فاشيون الخ ... ثم نعلم ما نعتقد أنه مجموعة معتقدات لكل من هذه الفئات . وأخيراً نستنبط ما نعتقد أنها الحقائق بالنسبة لأناس معينين من الفئة التي ينتمون إليها . والنتيجة النهائية كثيراً ما تكون خطأً وتفكيراً غير واضح عن الأفراد . وأحياناً تواجهنا المتناقضات عندما نقابل أناساً معينين ونعرف آراءهم . ولكن هناك أناساً كثيرين في العالم ، ولا يمكن أن نقابل جميع أعضاء الفئات المختلفة أو معظمهم ونعرف آراءهم . وبما يجعل الآخطاء مركبة أننا عادة نتجنب مقابلة أولئك الناس الذين يخالف آراءهم آراءنا . والنتيجة هي أننا نميل إلى المبالغة في التعميم والتسرع في الوصول إلى أحكام على مجموعات بأكملها من الناس . إن آراءنا فيهم قد تكون صحيحة جزئياً ، أو قد تكون خاطئة إلى حد كبير . إن مثل هذا النوع من التفكير عامل أساسي في إيجاد التحيز والأنماط المتكررة التي سنعالجها في فصل قادم .

التعميل المتناقض

هناك قصة شائعة مبنية على نوع مألوف من آخطاء التفكير ، فقد لاحظ د مط ، أن د جيف ، ضبط المنبه ليصدق في الساعة السادسة صباحاً ، ولكنه عندما يصدق يسكته ويعود إلى النوم ، فيسأله مط هذا السؤال الطبيعي : لماذا تضبط المنبه على الساعة السادسة صباحاً ؟ فيجيب د جيف ، إجابة طبيعية جداً بقوله : لكي يوقظني لعملي في الصباح !

ثم يشير مط إلى ما في هذا من تناقض ، فإذا كان الغرض من المنبه أن يوقظ جيف فلماذا يعود إلى النوم ؟ وأما جيف فإنه يغير أساس المناقشة بقوله - إنى لا أحب أن أستيقظ في هذا الموعد المبكر . ويجد مط تناقضا آخر بين هذه العبارة وبين سابقاتها فيقول : إذن لماذا تضبط المنبه على الساعة السادسة ؟ فيغير جيف أساس المناقشة مرة أخرى ويقول - ليوقظنى حتى يمكننى أن أعيد ضبطه على السادسة والنصف . لاحظ أن هذه العبارة تناقض بعض الشيء العبارة السابقة ، وهى أن الغرض من ضبط المنبه أن يوقظه ليذهب إلى عمله .

ويتابع مط الموضوع إلى أبعد من ذلك فيجد تعارضا آخر بين ما يقوله جيف وما يفعله . فيقول له : إذن لماذا لا تضبطه على السادسة والنصف ؟ فيغير جيف أساس المناقشة مرة أخرى بقوله : إنى إذ ذاك لا أجد الوقت لى أنام تلك النصف ساعة الإضافية .

الواقع أن مط يستدرج جيف ليحصل منه على تفسير كامل لتصرفاته ، وهو يحصل على هذا التفسير شيئا فشيئا عندما يبين لجيف أن تفسيراته لا تتفق وتصرفاته . ونتيجة لتناقضاته ومحاولات جيف أن يفسرها نحصل على صورة أوضح . فلو أن جيف أجاب إجابة كاملة خالية من التناقض لكانت شيئا كهذا :

« إننى أحتاج إلى منبه ليوقظنى لأذهب إلى عملى ، ولكنى لا أحب أن أنمض من فراشى بمجرد أن يدق المنبه ، ولهذا فإننى أفضل أن أدعه يدق فى السادسة فيوقظنى لإيقاظاً جزئياً ، وبعد نصف ساعة عندما يدق ثانية سأكون أكثر استعداداً للنموض من الفراش فى الوقت المحدد وهو السادسة والنصف . لاشك أن إجابة مثل هذه أقرب إلى المعقول والمفهوم من إجابات جيف . المتناقضة

إن كثيراً من أعمالنا اليومية تشبه تصرفات جيف وعندما يشير الناس إلى التناقض بين ما نقول وما نفعل فإننا فى العادة نغضب . إن مثل هذه التناقضات ، إذا حللناها بعناية ودون انفعال ، يمكن أن تساعدنا على توضيح الدوافع إلى تصرفاتنا .

وفي الرياضيات والعلوم وفي كثير من الأعمال التجارية كثيرا ما يستتبع التفكير الواضح في مشكلة ما البحث عن الأشياء التي تناقض المبادئ المقررة ثم البحث عن أسباب التناقض .

خذ مثلا الطريقة التي اكتشف بها الكواكب نبتون ؛ فنظريا كان يجب أن يتخذ الكوكب أورانوس لنفسه مدارا معيناً في السماء ، ولكن الملاحظة الدقيقة قد بينت تناقضات بين المدار النظري والمدار الحقيقي . وفي محاولة لاكتشاف السبب الحقيقي للتناقض فكر كثير من الفلكيين في إمكان وجود كوكب مجهول أبعد من أورانوس يجذب أورانوس فيبعده عن مساره الذي كان يجب أن يتخذه وفقاً للحساب الفلكي . وهكذا أمكنهم أن يتنبأوا من ملاحظاتهم بموقع هذا الكوكب الفرضي المجهول في السماء ، وقد وجدوه فعلاً في المكان الذي تنبأوا به .

ولذلك لتذكر من فصل سابق في هذا الكتاب أن لا نجويز استخدام طريقة مشابهة في التفكير تعتمد على التناقضات في إثبات خطأ القصة الشائعة عن ذبابة الخيل ، كما فعل نفس الشيء ذلك الرجل الضير - مستر ويلسون - عندما استنتج أن زوجته كانت تقود السيارة في اتجاه خاطيء .

وبنفس الطريقة يستطيع المحاسب أن يراجع الأرقام في دفاتر الحسابات بالبحث عن التناقضات بين مجموعات مختلفة من الأرقام : المبيعات - قوائم الجرد - المشتريات - كشوف المرتبات . . الخ . فإن الأرقام من مختلف المصادر يجب أن تكون متوافقة (غير متعارضة) ، وإلا فإنه لابد من فحص دقيق لدفاتر الحسابات .

وتستخدم مصلحة الخزائنة مثل هذا النوع من التعليل (أو التفكير) لتكشف عن المتربين من دفع ضريبة الإيراد، فقد يعلن شخص ما أن إيراده ٩٠٠٠ دولار في السنة ، ويقرر في إقراره الضريبي أنه قد دفع في الأعمال الخيرية مبالغ قدرها ثلاثة آلاف دولار . إن مثل هذا المبلغ وهو ثلث إيراد الرجل قد يظهر لمصلحة الخزائنة أنه مبالغ فيه بشكل غير معقول ، ولا يستبعد عندئذ أن ترسل المصلحة مخبراً للبحث في هذه التناقضات الظاهرة .

العاطفة والتفكير

إن مما يفسد التفكير الطريقة التي يسمح بها الناس لعواطفهم وشهواتهم ورغباتهم أن تتدخل في التفكير الواضح ؛ فالسيدة البدينة شديدة الرغبة في إنقاص وزنها ، ولذلك فهي تحاول أن تغير ما يسجله الميزان بأن تقف على قدم واحدة ، مؤملة أن ينقص وزنها بذلك إلى النصف . وواضح أنها إنما تخدع نفسها في محاولاتها أن تنقص الرقم الدال على وزنها في الميزان ، ولكنها ستشعر بمزيد من الرضا لو نقص الرقم ، ولهذا فهي تتمسك بالقشة للوصول إلى النتيجة المرغوبة .

وهنا أيضا استخدام خاطيء للقياس التشبهي ، فالسيدة تفكر بالطريقة الآتية :

« إذا كانت كل من ساقي تحمل نصف وزني ، فإن الميزان سيسجل نصف الوزن فقط إذا رفعت ساقا واحدا على قاعدة الميزان ، »

إن هذا لا يحدث بالطبع لأن كل ثقلها يعتمد الآن على ساق واحدة ، وهذا الثقل ينتقل إلى قاعدة الميزان

إن معظم الناس لا يرتكبون مثل هذه الحماقة ، ولكن نمط التفكير الذي تستخدمه السيدة البدينة يستخدمه أيضا كثيرون من الناس في ظروف أخرى ، فمثلا قد يكون هناك نزاع بين شخصين على بضع بوصات من الأرض بطول الحدود الماصلة بين أملاكهما . إن موضوع النزاع صغير جداً بحيث إن الشيء المعقول الواجب عمله في هذه الحالة هو استدعاء حكم محايد ليبحث الحقائق ويقرر من هو الحق ، وربما قام بتقسيم قطعة الأرض بينهما بالتساوي . ولكن يحدث كثيراً في مثل هذه الظروف أن يبلغ من غضب الناس بعضهم من بعض أن يتجاهل الطرفان أية نصيحة وينفقا ألوف الدولارات في الرسوم القضائية لعرض النزاع على المحاكم ، بل هم قد يلجأون إلى العنف . وكثيراً ما يلجأ الخطباء إلى استئثار عواطف مستمعيهم ليقنعوهم بصدق ما يقولون . وبعض الخطباء مقدرة خاصة على تحريك عواطف الجماهير رغماً عما قد يكون في أفواههم من تناقض . ويصعب

على معظم الناس أن يسجلوا في عقولهم تفصيلات الخطاب أثناء القائمة وليست لديهم الفرصة (وأحيانا ليست لديهم الرغبة) لمقارنة أقوالهم بعضها ببعض .

فإذا شئنا أن نحلل أسلوب التفكير الذي بنيت عليه الأقوال التي أقيمت في خطاب ما فلا بد أن نرى الخطاب مطبوعا أو مكتوبا بالآلة الكاتبة حتى يمكن أن ندرس عباراته ونكشف تناقضاته .

وعندما تكون استجابة الناس عاطفية فإنهم عادة يعجزون عن التفكير الصحيح ، وإن ما يجده الآخرون من تناقضات في مثل هذا النمط من التفكير يشير حقا هؤلاء العاطفيين ويزيد الأمر سوءا . إننا في علاقاتنا الإنسانية اليومية لا نستطيع دائما أن نفكر بهدوء وأن نصل من المقدمات إلى النتيجة بطريقة منطقية غير متناقضة . والواقع أن من يحاول أن يفعل ذلك في كل حالة سرعان ما يصبح بغضضا إلى الناس المحيطين به . ولهذا فإنه من الضروري أن نفكر في رد فعل (استجابة) الآخرين لما نقول قبل أن نفكر ما نعتقد أنه التفكير المنطقي الخالص .

فلنفرض على سبيل المثال أن د جونيور ، قد كبر وبلغ السن التي تسمح له بأن يجد تناقضات فيما يقول أوواه وفيما يفعلان ، وأنه يذكر لهم هذه التناقضات صراحة . ربما كان جزاؤه على تفكيره الواضح د صفة ، ! وهو في أغلب الأحوال سرعان ما سيتعلم أن هناك حدودا معينة لاستخدام التفكير المنطقي في شئون الحياة اليومية ، وأنه يجب أن تؤخذ هذه الحدود بعين الاعتبار . إن هذا لا يبرر الصفة التي أخذها جونيور ، ولكنه يوضح أن الاستجابات العاطفية كثيرا ما تضع حدودا للحجج المنطقية في مواقف الحياة اليومية :

الاستدلال من مقدمات خاطئة

قد يخيل إليك أنه إذا كانت المقدمات خاطئة فلا بد أن النتائج التي نصل إليها منها تكون خاطئة كذلك . ولكن نأمل هذا الاستدلال :

١ - الصنخور كائنات حية (ا هو ب) .

٢ - الحيوانات صنخور (ج هو ا) .

٣ - إذن فالحيوانات كائنات حية (ج هي ب) .

إن الاستنتاج منطقي ، وهو فضلا عن ذلك يتفق مع خبراتنا ، ولهذا فنحن نسميه استنتاجا حقيقيا . وهو مع ذلك مبنى على مقدمتين نعرف من خبراتنا أنهما كاذبتان .

ومع أنه من السهل - في هذا المثال - أن ندرك أن المقدمتين كاذبتان ، إلا أنه في حالات كثيرة ليس من السهل أن نقرر ذلك فكثيرا ما يحدث أنه عندما نعرف أن نتيجة ما صحيحة نعتبر أن المقدمتين صحيحتان كذلك ، وهو ما يخالف الواقع كما رأيت في القياس السابق .

والآن تأمل هذا الاستدلال :

١ - لا يخرج نوابغ المفكرين من شعوب تنقسم بالغباء .

٢ - إن « جارجوليا » أمة من الأغبياء .

٣ - وإذن فلا يخرج مفكرون نوابغ من « جارجوليا » .

فلنفرض أنه يتحرى الحقائق وجدنا فعلا أنه ليس في جارجوليا أى مفكرين نوابغ ، ولم يكن فيها قط مثل هؤلاء المفكرين إن بعض الناس يستنتج من ذلك أن المقدمتين صحيحتان ، وأن شعب جارجوليا هم فعلا أغبياء . كما يخيل إلينا أن ذلك يثبت أنه لا يخرج مفكرون نوابغ من شعوب تنقسم بالغباء .

الواقع أن المقدمتين قد تكونان مخطئتين تماما ، فربما كان فقر جارجوليا في المفكرين النوابغ راجعا إلى أسباب أخرى ليس من بينها غباء الشعب ، وذلك كسوء نظم التعليم أو الفقر ، أو التخلف الاقتصادى أو السياسى ، أو قلة الموارد

الطبيعية أو أمراض المناطق الحارة ، أو عديد من العوامل الأخرى متفاعلة بعضها ببعض .

فكون جارجوليا لم تنتج قط أى مفكرين نوابغ لا يثبت المقدمتين اللتين وردتا في هذا القياس . وكل ما يمكن أن تفعله تلك الحقيقة هو أن تقوم بيئة على أن المقدمتين قد تكونان صادقتين .

الاحصاءات المضللة

كثيراً ما تستخدم الإحصاءات في الكتب والمقالات والخطب للشعر القارىء أو المستمع بأن المعلومات المتضمنة فيها علمية دقيقة . وقد وصفت مجلة د لايف ، في عددها الصادر بتاريخ ٧ من نوفمبر سنة ١٩٦١ الطريقة التى يساء بها استخدام مثل هذه الإحصاءات للوصول إلى نتائج ، فقالت :

عندما ذكر العمدة واجنر أن مستوى النظافة في شوارع مدينة نيويورك قد ارتفع إلى ٨٥ ٪ في عام ١٩٦٠ ، بعد أن كان ٥٦ ٪ في عام ١٩٥٥ ، كان يستخدم وسيلة ذات شعبية متزايدة بطريقة لا يمكن تخطيطها تلك هى طريقة الاحصاءات المضللة ، وهى مضللة فى هذه الحالة لأنه لم يحدد الاسس التى يمكن على أساسها قياس مدى النظافة . ولم يتح لأحد أن يدرس هذه الوسيلة بصبر وتفان أكثر من دانييل سليجمان محرر مجلة فورتنس الذى وضع تقريراً كاملاً عنها فى عدد نوفمبر من تلك المجلة .

ويقسم مستر سليجمان الإحصاءات المضللة إلى قسمين : الإحصاءات عديدة المعنى ، والإحصاءات التى لا يمكن الوقوف على مدى صحتها ومن أمثلة هذا النوع الأخير ذكر سليجمان ادعاء عالمة النفس جويس بروذرز أن الفتاة الأمريكية تقبل ٧٩ رجلاً فى المتوسط قبل أن تتزوج ، (وقد تساءل سليجمان عن

المصدر الذي استقت منه مسز بروذرز معلوماتها ولكنها لم
تجب (.

ويسرنا أن نزود مستر سليجمان بإحصاء آخر من النوع الذي
لا يمكن التعرف على مصدره . فقد أعلن روبرت هـ . ويلسون
مؤسس جمعية جون بيرش أن نصفها من المائة في القسس الكاثوليك
يعطفون على الشيوعية — وعندما تحدها المونسنيور لالى محرر
مجلة « بيلوت » التي تصدرها أسقفية بوسطن ليقدّم برهانه أجاب
مستر ويلسون ببساطة : « إن هذا الرقم الخاص برجال الدين
الكاثوليك مجرد تخمين ، ولا ندعى أى دليل ماضى عليه » .

ومن بين ما بحثه مستر سليجمان كذلك موضوع الفئران في
مدينة نيويورك فقال : « لقد كتب كتاب المقالات في نيويورك
يقولون إن عدد الفئران في مدينة نيويورك يبلغ ثمانية ملايين
— وأما مجلة يشن التي خصصت عددها الصادر يوم ١٣ أكتوبر
١٩٥٩ بأ كمله « العار الذي يلحق بمدينة نيويورك » فقد رفعت
الرقم إلى تسعة ملايين ، ولعلها فعلت ذلك لتؤيد كتاب المقالات
في قولهم إن سكان نيويورك من الفئران أكثر من سكانها من
البشر . ومنذ بضعة أشهر تناقشت في هذه الأرقام مع كلينتن ا .
جارفن ، وهو مستشار الإدارة الصحية لمدينة نيويورك في شئون
القوارض والحشرات فقال لى : « إن الدراسة الحقيقية الوحيدة
لفئران مدينة نيويورك قد أجريت عام ١٩٤٩ عندما قام بعض
الباحثين بفضل معونة من مؤسسة روكفلر بالذهاب فعلاً إلى بعض
المناطق وإحصاء عدد فئرانها ، وبتمعيم نتائج بحوثهم على المدينة
بأ كملها استنتجوا أن هناك على الأكثر ٢٥٠.٠٠٠ فأر — أى
فأر واحد لكل ٣٦ شخصاً » .

وقد وجد مستر سليجمان أمثلة أخرى على الإحصاءات عديمة
المعنى أو الإحصاءات التي لا يمكن الوقوف على مصدرها . منها

ما قاله ج . ادجار هوفر من أن الجريمة تكلف الولايات المتحدة ٢٢ بليون دولار سنوياً ، وتقدير الخسائر الناتجة عن النمل الأبيض بمائتين وخمسين مليوناً من الدولارات سنوياً ، وتقدير مجلس الأمن القومي بأن الخسائر الاقتصادية الناجمة من حوادث المرور بلغت ٦٠٢ بلايين عام ١٩٥٩ ، وأن الخسائر الناجمة عن الشيكات المزورة تقراوح بين ٥٠٠ مليون و بليون دولار في السنة . والخسائر الناجمة عن القمار ٥٠ بليون دولار ، والخسائر الناجمة عن الغش في ترميمات المنازل ٥٠٠ مليون — فضلاً عن خسائر أخرى يبلغ مجموعها جميعاً ١٣٨٠٨ بليون دولار أو أكثر من ربع الإنتاج القومي .

وبهذه المناسبة كلما ارتفع رقم الإنتاج القومي ربح الناس بذلك باعتباره دليلاً على زيادة الرخاء في بلادنا . والواقع أن الدخل القومي يشمل بين ما يشمل تكاليف للسيارات المحطمة والحرائق والعواصف المدمرة ، ولهذا فإن غواة الإحصاءات المضللة قد يستفتجون أنه إذا شئت أن تؤدي خدمة وطنية لبلادك فعليك أن تحطم سيارتك وأن تحرق بيتك مرة في السنة على الأقل .

ومغزى كل هذا أن الإحصاءات مفيدة ، ولكن قبل أن تحصل عليها وتشرها فكر فيها مرتين لترى ما تعنيه — إذا كان لها معنى .

أسود ، أو أبيض ، أو رمادي

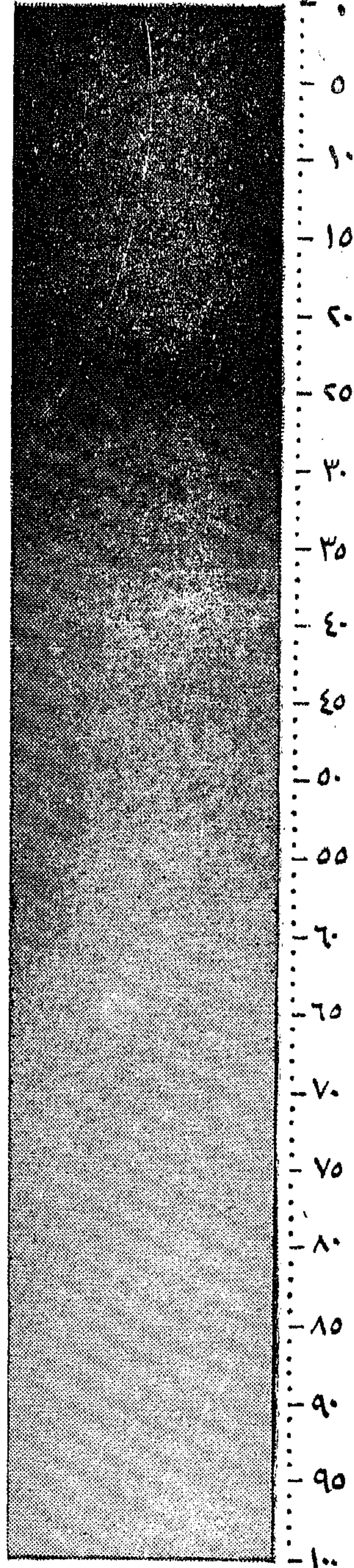
ما هو الشيء الأسود ؟ إن العلماء يقولون إن الشيء يكون أسود إذا امتص كل الضوء الذي يسقط عليه تقريباً ، ومن ناحية أخرى فالشيء الأبيض يعكس كل الضوء الذي يسقط عليه تقريباً . أما الشيء الرمادي فإنه يعكس تقريباً نصف ما يسقط عليه من ضوء .

ولا توجد ثمة أشياء سوداء تماماً أو بيضاء تماماً . فحتى أكثر الأشياء سواداً تعكس نسبة مئوية صغيرة من الضوء كما أن أكثر الأشياء بياضاً لا تعكس ١٠٠٪ . تماماً من الضوء الذي يسقط عليها ، وإن فيمكن إلى حد ما أن نعتبر الأسود والأبيض ظلالاً من اللون الرمادي .

وليس هناك حد واضح يفصل بين الأشياء البيضاء والسوداء . فمثلاً كيف تصف ألوان المناطق المرققة في الشكل ١٧ ؟ إن كل منطقة تختلف عن الأخرى . فأى هذه المناطق أبيض تماماً ؟ وأيها أسود ؟ وأيها رمادي ؟ اطلب من أصدقائك أن يجيبوا هم الآخرين عن هذه الأسئلة — وسترى أن هناك تفاوتاً كبيراً في أحكامهم .

وهناك مواقف كثيرة في الحياة يختلف فيها الناس على تقسيم الأشياء نظراً إلى أنه لا توجد حدود واضحة فاصلة . لا تكون هناك خلافات كثيرة بشأن الحد الذي يفصل بين المحيط والهواء — اللهم إلا بين العلماء الذين يدرسون سطح المحيط في كثير من التفصيل — كما أنه يوجد عادة اتفاق بشأن الحدود الجغرافية بين شعبين متجاورين يعيشان معاً في سلام . ولكن كثيراً ما تكون الحدود الجغرافية غير محددة . فقد يتناوب شعبان امتلاك مناطق على الحدود الفاصلة بينهما خلال الأعوام . وكثيراً ما قامت الحروب في الماضي بسبب الحدود الجغرافية غير الواضحة .

وهناك مشكلة مشابهة فيما يختص بآراء الناس عن الخير والشر، الأمين وغير الأمين ، الديمقراطى والديكتاتورى ، المأمون والخطر . مثل هذه الآراء تتوقف على قيم الأفراد الذين يصدر عن الأحكام كما تتوقف على المعانى التي يعطيها كل فرد للكلمات . وفي حالات كثيرة توجد منطقة رمادية (غير محددة) يصعب فيها أن تقول ما إذا كان الشيء « أسود » أو « أبيض » ، ومعنى ذلك أن الناس أو المواقف قد تكون خيرة لحد ما ، وشريرة لحد ما — فقد يكون هناك شخص أمين بشكل ما ولكنه مع ذلك غير أمين بدرجته قليلة ، وقد تغلب على الشخص الآراء الديمقراطية ، ولكنه مع ذلك لا يخلو من نزعة ديكتاتورية . ويمكن أن يكون الموقف مأموناً نفسياً ، ومع ذلك لا يخلو من خطر . إن الناس إذ يحاولون



(شكل ١٧) أين ينتهي الأسود ؟ وأين
يبدأ الرمادي ؟ أين ينتهي الرمادي ويبدأ الأبيض ؟
إن كثيرا من مواقف الحياة ليست كلها بيضاء
ولا كلها سوداء كما يظن معظم الناس . وخير
ما توصف به تلك المواقف هو أنها ظلال من
اللون الرمادي ، في مكان ما بين الطرفين .

تبسيط مهمة إصدار الأحكام كثيراً ما يقتصر تفكيرهم على الأسود والأبيض ، وبذلك يسهل عليهم أن يصلوا إلى نتائج من مقدمات مبسطة ، ولكن مثل هذه النتائج قد تكون ناقصة بشكل خطير عندما تطبق في الحياة الواقعية .

فمثلاً تأمل حالة شيوعى فى روسيا يقول : « لأنه لا فائدة ترجى من محاولة مسالمة الرأسماليين ، فهم تجار حروب استعماريون ، والطريقة الوحيدة التى يستطيعون بها انقاذ نظامهم هى إشغال نيران الحروب » . وفى أمريكا يقول المواطن الأمريكى : « ما الفائدة من التحدث عن السلام مع الشيوعين ؟ إن هدفهم هو القضاء على النشاط الفردى مهما كلفهم ذلك من ثمن وأنهم فى سبيل ذلك مستعدون للحرب إذا لم يكن من الحرب بد » .

إن كلا الفريقين يفكر بطريقة الأسود والأبيض ، فليس هناك لون رمادى ، ليس هناك طريق وسط . إن منافسك إما صديقك وإما عدوك . ولكن ما الذى يحدث لو أن جيشاً غازياً قدم من كوكب المريخ إلى أرضنا هذه ؟ ألا يتعاون الفريقان فى بذل الجهد لصد العدو الأكبر المشترك ؟ وإذا كان معظم الناس فى كل من الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية واثقين ثقة مطلقة أن الحرب النووية لو قامت فستدمر بلديهما ، أفلا ينتظر أن يأخذوا فى دراسة المنطقة الرمادية (احتمالات التعايش فى سلام) للوصول إلى نوع من التعايش السلمى ؟

ومن الأمثلة الشائعة على التفكير فى الأمور على أساس الأسود والأبيض والرمادى ، ما حدث أخيراً عندما تزعم صبي عصابة دخلت أحد الملاعب وطعننت شابين حتى الموت . فعندما قبض على زعيم العصابة أسبغ على نفسه مظهر الشجاع المستخف بما ينتظره من قصاص ، ولم يظهر أى ندم على فعلته ، ولقد كانت الصدمة التى أصابت شعور الجمهور والقضاة بسبب هذه الجريمة الشنعاء صدمة بالغة حتى إنه حكم على الصبي بالموت رغم صغر سنه . ولكن بعد سنتين كانت هناك حملة جادة لتخفيف حكم الإعدام ، وقد وافق حاكم الولاية فعلاً على التخفيف .

ما الذى حدث ؟ إن عدداً من الناس اهتم بالقضية ودرس الظروف التى نشأ فيها هذا الصبي ، فاتفق أن حياته منذ ولادته كانت سلسلة متصلة من البؤس والشقاء

وهو ىتنقل بين أم وأب منفصلين بالطلاق ، أو ىتنقل بينهما وبين بىوت كان ىقلم فىها إقامة مؤقتة، وكثيراً ما كان ىنام فى الشوارع، وما أكثر ما كان ىعوزه الطعام. أما المدرسة فلم ىعرف طررقه إلبها وكان أمفا تماماً .

وأتاح له السجن فرصة التفكفر ، وبدأ الناس ىهتمون بقضفته لأول مرة ، فتعلم القراءة والكتابة ، وأخذ موقفه إزاء العالم المحيط به بىغير ، وفى نفس الوقت أخذ شعور الناس الذى أءانوه بىغير كذلك ، إذ بدءوا ىدركون أن الموقف لىس كله أبيض أو أسود ، ولكن فىه عناصر من اللون الرمادى ، واستطاعوا أن ىدركوا أن هناك ظروفًا هامة مخففة فى هذه الجريمة التى كانت فى نظرهم جريمة لا ىمكن التسامح مع مرتكبها .

ىجب أن ىتشكك الإنسان إلى درجة معقولة فى الأقوال التى تبسط المواقف أو تبسط سلوك الإنسان أكثر مما ىجب ، فمن المحتمل جداً أن هناك مناطق رمادية يفوتنا أن نفكر فىها أو نعمل لها حساباً بغير هذا التشكك والارتباب .

ولىست أنواع الاططاء فى التفكفر التى عالجنافا فى هذا الفصل هى كل ما ىرتكبه الناس من ااططاء . لقد قام علماء المنطق والفلسفة بىقصى أنواع الاططاء بشكل مفصل فى ألوف السنوات الماضفة ، ولا ىتسع هذا الكتاب لمعالجتها معالجة شاملة .

وفى الفصول القلفة القادمة سنعالج بىفصفل أكبر العلاقة بين ااططاء التفكفر والاططاء فى تكوين الآراء .

ماول أن نحل هذه المشكطات

(الإجابات فى آخر الكتاب)

أوجد ااططاء التعلفل فى كل مما ىأتى :

١ - « إنني في عجلة وسألي تنتظرنى - أيمكن أن أؤجل الإفطار إلى ما بعد الغذاء ، ؟ »

٢ - « هذا الرجل بخيل ، . »

« كيف عرفت ، ! »

« إن اسمه ماك جريجور وهو اسكتلندى . »

٣ - « كان جوني يصلح الحماكي إذا كان يصر صريرا مزعجا عندما تدور صينيته ففكك أجزائه لتشحيمها وإذ لم يجد الزيت الخاص التشحيم استخدم زيت الساطة بدلا منه . »

٤ - « لن أأنتخب برينكرهوف فهو جمهورى يقف دائما ضد العمال . »

« لن أأنتخب بلتو ، فهو ديمقراطى ، ولو أنتخبته يظل ينفق المال أكثر وأكثراً . »

٥ - « لا تتخلص من هذه الأثلاجة القديمة . أبق عليها بعض الوقت فإن القرش الذى تدخره هو القرش نكسبه . »

٦ - « عندما يصبح بيكرنج رئيساً لمجلس إدارة الشركة سيصلح شئوننا سريعاً . ولا شك فى أننا سنأخذ أرباحاً فى العام القادم . والمثل يقول : « المقشمة الجديدة تنظف جيداً » . »

٧ - « إنى لا أثق بروبرت فهو واحد من أولئك الناس الذين لا يكفون عن الابتسام ويربتون على ظهور غيرهم فى مودة وألفة ، وعندما أراه يفعل ذلك فإننى أقول دائماً لنفسى : « ترى ما الذى يهدف إليه » : »

٨ - « يا حضرات المستشارين : لقد أثبتنا فى هذه المحاكمة بما لا يدع مجالاً للشك أن المتهم قد ارتكب جريمة السرقة بالإكراه ، فلقد شوهد راكباً السيارة

التي استخدمت في ارتكاب الجريمة قبل ارتكابها بنصف ساعة على بعد ميل واحد فقط من مكان الجريمة . والمعروف عنه أنه زار هذا المكان أربع مرات على الأقل خلال الشهر الماضي . ولقد بينا فضلا عن ذلك أن رصيده في البنك أكبر بكثير مما يبرره دخله المعروف إنها قضية واضحة تمام الوضوح ولا يحيص من إدانته .

٩ — وإن الرقابة الحكومية غير الضرورية طريقة مسرفة مبدرة للتصرف في شئون الافراد والشركات الصناعية التي أثبتت خلال أكثر من مائة عام أنها تستطيع إدارة شئونها بنفسها خيرا مما تستطيع الحكومة .

إن الإشراف الحكومي يحول دون التقدم مهما يكن من حسن نية القائمين به وبعدهم عن الانانية وإخلاصهم وذكاؤهم .

١٠ — لماذا تعطينا البقرة اللبن ؟

« لأنها لا تكون بقرة إن لم تفعل ذلك ،

١١ — ليس من الخير للناس أن يعطوا حرية أكثر مما يجب ،

١٢ — « أتقول إن بمرتون هو عضو في جمعية (جون بيرش) ؟ كيف عرفت ؟ »

« إنه يسير على سياسة تلك الجمعية في كل تصرفاته . »

١٣ — « إن بك بخيل شديد البخل . إنه لا يعطي مالا قط للإحسان ، وعندما يفعل ذلك يتباهى متفاخرا أمام الناس حتى يقبلوا على شراء بوالص التأمين منه وبذلك يكسب أكثر مما دفع في سبيل الإحسان ، »

١٤ — « عندما أرى هذا الشخص في المرة القادمة سأذهب إليه وألصقه على أنفه وإن يهمني ما سيقوله للناس . »

١٥ — بين التناقض المستتر فيما يأتي :

« سيجرى انتخاب العمدة مرة كل سنتين في أول يوم ثلاثاء يعقب يوم الاثنين الثانى من شهر مارس ، وسيظل فى منصبه مدة أربع سنوات بشرط أن يحصل على الأغلبية المطلقة للأصوات . فإذا لم يحصل على هذه الأغلبية المطلقة فسيعاد الانتخاب بعد شهر » .



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

الفصل السابع طبيعة الآراء

توقف السائح الأمريكى ليلقى نظرة على فلاح مكسيكى نائم فى الطريق وقد أحاط ركبتيه بذراعيه وغطى رأسه بقبعة من اللباد ذات حافة عريضة .

قال السائح : « أنظر إلى هذا الكسول نائما فى عز الظهر بالله عليك كيف يمكن لهؤلاء الكسالى أن يحرزوا أى تقدم فى حياتهم ؟ »

ثم أخرج السائح آلة تصوير من علبتها والنقط بضع صور لهذا الفلاح .

وفى نفس الوقت كان تاجر مكسيكى ينظر من دكانه فلاحظ السائح دقيقة أو نحوها ثم استدار إلى زوجته قائلا :

« هؤلاء الأمريكيون ! إنهم لا يعملون أبدا . كل ما يعملونه هو التصوير — التصوير دون توقف ، وإنفاق المال ، »

لقد كان كلا لرجلين يعبر عن رأى . ما هو الرأى ؟ يعرفه القاموس بأنه « اعتقاد أو حكم مبنى على بيئة غير كافية أو غير مؤكدة » ، وبعبارة أخرى إن هناك عدة حقائق ناقصة .

فى الآراء التى عبر عنها فى المثال السابق كانت هناك حقائق ناقصة كثيرة تجاهلها أصحاب الآراء . فالمكسيكى النائم ساعة الظهيرة كان قد نهض من فراشه فى السادسة صباحا ومشى خمسة أميال إلى السوق يحمل حملا ثقيلا من البضائع وقد أمضى عدة ساعات فى الشمس المحرقة — ولقد تعلم من خبراته الماضية أن خير ما يفعله عند الظهيرة هو أن يتجنب أشعة الشمس الحامية ، وأن يقلل من حركته بقدر الإمكان . وعلى هذا فإن إغفائه فى ساعة الظهيرة هى حل ذكى وعمل لمشكلته . وهو سيشرع عند الأصيل فى السير ساعتين قافلا إلى بيته ، وعندما يصله ، وقد أضناه التعب والتهبت قدماه ، سيصيب عشاء تافها ثم يأوى إلى فراشه .

ومن الناحية الأخرى فإن السائح الأمريكي موظف في إحدى الشركات يتقاضى راتبا متوسطا وقد عمل بجد سنوات طوالا ليدخر من المال ما يكفي للذهاب إلى المكسيك . صحيح أنه كان ينفق الكثير من المال دفعة واحدة ، ولكن هذا المال يمثل كدح عدة سنوات

إن موقف السائح الأمريكي والتاجر المكسيكي كليهما تظهر فيهما أخطاء أساسية في التفكير . فلقد بنيا أحكامهما على ما اختارا أن يراه وتجاهلا حقائق أخرى أو عجزا عن الوصول إليها .

وكان يمكن أن تعالج هذه الغلطة لو أن كلا منهما بذل جهده ليضع نفسه مكان الآخر ، وحاول أن يتصور رد فعله لما كان يحدث للآخر .

وهناك غلطة مشابهة في موقف مألوف . فالشخص الكسول المضطجع في راحة واسترخاء في كرسيه المريح بمنزله لا يخطر بباله أن الرياضي الذي يجري ليسك بسكرة البيسبول هو أبعد ما يكون عن الكسل ، وأنه يبذل أقصى ما في طاقته .

والكثيرون من مشاهدي مباريات البيسبول وغيرها من المباريات الرياضية يتخذون نفس الموقف ، فاللاعب الذي يبذل أقصى جهده ليسك بالكرة قد تنزلق قدمه على بقعة زلقة فيسقط فإذا بجمهور النظارة يطاق أصوات الاستهجان والاستنكار ، مع أن أكثر أفراد هذا الجمهور لو أنهم نزلوا إلى الملعب وحاولوا التقاط الكرة لسخر منهم مشاهدوهم وأخرجوهم من الملعب . ورغم هذا فهم لا يرون عيبا في أن يسخروا من لاعب أفضل منهم بكثير . إن مثل هذه الروح الرياضية السيئة وثيقة الصلة بالاردراء الذي شعر به السائح الأمريكي نحو الفلاح المكسيكي في القصة الآنفة الذكر .

ويصعب على الطفل الصغير أن يفهم وجهة نظر الآخرين ، ولكن يمكنه أن يحصل على هذه القدرة بالتدريب . إن العالم الذي يعرفه الطفل يتكون مما يراه أو يسمعه أو يحسه ، أو يلمسه أو يشمه بنفسه . وبالتدريب تأخذ خبراته

في الاتساع ويتسع عالمه ويبدأ الطفل في أن يفهم شعور الآخرين واستجاباتهم .
وينشأ لديه التعاطف والقدرة على إدراك وجهات نظر الآخرين ، وهكذا يتعلم
أن هناك طرقاً مختلفة للنظر إلى الأشياء .

وفي عالمنا اليوم ، عالم القنبلة النووية ، يصبح لهذه المقدرة على أن تضع نفسك
مكان غيرك ، أو أن تلبس حذاء ، كما يقول المثل الانجليزي ، أهمية خاصة لم يكن
لها قط من قبل . فإن فهمنا لآراء ووجهات نظر الشعوب في الأمم الأخرى قد
يقرر ما إذا كان الجنس البشري يستطيع أن يمنع دماره وفناءه . إن إبعاد خطر
الحرب النووية سيحتاج إلى مزيد من المرونة والإدراك فيما نعتقد من آراء
وكذلك في آراء الآخرين .

مقارنة الآراء

لسكل إنسان آراء في كل شيء تقريباً ، آراء في الطقس ، وفي الجيران ، وفي
أفضل طريقة لصيد السمك مثلاً . ويعرف القاموس الرأي بأنه : اعتقاد أو حكم
مبنى على دلائل غير كافية أو غير مؤكدة .

وبعض الناس قلما يتخذون قراراً لأنهم يدركون أن آراءهم لم تبين على كل
الحقائق . والبعض الآخر مندفعون متسرعون يعملون دون أن يهتموا بالحصول
على أكثر من بعض حقائق . وكلا الطرفين مخطيء ، وكلا النقيضين ضار . ولكن
يجب أن تكون لنا آراء ؛ إذ قلما يتاح للناس أن يعرفوا الحقائق السكافية عن
موضوع ما ، ومع ذلك لابد لنا من أن تكون لنا معتقدات ، وأن نصدر أحكاماً
حتى نستطيع أن نتصرف في شؤون الحياة .

ومن المفيد أن ندرس الطريقة التي يكون بها الكثير من الناس آراءهم . فلنفكر
في هذه المشكلة التي عرضت مع حلها في باب « مشكلة اليوم » ، في إحدى الصحف .
إليك ثلاث إجابات لهذا السؤال : من أدري بالرجل آخر الأمر : أمه أم
زوجته !

إجابة « سوبريلي » ، مضيفة

« أمه أدري به . إن أولئك الذين يخالفونني في الرأي سيقولون إنك لا تعرفين الرجل ما لم تعيشي معه ، ولكن هذه في رأي مجرد إشاعة لا دليل على صحتها . إنني أعرف من ملاحظتي الخاصة أم الأم العادية تعرف كل شيء عن أبنائها وبناتها . »

إجابة « هوبيكو » ، بائع

من يدري ! أعتقد أن لكل إنسان رأيا خاصا في ذلك . والامر كله يتوقف على كل إنسان بمفرده . إن الأم تعرف ابنها في رجولته كما عرفتة في صباه ، فهو في نظرها دائما ابنها الصغير . كما أن الزوجة العادية تعتقد أن جميع الرجال صبيان ولكنها مع ذلك تدرك تفكير زوجها البالغ .

« مسز آمي بوتر » ، زوجة

« إن الأم دائما تعرف ابنها أكثر من زوجته ، فلقد عرفتة منذ طفولته ، فهو بالنسبة لها كتاب مفتوح . وحيث إنها امرأة فهي تفهم زوجة ابنها كذلك فهما تاما وتستطيع أن ترى دوافعها . وهذا هو السبب في أن الزوجات يبخسن حمواتهن . »

وقبل أن نفكر في هذه الأقول المنشورة يجب أن نلاحظ أنها لا يمكن أن تمثل تماما وبدقة ما قاله هؤلاء الناس ، فإن مندوب الصحيفة لديه حين محدود في صحيفته للنشر قصته ، ولهذا فإنه قد يختار ما يشاء للنشر من بين ما قاله شخص ما ، وكثيراً ما يفعل ذلك دون اهتمام بالمعنى الهام الذي يهدف إليه صاحب الحديث وهو بعد أن يختار كثيراً ما يعيد كتابة المادة ليجعلها « أكثر تشويقاً » للقراء

ونتيجة ذلك أن الكثيرين من الناس الذين يستجوبهم الصحفيون يجدون أقوالاً منشورة ومنسوبة إليهم . مع أنهم واثقون أنهم لم يقولوها . ولا تنشر الصحف عادة أصويها لأقوالها (إذا طلب منها ذلك) بشكل واضح وضوحاً كافياً بحيث يلغى الأثر الأول الذي تركته أقوالها .

الحصول على عينة تمثل صحنة الرجال :

إن موضوع البحث هو : من أدرى بالرجل آخر الأمر : أمة أم زوجته ؟ هذا موضوع ناقص في الحقيقة ، فما المقصود بالرجل ؟ أهو رجل واحد أم رجال كثيرون أم معظم الرجال أم كلهم ! إن السؤال ينطبق على مجموعة كبيرة من الناس بينهم عدة فروق كبيرة ، ومع ذلك فإن المطلوب إجابة واحد تعتبر صادقة على معظم الرجال وأمهاتهم وزوجاتهم . إنه يكاد يستحيل عادة على الشخص العادي أن يجمع من المعلومات القدر الكافي فيما يتعلق بهذا السؤال بحيث يستطيع أن يعطى إجابة معقولة .

إن الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها شخص ما أن يجيب عن مثل هذا السؤال العام هو أن يدرس حياة الكثيرين من الرجال المختارين باعتبارهم ممثلين لمجموعة كبيرة منهم . وفضلاً عن ذلك فإنه لا بد من تعريف دقيق لمثل هذه العبارات : « آخر الأمر » ، « يعرف الرجل » .

إن في العالم عدداً كبيراً من الأمهات والزوجات والرجال المختلفين يعيشون في بلاد مختلفة ذات عادات متفاوتة وأساليب في الحياة مختلفة . فلابد أن هناك أمهات غير متسامحات وغير عطوفات ، وهن أحياناً يؤذين شعور أطفالهن ولا يهتممن بأن يفهموهن . وهناك أمهات أخريات يحبين أطفالهن ويهتممن بأن يفهمهن ، ولكنهم غير قادرين على ذلك . ونفس الشيء يصدق على الزوجات .

إن هناك تفاوتاً كبيراً في الإدراك بين مئات الملايين من الناس الذين يعيشون على الأرض ، وأسباب التفاوت عديدة مختلفة ، ولو استطعنا أن ندرس حياة

ألف من الناس فمن المحتمل أن نجد عدة حالات متطرفة . فمن ناحية نجد أمهات وزوجات لا يدركن إلا القليل ، ومن ناحية أخرى نجد بعضاً ممن يدركن الكثير . والواقع أن أكثرنا يرى أمثلة لهذه الفروق بين أصدقائنا وأقاربنا وجيراننا .

إن السؤال يتطلب جواباً بشأن « الرجل العادي » ، وإن يكن هذا لم يذكر صراحة في السؤال . ولكن نحصل على مثل هذا الرجل يجب أن نلاحظ العديد من الناس ، وأن نختار عدداً منهم يعتبرون ممثلين لمجموعة كبيرة الناس الذين نجري دراستهم . فمثلاً ليس من الصواب أن تكون الأمثلة مقصورة على أناس من بيئة واحدة صغيرة في إقليم « آميش » بولاية بنسلفانيا مثلاً . فلهؤلاء الناس عادات خاصة قد تؤثر في العلاقات بين الرجال وزوجاتهم وأمهاتهم . كما أنه ليس من الصواب أن نختار جميع الأمثلة من منطقة واحدة صغيرة في إحدى المدن الكبيرة . قد يكون سكانها أناساً جاءوا حديثاً من بلاد أخرى . إن نتائج مثل هذه الدراسات المحلية يجب ألا تطبق تطبيقاً عاماً .

وكثيراً ما يكون اختيار عينة صحيحة في أي بحث يتعلق بأعداد كبيرة من الناس أو الأحداث مشكلة بالغة الصعوبة . تأمل مثلاً ما حدث لإحدى المجلات الكبرى في الولايات المتحدة ، مجلة « ذا ليتري ديجست » ، عندما لم تول هذه المشكلة اهتماماً في عام ١٩٣٦ ، في ذلك الحين كانت الانتخابات لرياسة الجمهورية وشبكة الوقوع ، وكانت المنافسة بين روزفلت ولاندون . وقد أجرت المجلة استفتاء سابقاً للانتخاب مبنياً على استجابة أناس اختارتهم خبط عشواء من دليل التليفون ، فدلّت النتائج على أن لاندون سيفوز بالرياسة ، ونشرت المجلة نتائج الاستفتاء قبل الانتخاب وعملت لها دعاية واسعة .

والذي حدث هو أن روزفلت هو الذي فاز بأغلبية ساحقة ! وأصبحت المجلة مشار سخرية الناس ، ولم تلبث أن انقطعت عن الصدور بعد قليل ، وكان ذلك في الغالب بسبب ما وقع منها من خطأ في التنبؤ بنتيجة الانتخابات .

ومرجع الخطأ أن العينة لم تكن ممثلة تمثيلاً كافياً للناخبين ؛ فقد كان عام ١٩٣٦ من أعوام أزمة اقتصادية عنيفة ، ولم يستطع أكثر الناس أن يحصلوا على تليفونات ،

وهكذا كان استخدام دليل التليفون للاستفتاء مؤدياً إلى استبعاد ذوى الدخول الصغيرة وهم أغلبية السكان . وإذا كان من المحتمل أن معظم أصواتهم كانت مؤيدة لوزقات فقد أوجدت المجلة بنفسها ظروفاً أدت إلى الوصول إلى تنبؤ خاطئ .

فلاختيار عينة صحيحة لابد من مراعاة قواعد معينة ، فمثلاً يجب أن يمثل الناس من مختلف المهن والأعمار والدخول والبيئات الجغرافية ، وأن يكون تمثيلهم بنسبة عددهم إلى مجموع السكان .

وعندما يوقف المندوب المتجول لصحيفة ما رجلاً في الطريق ويسأله رأيه في الرجال بصفة عامة فليست لدى المستجوب عادة وسيلة عملية للحصول على متوسط إحصائي معقول في التو واللحظة ، ولهذا فإن الآراء التي يعبر عنها الناس في هذه الظروف لا يمكن أن تكون أموراً مؤكدة تأكيداً مطلقاً .

تحرير معاني الكلمات

ما المقصود بكلمة « أكثر » ، (في « أكثر دراية ») في السؤال الذي نحن بصددده ؟ كيف يمكن أن نقرر ما إذا كان الشخص (أ) يعرف الشخص (ج) أكثر مما يعرفه الشخص (ب) ؟ ومن الذي سيكون الحكم في معنى الكلمة ؟

ثم أيهما « أحسن » : سيارة اقتصادية صغيرة أو سيارة كبيرة كثيرة التكاليف إن الكثيرين من يشترون سيارات صغيرة ، والكثيرين غيرهم يشترون سيارات كبيرة ، ويتخذ من ذلك أن ما هو أفضل لشخص ما قد لا يكون أفضل لشخص آخر فالسؤال عن أيهما أفضل سؤال لا معنى له ما لم تحدد شروط أكثر فبالنسبة للشخص الذي يحب المظهر الفخم الذي تسبغه عليه السيارة الكبيرة والذي يقدر على ثمنها وتكاليفها والذي يجد قرب مكان عمله متسعاً لانتظارها قد تكون السيارة الكبيرة أفضل ، ولكن بالنسبة لشخص صغير الدخل ليس لديه إلا حين ضيق لانتظار السيارة قرب بيته أو مكان عمله قد تكون السيارة الصغيرة أفضل بكثير .

وما المقصود بكلمة « يعرف » أو يدري » ؟ لها كلمة مجردة إلى حد كبير ولها ظلال كثيرة من المعنى والحدود بينها قائمة . أتعني أن الأم أو الزوجة تعرف ما يفكر فيه الرجل ؟ أو تعني أنهما تفهمان دوافع تصرفاته ؟ أتعني أن أخطاه يلتبس لها العذر ؟ أولا يلتبس لها العذر ؟ إن لاختلاف للناس مواقف مختلفة بالنسبة للمقصود بكلمة « يعرف » أو « يدري » .

وما المقصود بعبارة « آخر الأمر » ؟ يظهر أن العبارة تعني مدة طويلة من الزمان ، ولكن ما طولها ؟ سنة ؟ خمسون سنة ؟ عشر سنوات ؟ أم يمكن « تعرف » الأم ابنها معرفة « أكبر » لزمان قصير بعد زواجه ، ولكن بمضي الزمن وبمضي السنين على الرجل في عشرة زوجته تصبح الزوجة أقدر من أمه على أن تعرف زوجها . هكذا ترى أن المدة هي موضع سؤال .

ومن الناحية المنطقية إن أول خطوة في الإجابة عن سؤال هي أن نطلب توضيح معاني الكلمات المستخدمة فيه ، ولكن مخبر الصحيفة قد ينتقل إلى شخص آخر قبل أن يتم هذا التوضيح ، وسرعان ما يجيب هذا الشخص الآخر عن السؤال الذي هو في الواقع سؤال بلا جواب .

ولقد رأينا أن علم المعاني يلعب دوراً كبيراً في عملية التفكير ، ومن المهم أثناء المناظرات والمناقشات والدراسات التاريخية والبحوث العلمية والرياضية أن نحدد معاني بعض الكلمات الأساسية تحديداً دقيقاً .

ويحاول المفكرون المنطقيون دائماً أن يوضحوا معاني الكلمات في أي موضوع يدرسونه . ونادراً ما ينجحون في ذلك نجاحاً تاماً . ومع هذا فإن معظم الناس ينفذ صبرهم من هذه الخطوة الأساسية للتفسير الواضح . ويضيقون ذرعاً عندما يحاول شخص ما أن يحدد معنى كلمة أو عبارة استعملت في المناقشة تحديداً دقيقاً .

تحليل الإجابات

ناقشنا حتى الآن طبيعة السؤال ولم نتعرض بعد للإجابات ، وأمكثنا بدراسة السؤال الذي وجهه المحور أن نستنتج أنه من أصعب الأمور على العاديين

من الناس أن يجيبوا إجابة ذكية عفواً الخاطر ، ومع ذلك فإن اثنين من بين كل ثلاثة من أولئك الذين أجابوا على السؤال لم يترددوا في إعطاء أجوبة محددة مطلقة .

تقول سوجويل المضيق إن الأم أدرى — وقد دلتني ملاحظتي على أن الأم العادية تعرف أبناءها وبناتها من الآلاف إلى المئات .

إن سوجويل مضيق ويتضح من كون اسمها غير مسبوق بلقب مسر أنها غير متزوجة ، بخلاف مسر بوتر ، ولهذا يحتمل أنه لم يتح لها أن تحصل على خبرة مباشرة عن مقدرة الزوجة على الحكم على أخلاق الزوج . وربما كان رأيها مبنيًا على صلاتها بأصدقائها وأقاربها وواضح أن هؤلاء إن هم إلا نسبة ضئيلة من سكان العالم ، حتى بالنسبة إلى البلدة التي تعيش فيها . ويحتمل ألا تكون تلك البلدة ممثلة للولايات المتحدة كلها أو لغيرها من البلاد . ومع ذلك فإن سوجويل لا تتردد ألبتة في أن تقول : إن الأم أدرى ، وتضيف : « إن أولئك الذين يخالفونني في الرأي سيقولون إنك إن تعرفي الرجل قبل أن تمشي معه ، وإنك هذه في نظري إشاعة لا أساس لها من الصحة » ، فإذا لم يكن رأيها مبنيًا على إشاعة أو وهم من نفس النوع الذي تهم به الناس فما هو الأساس ؟

أما جويسكر فهو أكثر تعقلاً بكثير من سوجويل يقول : « من يدري ؟ أعتقد أن لكل إنسان رأيه في هذا الموضوع ، ويتوقف الأمر على كل فرد بذاته . » ولقد نختلف قليلاً فيما عبر عنه من آراء في بقية إجابته ، ولكننا نعتبر إجابته معقولة في جملتها .

وتقول مسر بوتر : « إن الأم دائماً تعرف ابنها خيراً من زوجته ، . ولسنا بحاجة إلى أن نذهب إلى أبعد من ذلك في تحليل إجابتها . فإننا نجد هنا دليلاً على نقص كبير في إدراك معنى التفكير المنطقي . وكل ما يلزمنا لنثبت خطأ رأيها هو أن نجد حالة واحدة فقط (من بين بلايين الحالات في العالم) لأم لا تفهم ابنها قط ، أو لا تفهمه خيراً من زوجته ، وهكذا تصبح كلمة دائماً في إجابتها بلا سند وتنهال الإجابة تماماً .

إن سوء استخدام أمثال هذه الكلمات (دائماً — أبداً — لا بد أن — كل — أو جميع) من المصادر الأساسية للخطأ في التفكير ، ولا يستطيع الناس استخدام مثل هذه الألفاظ استخداماً صحيحاً ما لم تكن لهم خبرات واسعة جداً في موضوع البحث أو المناقشة . ويتعذر ذلك عادة في مثل هذه الموضوعات العامة الشاملة التي نبحثها هنا . فحتى العلماء يترددون في استخدام لفظة « دائماً » ، عندما يتحدثون عن أمور أبسط بكثير من فهم الناس . فمثلاً : هل يسقط الجسم دائماً إذا أفلتناه من أيدينا ؟ إنه لا يسقط إذا كان بالونا ، ولا يسقط إذا كان في الفضاء الخارجي بعيداً عن النجوم والكواكب ، كما أنه لا يسقط إذا كانت هناك رياح شديدة ، أو إذا كانت هناك قوة مغناطيسية طاردة تجعله يظل معلقاً حيث هو . فإذا كان العلماء حريصين هذا الحرص في استخدام ألفاظ من أمثال دائماً وأبداً عندما يماثلون مسائل بسيطة نسبياً كسقوط الأجسام ، فما أحرانا أن نكون أكثر حرصاً عندما نستنتج نتائج عامة شاملة تتصل بأمور الإنسان الشديدة التعقيد .

ولا نغني بهذا أن نقول إن أمثال هذه الكلمات (كل — دائماً — أبداً — فقط) يجب ألا تستخدم . فإن لها مكاناً هاماً في اللغة . فمثلاً إليك بعض الاستعمالات الصحيحة لمثل هذه الكلمات ، وإن كان يجوز لك أن تعترض على هذه الاستعمالات في ظروف معينة :

لا تشرب قط ماء من مجرى ملوث .

كن دائماً على حذر عندما تعبر شارعاً مزدحماً .

إن جميع الناس في هذا البيت مدعوون إلى الحفل .

فالهم أن نستعمل هذه الكلمات بحرص وعناية حتى يقتصر استعمالها على الحقائق الواقعية دون سواها .

العقل المفتوح والتعصب

بدأ الطفل د باراناي ، وكلبه الناطق في مناقشة مع المستر د أومالي ، فلايكاد الكلب يفتح فاه ويقول ما يبدو أنه بداية قصة حتى يرفض مستر د أومالي ، أن يصفى إلى شيء بعد ذلك . فلقد أصدر حكما على ما سيقوله الكلب قبل أن يسمعه . إن عقله مغلق تماما أمام الحقائق بمجرد أن يسمع الكلمات القليلة الأولى . ولعله قد ضاق ذرعا بالكلب لسبب من الأسباب ، ولهذا فإنه لن يصفى مهما قيل . ويوصف مثل هذا النوع من رد الفعل بأنه عاطفي .

وللكثيرين منا مثل هذه التحيزات أي الأحكام السابقة على الناس والأحداث . وفي البعض الآخر منا نقص مشابه لهذا ، فلهذا البعض من الناس آراء ثابتة راسخة وهم على تمام الثقة بما يعتقدون أنه صواب . لقد كونوا آراءهم في الناس والأحداث مقدما ، فهم كالمستر د أومالي ، لا ينصتون إلى أي شيء يقال .

ويحدث كثيرا عندما يعبر شخصان بقوة وعنف عن رأيين متعارضين في موضوع معين أن تنتهي المناقشة بأن يتمسك كل من الطرفين برأيه ولنسمع عندئذ هذه العبارة د إن لكل رأيه ، . وهذا صحيح من حيث الحقوق القانونية للأفراد ، ولكن يجب ألا يشعر الشخص أن له الحق في تكوين آراء خاطئة ، فهو كإنسان عاقل يجب أن يراجع آراءه في ضوء الحقائق وأن يعدلها عند الضرورة .

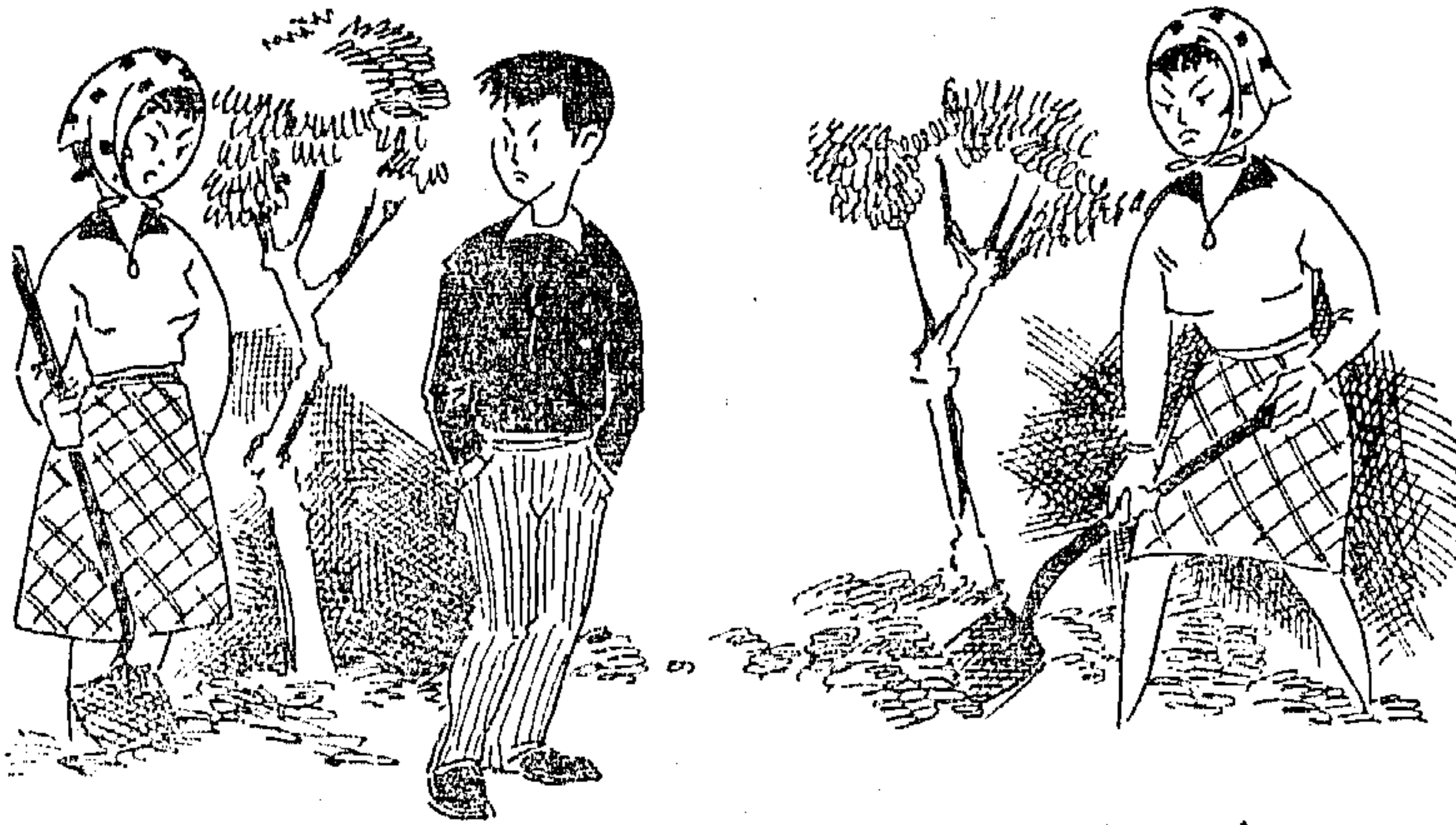
الآراء : أحكام مؤقتة

يجب أن نذكر أولا أن الرأي ليس أكثر من حكم مؤقت نصدره لأننا لا نعرف جميع الحقائق ، ولهذا يجب أن نتوقع أن يتغير الكثير من آرائنا بمضي الزمن ، فإذا ما تمسك شخص ما برأى لا يجيد عنه حتى وإن تعارض مع الحقائق الجديدة ، فإنه يعتبر إنسانا غير متعقل . ويحدث أحيانا أن يستخدم رأى سبق لشخص ما أن اعتنقه ثم عدل عنه فيما بعد حجة عليه . ويمكن أن نتصور حجة لأحد السياسيين ضد سياسي آخر بهذا الشكل ؛ د لقد قلت في عام ١٩٣٢ إن

الضرائب منخفضة أكثر مما يجب ، والآل هانئذا تقول إنها فادحة فلماذا تناقض نفسك هكذا ؟ وكيف يمكن أن تثق بك مادمت تغير آراءك ؟

ولكن الآراء المتعارضة قد يكون لها ما يبررها تماما باختلاف الأزمنة .
فالحقائق التي كانت معروفة عام ١٩٣٢ ليست نفس الحقائق المعروفة عام ١٩٦١ فالظروف تختلف ، ولذلك فليس من حسن الحاجة المنطقية أن تبين لمن تحاجه أن ما يقوله الآن يتعارض مع ما قاله في الماضي ، فالكثير يتوقف — بطبيعة الحال — على الظروف الفعلية ، ولهذا يجب أن نفحص كل تناقض في ضوء الزمان والمكان الذي يحدث فيه .

كما أنه من الممكن أن يعتقد الناس آراء متعارضة ، لأنهم يفسرون الحقائق كل بطريقة الخاصة . ويوضح الرسم الهزلي في (شكل ١٨) هذه النقطة فكل من « ولبرت » ، وأمه اهتمامات واتجاهات مختلفة ، ولذلك فأراؤهما تختلف فيمن من أفراد الأسرة يجب عليه أن يزيح أوراق الشجر المتراكمة أمام البيت .



الأم : لعلني أستطيع أن أجعل ولبرت ينجل من نفسه ويقوم بهذا العمل .
ولبرت : لماذا تنظفين المعش من أوراق الشجر ؟ وأين أحب إذن ... ؟

(شكل ١٨) يختلف الناس أحيانا في مواقفهم بسبب اختلاف القيم التي يعتقدون فيها وإن كانوا يلاحظون نفس الحقائق

إن العقلاء ذوي العقول المفتوحة يعلمون أن الآراء تعتمد على حقائق ناقصة كما تعتمد على اهتمامات واتجاهات مختلفة ، وهم على استعداد للنظر في الآراء التي تخالف آراءهم ولتقبل الحقائق الجديدة التي يمكن إظهارها ، فإذا كانت الحقائق كافية فإنهم مستعدون لأن يعدلوا آراءهم لتتواءم مع تلك الحقائق .

الرأي والموافقة (أو المطابقة)

لقد أجرى علماء النفس عددا من التجارب الشائقة التي دلت على أن الآراء التي يعتنقها الناس تتأثر بمواقف الآخرين المحيطين بهم . وقد اعتمدت إحدى تلك التجارب على الموقف الآتي : كان عدد من الطلاب جالسين حول مائدة فطلب إليهم أن يقارنوا بمجرد النظر بين أطوال خطوط مختلفة ، وكان قد انفق مع الجميع ما عدا واحدا على أن يتعاونوا على إعطاء إجابات خاطئة . فكيف يستطيع الفرد المنعزل أن يواجه الرأي المضاد الذي يعبر عنه جميع الآخرين ؟

لقد وافقت أغلبية الطلبة على الآراء الخاطئة للآخرين بدلا من أن تعبر عما كانت تفتقد بأنه صحيح لولا تلك الآراء ، وليس معنى هذا أنهم كانوا يكذبون ولكن لعلمهم ظنوا أنه لا بد أن يكون في أحكامهم خطأ ما ، ما دام الآخرون جميعاً قد ارتأوا رأيا مخالفا لهم .

وبمجرد أن حصل صاحب الرأي المخالف على رأى واحد في المجموعة مؤيد له ازدادت نسبة أولئك الذين ذكروا الحقائق كما لاحظوها زيادة كبيرة .

فإذا كان الناس يتأثرون إلى هذا الحد بآراء الآخرين في الأمور المتعلقة بمسائل بسيطة ، كأطوال بعض الخطوط ، فكيف بالحري يكون تأثرهم عندما يحكمون على أمور أكثر تعقيدا ؟ تدل هذه التجربة على أن الآراء التي يعبر عنها الناس في الشؤون السياسية ، وفي الناس الآخرين ، وفي الأحداث الإنسانية عامة ، قد يكون العامل الأساسي فيها ما يقوله الآخرون المحيطون بهم .

ولقد أجريت تجربة مشابهة في فرنسا والبروج للوقوف على ما إذا كان هناك فرق من هذه الناحية بين سكان هذين البلدين ، وتم ذلك بالطريقة الآتية :

طلب إلى الشخص الذى أجريت عليه التجربة أن يدخل حجرة بها ست دقرات ، (أكشاك) رقت بالأرقام من ١ إلى ٦ ، وكانت هناك خمس دسرات ، معلقة بالحائط ، فعلق دسرتة ، ودخل د القمرة ، رقم ٦ ، وكانت الدلائل تدل على أنه واحد من ستة أشخاص تجرى عليهم تجربة ، فوضع على أذنيه سماعات ، وأخذ يصغى إلى التعليمات ، وفيما بين التعليمات (التى كانت قد سمعت على شريط قبل التجربة) كان يسمع ما يشبه الأسئلة والملاحظات من الناس الذين هم فى د القمرات ، الأخرى . ولقد كان هذا مما زاد يقينه أن د القمرات ، الخمس الأخرى مشغولة ، ثم سمعت نفمتان وطالب إلى الشخص موضع التجربة أن يقرر أى النفمتين استغرقت وقتاً أطول . وأعيد الاختبار عدة مرات مع استخدام نفمات مختلفة .

وفى بعض الأحيان كان قد رتب مع هؤلاء المساعدين المستترين أن يصدروا أحكاماً صحيحة عن أى النفمات استمرت وقتاً أطول . ولكنهم فى أحيان أخرى أصدروا أحكاماً خاطئة ، وسمع الشخص الذى تجرى عليه التجربة خمسة آراء خاطئة قبل أن يطلب إليه أن يبدى رأيه ، وفى هذا الجزء من التجربة أعطى ٥٠ ٪ من الطلبة الفرنسيين و ٦٢ ٪ من الطلبة النرويجيين ، أحكاماً خاطئة .

وفى مجموعة أخرى من التجارب أعدت أشرطة التسجيل بحيث يخيل إلى سامعها أن أولئك الذين هم فى د القمرات ، الأخرى يسخرون من الشخص الذى تجرى عليه التجربة لاختلاف رأيه عن آرائهم . فكان هذا الشخص بعد أن يصدر حكماً مخالفاً لحكم المجموعة يسمع عبارة كهذه : د أملك تحاول أن تسترعى الأنظار ؟ ، وفى هذه الحالة عندما خيل إلى الأشخاص الذين تجرى عليهم التجربة أنهم معرضون للنقد العام ارتفعت نسبة أولئك الذين وافقوا على رأى يخالف ما لاحظوه إلى ٥٩ ٪ للطلبة الفرنسيين و ٧٥ ٪ للطلبة النرويجيين .

ومن الحقائق الطريفة أن الفرنسيين كانوا باستمرار أكثر استقلالاً فى آرائهم فى هذه التجارب من النرويجيين ، فإن نسبة النرويجيين الذين وافقوا على آراء الآخرين عن طول الزمن الذى استغرقت النفمات كانت أعلى من نسبة الفرنسيين .

ولقد يميل بعض الناس إلى التسرع فى الحكم على الخصائص العامة للفرنسيين والنرويجيين على أساس هذه التجربة ، ولكن مثل هذا التسرع خطأ خطير ، فإن

التجربة كانت مقصورة على الاستماع إلى الأصوات . أنكون ردود الفعل مشابهة نتيجة هذه التجربة لو أنها أجريت على الآراء السياسية ؟ أكان المال وأصحاب المهن والكتبة يستجيبون بنفس الطريقة ؛ لابد أن تجرى التجارب على مثل هذه المسائل قبل إصدار أية أحكام عامة .

ومن الأمور الشائعة كذلك الدور الذي تقوم به الحقائق الناقصة في هذه التجربة ، فلقد خدع كل من أجريت عليه التجربة حتى خيل إليه أن هناك أناسا آخرين في « القمرات » المجاورة . ولقد كانوا جميعا واثقين بذلك على أساس ما أمامهم من بيانات .

إن عوامل مشابهة لهذا تعمل في مواقف الحياة اليومية التي تشترك فيها مجموعات من الناس وتعمل هذه العوامل عملها أثناء الانتخابات عندما يميل الناس إلى إعطاء أصواتهم للشخص الذي يعتقدون أنه سينال الأغلبية . إن الحكم مطلق اليد (الدكتاتوريين) يظلون على كرسي الحكم مدة أطول من المؤلف ؛ لأنهم يستطيعون أن يزيروا من العوامل التي تشجع على توافق الآراء وتثبط الاستقلال في الرأي والعمل .

وليس معنى هذا أن الموافقة والمصادقة على رأى الأغلبية دائما شر ، وأن الاستقلال بالرأى دائما خير ، فاعل الموافقة تلعب دورا هاما في الإبقاء على الحضارة . فلو أن الشباب كانوا دائما مستقلين في تفكيرهم لتخلصوا من الأفكار القديمة في كل جيل . وكثير من هذه الأفكار القديمة قد يكون صالحا ويستحق المحافظة عليه . أو قد يحتاج إلى تغيير بطيء . إن الأجيال القديمة تميل إلى الموافقة على الأفكار القديمة في حين أن الأجيال الناشئة شير مشكلات متجددة . فإذا أمكن الاحتفاظ بتوازن دقيق بين هذين الاتجاهين لأمكن للمجتمع أن يفيد من تبادل الأفكار . أما إذا كان هناك توافق أكثر مما يجب ، واستقلال في الرأي أقل مما يجب ، فإن المجتمع يميل إلى أن يكون راكدا غير متطور قادر على الموازنة بين نفسه وبين الظروف الجديدة . وأما إذا كان هناك استقلال في الرأي أكثر مما يجب ، وموافقة أقل مما يجب ، فإن الفوضى قد تسود الأمة فلا يدري أحسن ما ينتظر أن يحدث أو ما يجب عليه أن يفعل .

ولعل التجارب الآتية الذكر هي الطلائع للكثير من أمثالها في المستقبل .
إن علماء النفس لم يشرعوا إلا منذ قليل في سبر أغوار منطقة الآراء والأحكام
في العقل ، ولا شك أنه ستحدث في بضع عشرات السنين القادة كشف هامة
بشأن الطرق التي يعمل بها العقل البشري .

إنك محو من وجهة نظرك

... ولكن وجهة نظرك خاطئة !

كثيراً ما يكون الاختلاف في الرأي راجعاً إلى اختلاف الناس في أحكامهم
على قيم الأشياء . فمثلاً نرى الطفل ينسكرك غاضباً ما اتهمته به أمه من أنه استنفد كل
ما لديها من عطر ، بأن ملأ به مسدس الماء الذي يلمو به . ويحتاج دنيس قائلاً
لأنه لا يزال في مسدسه بعض العطر ، فهو لم يستخدمه كله .

إن كلا من الطفل وأمه يصدر حكماً مختلفاً على قيمة الشيء ؛ فالعطر بالنسبة
للأم سائل ثمين تحرص عليه ولا تستخدمه إلا في المناسبات النادرة عندما ترتدى
ملابس الحفلات والسهرات . وأما بالنسبة للطفل فهو سائل ملائم جداً لأن
يضعه في مسدسه !! وترجع هذه الأحكام المختلفة إلى التجارب المختلفة التي مرت
بكل منهما .

وهناك مثلاً آخر لهذه الأحكام المختلفة على قيم الأشياء ، فصاحب العمل
يفترض أن العامل قد استخدم ليؤدي عملاً ولكن العامل يعتبر العمل آخر
مشاغله . فهو يهتم أكثر بأن يفعل ما يحلو له أثناء ساعات العمل . وتعارض
النتيجة التي يصل إليها العامل من تفكيره المبني على القيم الأساسية في نظره مع
النتائج التي يصل إليها صاحب العمل على أساس ما يعتقده فيه من قيم ، وهكذا
يفقد العامل عمله .

إن القيم التي يحرص عليها شخص ما تتوقف على تجاربه في الحياة من وقت
ميلاده . والقيم راسخة فينا إلى حد أنها لا تتأثر إلا بالتغيرات الغنيمة في الحياة .

وحينما نتناول المناقشة أو المحاجة بمجموعات مختلفة من القيم يصعب الوصول إلى اتفاق حتى عندما يكون الخلاف في الرأي على أمور ثانوية ؛ إذ يصبح للمواطن اليد العليا فتتقضى على المناقشة الموضوعية الهادئة .

ولتوضيح الطريقة التي تتوقف بها الأحكام في الأمور الهامة على قيم الإنسان تأمل في وجهات النظر الثلاثة الآتية في موضوع الحرب :

إن بعض طائرات الأمة (ب) قد أسقطت طائرة تنتمي إلى الأمة (أ) في مكان ما قرب حدود الأمة (ب) فيقوم شخص من الأمة (أ) داعياً إلى الحرب فوراً لغسل الإهانة التي حافت بالشرف الوطني . فهذا في نظره أهم من الحياة نفسها ، ولستكننا نجد شخصاً آخر لا يهتم كثيراً بمسائل الشرف الوطني ، يعارض في الحرب بحجة أنه من الخطأ أن يقتل الناس بعضهم بعضاً مهما تكن الظروف . كما نجد شخصاً ثالثاً يتساوى في نظره قيم الحياة والشرف عاجزاً عن أن يقرر ما يجب على بلاده (في رأيه) أن تفعله فكل منهم يرى نفس الحقائق من زاوية مختلفة تمام الاختلاف وإن اتفقوا على هذه الحقائق نفسها ، فلكل إنسان رأى يتوقف على مجموعة من القيم مختلفة عن سواه .

إن الأحكام التي تتوقف على القيم التي يعتنقها الناس تؤثر في آرائهم حتى عندما يكون موضوع الحكم موضوعاً غير عاطفي ، فمثلاً حدث أخيراً أن كان عالمان يناقشان مشكلة ازدحام العالم بالسكان ، فأهان أحدهما أن الموقف جد خطير ، وأنه يجب أن تبذل الجهود في الحال لتجديد نسبة النمو في عدد السكان . وقد بنى رآيه على حاجة الناس إلى متسع كبير من الأرض يعيشون فيه بحيث يستطيعون الاستفادة من الحدائق والغابات في وضعها الطبيعي . إن القيم التي كان يؤمن بها جعلته يعطي أهمية خاصة لهذا الطراز من الحياة .

أما العالم الثاني فإنه لم يلتفت كثيراً إلى هذه الحاجة ، وأعلن أن في مقدور البحث العلمي أن يزود سكان الأرض بما يكفيهم من الطعام والنشاط لمدة طويلة . وواضح أنه لم يكن يقلقه أن الناس سيضطرون إلى العيش في مدن مزدحمة بالسكان ،

واعلمه كان يفضل — وإن لم يقل ذلك صراحة — ما في حياة المدن من نشاط على التمتع بالأرض الفسيحة الخلاء .

لقد كانت آراء العالمين مبغية على نفس المجموعة من الحقائق ، ولكن الفرق بينهما فشا من اختلاف قيمها .

واقدر تكون للعالم آراء معينة في كثير من المشكلات المتصلة بعمله ، ولكنه يعرف عادة أنها مجرد آراء وينظر إليها باعتبارها مجرد دوافع للبحث عن حقائق أخرى يمكن استخدامها للتحقق من صحة هذه الآراء أو خطئها . وهو مستعد لأن يغير آراءه إذا أدت به بحوثه إلى ذلك . وأما موقف معظم الناس لزاء آرائهم فليس عادة بهذه المرونة .

ولسنا نقصد أن نقول إن العلماء هم أكثر الناس تفتحاً في العقل ، فإن العالم قد يكون متفتح العقل في ميدان دراسته الخاصة ، ولكنه مغلق العقل تماماً في ميادين أخرى ، ولكن يمكن القول بصفة عامة إن الفكرة القائلة بأهمية العقل المتفتح قد نشأت أساساً في تأثير الاكتشافات العلمية الجديدة في القرون الخمسة الأخيرة . فلقد توصل العلماء إلى طرق أساسية للحصول على الحقائق وتفسيرها . وقد أخذت هذه الأفكار تمتد بسرعة إلى ميادين أخرى من المعرفة إلى حياتنا اليومية .

لقد رأينا أن الصدمة التي أصابت الإنسان ، إذا اكتشف أن الأرض ليست مركزاً للكون ، قد فتحت عقله على أفكار جديدة عن العالم الطبيعي وصلته به ، ولقد تأثرت القيم الأساسية نتيجة لذلك تأثراً كبيراً . وهناك ثورة مشابهة في التفكير تحدث الآن في العالم أجمع بعد أن حطمت للطائرة والليفون واللاسلكي والتليفزيون حواجز الزمان والمسكان بين الأمم .

لقد أخذ الناس المنعزلون في مختلف أنحاء العالم يصيبحون على صلة بما يجري في كل مكان على ظهر البسيطة ، وأخذت الحقائق الجديدة تتحدى الآراء الثابتة ، وأخذت الآراء تتغير تغيرات أساسية في بعض الأحيان . ومن الواضح أن

استعداد الناس لأن يفتحوا عقولهم ويغيروا آراءهم يمكن أن يلعب دوراً هاماً في تمهيد الطريق للمستقبل .

ماول أنه تحمل هذه المسكلات

(الإجابات في آخر الكتاب)

١ - اقرأ كلا من العبارات الآتية وبين أيها آراء وأيها حقائق يمكن التثبت منها بسهولة . إذا كانت العبارات مجرد آراء بين لماذا تعتبرها كذلك :

(أ) إن الأجانب قذرون ، كثيرو الصخب وهم يملأون السجون - إن كل من في هذه المدينة يتفق معي في ذلك .

(ب) الدولار يساوي مائة سنت .

(ج) ضع نقودك دائماً في البنك وإياك أن تستثمر أموالك في الأوراق المالية وإلا خسرتها جميعاً لو هبطت الأسعار هبوطاً فجائياً .

(د) جميع المدن مزدهرة قادرة وإني لأفضل الحياة في الريف دائماً .

(هـ) إن سيارة (برونشو) هي السيارة الوحيدة التي تسارى ما يدفع فيها من ثمن .

(ز) لا بد أن هذا الشخص الذي يركب السيارة «الاسبور» الحمراء هو «سام دروبليف» فهو الوحيد في هذه البلدة الذي يملك سيارة كهذه .

٢ - كيف تلتقد طريقة التفكير في العبارات الآتية :

(أ) وجه مخبر صحفي السؤال الآتي إلى عدد من الناس : (أجب على الفتاة المثقفة أن تخفى عليها ؟) فكان رد الطالب «بيت س» : «إذا كانت تريد أن تحصل على موعد لقاء معي فخير لها أن تغلق فاهها ، فمن ذا الذي يريد أن يصاحب

فتاة مثقفة ؟ إننى أبعى المتعة فى هذه الحياة ، ولست أود أن أستمع إلى فتاتى تهيب على مسامعى أحدث الآراء فى موضوع ما ، فإنى أحصل من المدرسة على ما يكفى من هذه الآراء .

(ب) ظهر السؤال والجواب الآتيان فى الباب الذى تحرره (جودى دون) فى إحدى الصحف ، وهو باب مهمته أن يسدى النصيح إلى الناس فى مشكلاتهم :

عزيزى جودى

تزوجت منذ تسع سنوات رجلاً يصير بأسنانه وهو نائم ولقد تحملت منه هذا بصبر عظيم ، ولكن صرير أسنانه يصبح أحياناً فظيماً لا يطاق ، فاضطر إلى النوم على الأريكة . وهو يدعى أن الأمر كله مجرد خيال منى ، ولكنى أعرف أنه ليس كذلك . أهنالك علاج لهذه الحالة ؟ أتظنين أن طبيب الأسنان يمكن أن يفيد فى هذه الحالة ؟ أهنالك حالات مشابهة لحالتى هذه ؟ ألا يستطيع أحد مساعدتى ؟

« مارجى »

عزيزى مارجى

لست أعرف ماذا يستطيع طبيب الأسنان أن يفعل سوى أن يخلع لزوجك أسنانه . فالحل الوحيد هو أن تنامى بمفردك ، أو أن تعتادى احتمال صرير أسنانه .

« جودى »

(ج) نشر الآتى فى باب « رسائل إلى المحرر » فى إحدى الصحف

عزيزى المحرر :

لماذا يصير الآباء والأمهات على أن يشغل أطفالهم مقاعد فى الأنوييس والقطارات التى تجرى تحت الأرض ؟ إنهم لا يدفعون

أجوراً لركوب هؤلاء الأطفال. فلماذا يحرم شخص مغفل دفع ١٥ سنتاً أجراً لمقعده من أن يجلس في هذا المقعد؟ عليكم أيها الآباء والأمهات أن تحملوا أطفالكم في حجوركم، فهي مكانهم الطبيعي .
(واقف)

(د) العبارة التالية قالها زعيم سياسي . كيف ينتقده منافس له ؟

« لا يمكن أن نتهاون في شأن تعليم شبابنا ، ولكن الطريق الصحيح إلى تثقيف العقول لا يكون بإنفاق أموال الدولة . إن عملية التربية والتعليم يجب أساساً أن تكون مسئولية محلية وشخصية ولا يمكن تنميتها فجأة باتخاذ إجراء من الحكومة المركزية ، .

الفصل الثامن

تشكيل الآراء

من الضروري للناس في البلاد الديمقراطية أن تكون لهم آراء في كثير من مسائل الحياة اليومية الهامة . فمثلا : هل الضرائب فادحة ؟ أم منخفضة ؟ هل المدارس تؤدي عملها بكفاية ؟ أو هل يمكن أن تؤديه بكفاية أكبر ؟ أيجب علينا أن ننفق أموالا أكثر على القنابل الذرية - أم أن ننفق أموالا أقل ؟ أيجب أن نعطي أصواتنا للمرشح (ج) أو (د) ؟

ومادامت الحقائق مرغوبا فيها لتكوين الآراء فلا بد لنا من عدة مصادر ملائمة نحصل منها على تلك الحقائق . وتقوم بهذه المهمة (مهمة المصادر) الصحف والمجلات والكتب ومحطات الإذاعة والتليفزيون . كما أن الناس ، إلى حد ما ، يحصلون على الحقائق بطريق مباشر ، وذلك بالسفر إلى البلاد الأجنبية ، كما أن أعداد الزائرين الأجانب المتزايدة تعتبر مصادر هامة للمعلومات قد أخذت تؤثر في آرائنا .

ويرى الكثيرون أن الوسائل المختلفة لتشكيل الآراء لا يزال ينقصها الكثير لتؤدي عملها على أكمل وجه . ورغم ذلك فإن لدينا الكثير من المصادر الجيدة للحصول على الحقائق ، فإن الفرص التي تمكننا من الحصول على معلومات عن سائر بلاد العالم خير بكثير مما كان متاحا منذ قرون قليلة ، أو حتى منذ خمسين عاما .

على أنه من المهم للناس أن يفحصوا مصادر المعلومات بعين ناقدة . وإذا كانت هناك صحيفة تفضل قراءها في موضوع معين ، فإن هذا لا يعني القارئ تماما من مسئولية الحصول على معلومات أخرى ، ومن النظر نظرة ناقدة في كل ما يرى فيه تشويها للحقائق .

مقارنة بين صحيفتين

فلنفحص الوسائل التي تستخدمها بعض هذه المصادر لتكوين الرأي العام .
ولقد اخترنا للدراسة ما نشرته صحيفتان تصدران في مدينة معينة في الأسبوع
السابق لانتخاب رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٠ ، ونرمز إلى إحدى الصحيفتين
بحرف (ك) لأنها كانت تؤيد كنيدي ، ونرمز إلى الصحيفة الثانية بالحرف (ن)
لأنها كانت تؤيد نيكسون . إن التحليل الدقيق للصحيفتين قد أظهر الفروق
الآتية بينهما في معاملة المرشحين :

خصصت الصحيفة (ك) مساحة كبيرة من صفحاتها الأولى ، والصفحتين
الثانية والثالثة بكاملهما عن قرض قدمته شركة طيران لشقيق نيكسون . وبالرغم
من أن الصحيفة (ك) لم تجد أية صلة بين هذا الموضوع وبين نيكسون نفسه إلا
أنها جعلت هذا الموضوع خبرها الأساسي لعدة أيام ووضعت له عناوين كبيرة
كمذه :

الكشف عن اتفاق لحماية المسؤولين عن قرضه هبوز — نيكسون

(لاحظ أنه هذا التبا لا يشير إلى المرشح بل إلى شقيقه)

شريك نيكسون الرئيسي هو مستشار هبوز

مجلس النواب بحث في قرضه نيكسون (لم يتحقق هذا تماماً)

إنه لن يبا المحقق عن المحسوبة بالنسبة لهبوز

وفي نفس الوقت لم تنشر صحيفة (ن) كلمة واحدة عن القرض ، ولا كتبها
بدلاً من ذلك نشرت صوراً باسمه للرئيس ايزنهاور ونيكسون على الصفحة الأولى
لمدة أربعة أيام خلال الأسبوع ، وكانت العناوين الرئيسية كالآتي :

أليك (إيزنهاور) هنا

مؤتمر ماغل لايك ونيكسون

أليك ينضم إلى نيكسون في زحف كبير اليوم

الحفاوة بأليك ونيكسون

ومن الناحية الأخرى تجد أن صحيفة (ك) في الأيام التي لم تنشر فيها في صفحتها الأولى عنوانا رئيسيا يهاجم نيكسون بشأن القرض — قد نشرت عناوين مؤيدة لكيندي. وفي كل من الصحيفتين كانت المقالات في الأغلب في صالح المرشح الذي تؤيده وضد منافسه ولم تكن بعض الأنباء التي نشرت فيهما محايدة نسبياً. وحتى الأخبار الصغيرة بولغ في أهميتها، فمثلا نشرت صحيفة (ك) مقالا عنوانه:

أنه نثار الورق بقرم دونه مقابل — ولكن من الذي دفع الثمن؟

ويظهر أن نثار الورق كان قد وزع دون مقابل على سكان المنازل الواقعة على جانبي الطريق الذي كان نيكسون وإيزنهاور سيمران به، وقد خصص لهذه المسألة التافهة جزء كبير من فراغ الصحيفة.

وأما جريدة (ن) فقد أجرت استفتاء خاصا من بيت إلى بيت في كل أنحاء الولاية، وقد ضايقها ما ظهر لها من أن كفة كيندي هي الراجحة. ولهذا فإن نبأ هذا الاستفتاء قد جرى تحويره للتخفيف من وطأته، فكان العنوان يوما ما:

استفتاء اليوم في إقليم جوب يدل على أنه ثلاث مقاطعات تؤيد نيكسون

ألم يكن هذا طبيعيا ومنتظرا في إقليم جوب الجمهوري؟

وفي مناسبة أخرى كانت صحيفة (ك) بصدد استفتاء آخر جاء مؤيدا تأييدا كبيرا لكيندي فحورت الخبر إلى سباق متسكافي بين المرشحين بعنوان:

النتيجة ٣ : ٣ في نيوانجلاند . واتضح بعد القراءة الفاحصة للمقال أن الولايات الثلاث المؤيدة لكينيدي تملك ٢٨ صوتاً انتخابياً ، أما الولايات الثلاث المؤيدة لنيكسون فلا تملك إلا ١٢ صوتاً انتخابياً .

وكان العنوان الرئيسي في يوم آخر : مقاطعة لارثن تؤيد كينيدي ، ولكن نيكسون يكتسح الولاية . وقد اعتمد الجزء الأخير من هذا العنوان على أن نسبة الأصوات المؤيدة لكينيدي قد انخفضت في ذلك اليوم من ٥٦.٢٪ إلى ٦٥.١٪ . وهو انخفاض يكاد لا يؤبه له . وفي اليوم التالي ارتفعت نسبة كينيدي إلى أكثر من ٥٦.٢٪ . الأصلية ولكن هذه الصحيفة لم تجد أن هذا الارتفاع جدير بالتفاتها .

وقد استغلت الصور في كل من الصحيفتين بعدة وسائل ، فنشرت صحيفة (ك) صوراً أكثر لكينيدي ، وهي دائماً باسمه ، وصوراً قليلة لنيكسون ولم يكن تعبير وجهه فيها مما يسر ، وفعلت صحيفة (ن) عكس هذا بالضبط .

المقارنات الرئيسية :

وفي الصفحة المخصصة للمقال الرئيسي أيدت كل جريدة مرشحها وهاجمت منافسه ؛ فمثلاً هاجمت صحيفة (ك) نيكسون لأنه لم يوافق على مناظرة خاصة بينه وبين منافسه في التليفزيون (رغم أنه سبق أن أجريت أربع مناظرات) وسخرت الجريدة من نيكسون لتأييد أيزنهاور له وعرضت الموضوع بشكل يوحى أن نيكسون كالولد الصغير يتلقى العون من أبيه .

وفي نفس الوقت تساءلت صحيفة (ن) عن مدى صلاحية كينيدي لرياسة الجمهورية بالنظر إلى مرضه ، وطالبته بأن ينشر تقريراً طبياً بشأن إشاعة مؤداها أنه كان قد أصيب بمرض آديسون (مرض من أمراض فقر الدم) ، ولكي تظهر الجريدة بمظهر عدم التحيز طالبت بتقرير مشابه عن حالة رغبة نيكسون ، وكانت قد حدثت لها إصابة خفيفة قبل ذلك بضعة أسابيع . ونشرت الجريدة أفواالا طويلة لشخص مجهول تماماً من أنصار كينيدي السابقين يبين فيها لماذا عدل عن تأييد كينيدي واتجه إلى نيكسون . وهاجمت الجريدة أنصار كينيدي بمثل هذه العبارات :

« إن الكندي مجموعة ممتازة من الأصدقاء المقربين . ولنا فني بصفة خاصة فرانك سيناترا و (جماعة الفران) فإن مثل هؤلاء الأصدقاء سيثير السمعة أكثر مما هم خطرون . »

ترى ماذا كانت الجريدة تقول لو أن سيناترا كان مؤيداً لنيكسون ؟

وهناك مقال افتتاحي ذو أهمية خاصة يفهم منه أن مؤيدي كندي يعملون على إيجاد حالة من السكساد حتى ينفذ الناس عن نيكسون وحكومته . وسناقش فيما بعد الدروس الهامة المتصلة بالتفكير التي يمكن تعلمها من هذا المقال الافتتاحي .

وسارت الرسوم الهزلية في كل من الصحيفتين على نفس النهج ؛ فذات يوم نشرت صحيفة (ك) صورة رجل سمى (الولايات المتحدة) راقداً على الأرض بعد أن صدمته وداست عليه سيارة بقودها أيزنهاور ونيكسون . ويحاول كندي الطبيب أن يعين ضحية الحادث على الوقوف، في حين ينظر كل من أيزنهاور ونيكسون غاضبين .

ومن الناحية الأخرى نشرت صحيفة (ن) رسماً هزلياً يمثل حماراً كتب عليه (التشنج السريع) يحمل على ظهره ثلاثة أشخاص يدل منظرهم على الغباء ، وقد كتبت عليهم أسماء كندي وبعض مؤيديه

تحوير القصة

واضح من هذا أن كلا من الصحيفتين كانت تحور أنباءها وآراءها بشكل واضح ، تأييداً للمرشح الذي تناصره ، وهجوماً على المرشح الذي تعارضه

أكان قراء الصحيفتين يدركون هذا التحيز أو الانحراف ؟ لا شك أن بعض القراء كانوا مدركين . وعندما تدافع صحيفة ما بقوة عن موضوع يعارضه عدد كبير من القراء فهي تخاطر بأن تخسر بعضاً منهم . ولكن الناس يشتركون الصحف لعدة أسباب :

للاطلاع على أخبار الرياضة والحزليات والصور والمقالات وبرامج التليفزيون وإعلانات المحال التجارية فضلاً عن الأنباء . وأحياناً تكون الأنباء من أقل محتويات الصحيفة اجتذاباً للقراء . ولهذا فإن عدد القراء الذي ينتظر أن تفقده الجريدة لمعارضته لموقفها من مسألة معينة ليس بالكبير .

وليس لدى معظم الناس الوقت أو الميل للقراءة الناقدة ، أو المقارنة بين الصحف المختلفة كما فعلنا الآن ، ولهذا فإن الناس يميلون إلى يقبلوا ما يقرءون ، ولهذا فإنه يحتمل أن تؤثر الصحيفة فعلاً في الناس فتجعلهم يعطون أصواتهم ويتصرفون ويفكرون كما يشاء لهم المحرر أو الناشر .

لماذا يقبل القراء هذا النوع من التحوير الذي وصفناه ؟ لاشك أنك توافقني على أنه إذا عترض القراء بشدة على مثل هذا التحوير فإن الصحيفة تقطع عنه وعلى الأقل لا تفعله بشكل ظاهر ، ولكن الواقع أن الكثير من الناس يعتادونه ، حتى إنه يصبح شيئاً مألوفاً لديهم كالهواء الذي يستنشقونه . وأما غيرهم فإنهم لا يدركون قط أن هناك أى تحوير .

ويحدث مثل هذا التحوير أو التحيز في كل خطبة أو مقال تقريباً بشأن موضوع يختلف عليه الناس . ولا يمكن تجنب هذا التحيز ، لأن الناس بطبيعتهم الحال سيؤيدون ما يعتقدون أنه خطأ . ولا تزال الشقة بعيدة بيننا وبين عالم يستطيع كل إنسان فيه أن يفحص جميع الجوانب لمسألة معينة ويصل إلى نتائج موضوعية . ويصل كل شخص إلى الحكم على النتائج على أساس اهتماماته وقيمه معتقداته .

فالرجل الذي يدخن ولا يملك سيارة سيغضبه في الغالب فرض ضرائب على (السجائر) وسيؤيد زيادتها على البنزين .

والسيدة التي تقطن منزلاً تقرر هدمه لشق طريق اشتدت الحاجة إليه متعارضة هذا الإجراء بشدة ، وستجد أسباباً مقنعة لأن يخرق الطريق حياً آخر بدلاً من الحى الذى تقطنه .

في حين نرى سيدة أخرى تعيش على بعد ميل واحد من السيدة الأولى أنه شيء عظيم جداً أن يشق طريق مستقيم في وسط المدينة .

ووالد ثلاثة أطفال في سن الالتحاق بالمدارس سيؤيد بشده لإنفاق مزيد من المال على المدارس ، في حين يحتمل أن يعارض الأعزب في فرض ضرائب جديدة لهذا الغرض .

والمفروض في الدول الديمقراطية أن تحاول الجماعات المختلفة من السكان أن تصل إلى حلول سلمية لما بينهما من منازعات عن طريق المناقشة ، وآخر الأمر عن طريق التصويت لانتخاب ممثلين ينفذون إرادتهم . ولهذا فإنه من الضروري لكل مواطن أن يكون يقظاً متنبهاً إلى الأساليب التي تقدم بها المعلومات بحيث تشكل وجهة نظره وتؤثر فيها .

فما هي هذه الأساليب التي تتخذ للتأثير في الرأي العام ؟

« توضيب » ورره اللعب للغشمة به (Card - Stacking)

إن أهم هذه الأساليب ، وهو أسلوب يعتمد على الحقائق الناقصة ، تطلق عليه تسمية مأخوذة من لعبة الورق وهي : (توضيب الورق للغش به) ؛ فالمقامر يحتال ليكسب بأن يرتب مقدماً أوراق اللعب التي في صالحه بحيث تكون أوراقه في دور جيدة جداً وفي دور أخرى رديئة جداً ، وهندئذ تقول : إن أوراق اللعب كانت (مرضية) .

ويمكنك أن تتصور المسألة بالشكل الآتي :

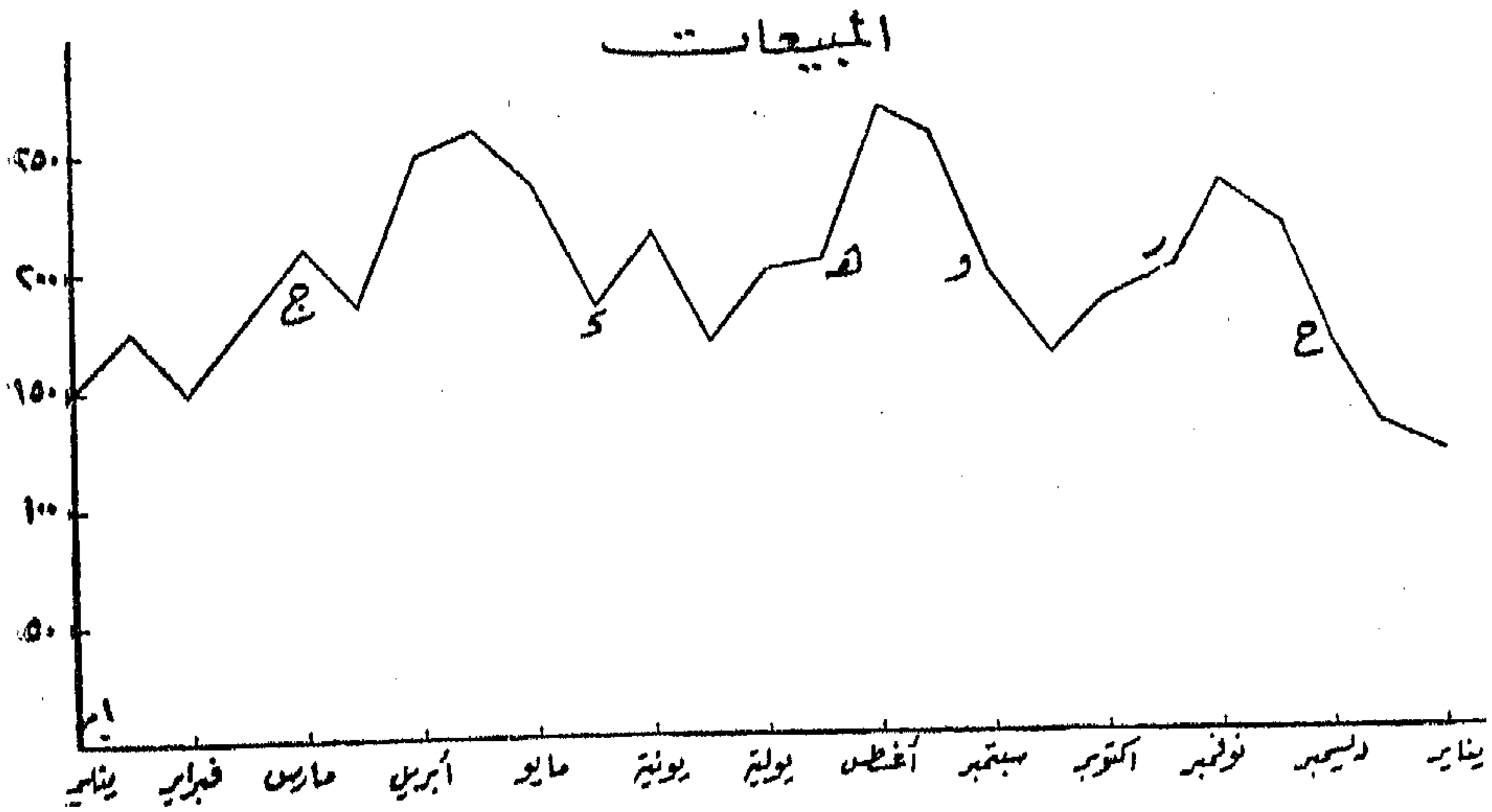
لنفرض أنك تريد أن تثبت لشخص ما لم ير أوراق اللعب في حياته أن الشدة (مجموعة أوراق اللعب) تتكون من الآسات والباشات (الشيايب) والبنات والأولاد دون غيرها . يمكنك بسهولة أن (تثبت) له ذلك بأن ترتب عدة شدات من أوراق اللعب تحوى هذه الأوراق دون غيرها وترتيبها له . وبالطبع إذا كان هذا الشخص الذي تحاول خداعه يعرف الحقائق الناقصة ، ويعرف أن أوراق اللعب (موضبة) ، فإنه لن يقتنع بكلامك بتاتاً ، بل لعله يغضب أشد الغضب لمحاولتك خداعه .

والواقع أن طريقة « توضيب الورق » هي أسلوب يرغب به الشخص ضحاياهم على التسرع في الاستنتاج ، لأن هناك حقائق أساسية أخفيت عنهم . وكثيرا ما يكون الإخفاء غير مقصود ، ولكنه يكون مقصودا في حالات أخرى .

ولقد رأينا كيف استخدم هذا الأسلوب بواسطة صحيفتين أثناء معركة انتخاب رئيس الولايات المتحدة ، فكل منهما نشرت قدرا كبيرا من الأنباء التي في صالح مرشحها ، وقدرا كبيرا من الأنباء التي ليست في صالح منافسه . كما أن مثل هذه الأنباء نشرت في أما كن بارزة في الصحيفة .

وعندما تستغل هذه الطريقة إلى أبعد حدودها تستطيع الصحف المختلفة أن تصل بقراءها إلى نتائج متعارضة تماما على أساس معلومات حقيقية ولكنها ناقصة .

فمثلا في (شكل ١٩) رسم بياني عن النشاط التجاري في سنة ما . وصحيفة



(شكل ١٩)

(شكل ١٩) لكي « تثبت » أن الأحوال المالية في تقدم قدم الحقائق أثناء الفترات ج ، هـ ، ز فقط . ولكي « تثبت » أن الأحوال في هبوط قدم الحقائق في أثناء الفترات د ، و ، ح دون غيرها .

(١) تريد أن تسمى إلى سمعة الإدارة الحكومية ، ولهذا ففي كل مرة يقل فيها النشاط التجاري (في د ، هـ ، ز شكل ١٩) تطبع هذه المعلومات وتُنشر في مكان بارز تحت عنوان كبير فيه هجوم على الحكومة . ومن الناحية الأخرى نجد أن صحيفة (ب) المؤيدة للحكومة لا تنشر أخباراً عن النشاط التجاري إلا في الفترات (ج ، هـ ، و) . وهكذا ، ثبت ، إحدى الصحيفتين أن النشاط التجاري يتحسن ، و د ثبت ، الأخرى أنه يزداد سوءاً ١١ والواقع فعلاً أن النشاط التجاري قد يكون في تحسن ، أو قد يكون سائراً إلى الأسوأ ، وقد يكون ثابتاً على ما هو عليه . ولكني نحصل على صورة حقيقية لا بد من فحص الموقف كله خلال فترة من الزمن .

وتستطيع كل من الصحيفتين — بحق — أن تدعى أنها لم تنشر إلا الحقائق ، ومع ذلك فإن القراء يصلون إلى نتائج متعارضة تماماً . فبغير معرفة الحقائق الناقصة يظل القراء عاجزين عن إصدار أحكام سليمة . ولهذا فقد نسمع جارين متوادين يتناقشان بحدة وعنف في الحقائق ويظن كل منهما أن الآخر إنسان أحمق .

وتلعب العناوين دوراً على جانب كبير من الأهمية في هذه العملية ؛ فالمفروض أن العنوان يانخص قصة الخبر ويبين للقارئ هل الخبر يتصل بموضوع يهمه أم لا ؟ فما الذي يجب على كاتب العناوين أن يختاره ويبرزه من المقال ؟ إن آراءه الخاصة وآراء المحرر والناشر تدخل مباشرة في الصورة ، فهم سيختارون ما يعتقدون أنه صحيح ، وأنه على جانب كبير من الأهمية .

فمثلاً إليك خبراً مختلفاً .. فما هي العناوين التي يمكن أن توضع له ؟

« نوقش في قاعة مجلس المدينة أمس الاقتراح المقدم من العمدة بوتر بشأن بناء المدرسة الجديدة . »

وقد هاجم فرانك كارتر رئيس جمعية سكان شارع سنيسكا هذا الاقتراح هجوماً عنيفاً ، لأن فيه إهداراً لحقوق نحو مائة

سا كن ستهدم مساكنهم لإفساح مكان للدرسة ، وأعلن أن هناك أرضاً فضاء واسعة في الطرف الشرقى من المدينة ، وأن تكاليف بناء المدرسة على هذه الأرض الفضاء أقل بكثير وإن يفقد أحد بيته ، وقال إنه لمن العار أن يتقدم العمدة بهذا الاقتراح .

وتبعته مسز آى شنايدر رئيسة جمعية معلمات المدارس الابتدائية فقالت إن المستر كارتر يعلم جيداً أن أطفالنا لا يمكنهم أن يمشوا ميلين كل يوم للوصول إلى الطرف الشرقى من المدينة ، وتساءلت عما إذا كان مستعداً أن يدفع أجور السيارات التى ستلزم لنقل ستمائة طفل كل يوم ونختمت أقوالها بأن قالت إن هذا اقتراح سخيف .

واليك الآن بعض العناوين التى يمكن أن توضع لهذا الخبر البسيط :

— الهجوم على اقتراح العمدة باعتباره اقتراحاً مخجلاً .

— كارتر يوصف بالسخيف .

— مائة ساكن ينقلون من مساكنهم .

— اقتراح بناء مدرسة جديدة لستمائة طفل

— كارتر يقترح أن يمشى صغار الأطفال ميلين .

— شنايدر يهاجم كارتر .

— كارتر يهاجم العمدة .

— هجوم على العمدة .

— مناقشة اقتراح بناء مدرسة .

إن العنوان الأخير (مناقشة اقتراح بناء مدرسة) عنوان موضوعى تماماً يستحق مزيداً من الاهتمام : فكم من الناس — فيما عدا أولئك الذين يهتمون اهتماماً خاصاً بالمدارس — سيدعوم هذا العنوان إلى قراءة الخبر ؟ إن العنوان خال تماماً من عنصر التشويق مما سيدفع الكثيرين من القراء إلى إغفال الخبر

ليقرأوا شيئاً أكثر تشويقاً، وهكذا نجد أن إحدى الوسائل التي تلجأ إليها الصحف لتدفن الخبر هي أن تعطيه عنواناً مملاً جافاً بحيث لا يقرؤه إلا القليلون من الناس .

وهناك وسائل أخرى للتوضيب الأوراق ؛ فمثلاً يستطيع محرر الجريدة أن يمهّد إلى أحسن كتّابه بأن يعالج قصة خبر يريد أن يبرزه ، وأن يكلف محرراً ناشئاً قليل الخبرة بأن يعالج وجهة النظر المعارضة .

ومعظم الناس ، بما فيهم الكتّاب والمحررون ومعلقو الإذاعة وغيرهم ممن يشكلون الرأي العام ، كثيراً ما يجهلون أنهم يمارسون هذه العملية — عملية التوضيب . إن لهم آراءهم الخاصة التي يعتقدون في صوابها ، وهم كغيرهم من الناس يميلون للاعتقاد أنهم يعرفون الحقائق ، وأن معارضتهم لا يعرفون . والنتيجة أنهم حتى لو حاولوا أن يكونوا منصفين فإنهم يميلون ميلاً شديداً إلى الكتابة والتعليق على الحقائق كما يرونها ، وأن يتفاضوا عن الأنباء غير المحبذة لآرائهم ، إذ يعتقدون أنها متحيزة ولا يمكن الاعتماد عليها .

ولا يدرك الناس عادة عملية التوضيب حتى عندما يتأثرون بها أشد التأثير . فكل شخص مجموعة محددة من الخبرات في البيئة الخاصة التي يشب فيها ، وهو يحمل هذه المجموعة من الخبرات معه أينما ذهب ، ويعيش كل شخص وكل شيء على أساس هذه الخبرات الماضية . ولهذا فإن كل إنسان يقوم بهذه العملية — عملية التوضيب — في عقله .

وهكذا يلعب القارئ (أو المستمع) دوراً في عملية التوضيب ؛ فهو يختار ما يعتقد أن قراءته هامة ، أي الأشياء التي يهتم بها ، ويهمل الباقي . ونتيجة لما يحدث في عقول الكتّاب والقراء والمحاضرين والمستمعين من انتقاء واستبعاد تنمو أفكار معينة وتكون لنفسها جذوراً ثابتة . وتميل هذه الأفكار فيما بعد إلى تثبيت نفسها بأن تقرر ما يختار القراء من الأخبار وغيرها من المواد المكتوبة . وهكذا نقوى باستمرار تلك الأفكار المألوفة لنا والتي نميل إليها ونرفض الأفكار التي نكرها أو الأفكار التي ليست مألوفة لنا . وهكذا قد يشب شعب بأسره

معتقاً أفكاراً مشوهة تشويهاً كبيراً عن غيره من الشعوب وعن الأحداث البعيدة .

ويحدث نفس الشيء عندما يتحدث الناس عن أقاربهم ومدارسهم وأصدقائهم والمدينة التي يعيشون فيها والحزب السياسي الذي يفتنون إليه أو أي مظهر آخر من مظاهر حياتهم .

ومن الأمثلة الشائعة على الطريقة التي تقرر بها خبرات الشخص وموقفه لزام الآخرين ما نقرأه في القصة التالية عن مقابلة بين سانج أمريكي وكهل إيراني (نقلاً بتصرف عن مقال عنوانه « آراء غريبة عنا من بلاد بعيدة » لبيجي ويير ستريت في مجلة نيويورك تايمز عدد ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٦٠) .

قال الإيراني الهرم : أعندكم مصابيح د جاز ، كيروسين في أمريكا ؟

قال الأمريكي : إن القليلين جداً في بلادنا يستخدمون د مصابيح الكيروسين ، .

فدهش الكهل وهز رأسه أسفاً على مثل هذا البلد المتأخر .

لقد كان د مصباح الكيروسين ، يمثل في نظره أحدث ما وصل إليه فن الإضاءة ، وفي رأيه أن أية أمة لم تحرز هذا التقدم الهام في ذلك الفن تعتبر متخلفة . ولو أنك زرت هذا الإيراني نفسه فربما دهشت من كثير من طادانه ومواقفه لأنها تختلف اختلافاً كبيراً عما تعتبره عادياً لا ثقاً .

ومن الأساليب الأخرى الشائعة لتوضيب الورق اقتباس عبارة وانتزاعها من السياق التي وردت فيه . تأمل هذه المقتطفات من تعليق على أحد الأفلام :

« تقول مجلة (نرند) إن هذا الفيلم « رائع » ، و « إن فيه من المواهب ما يساري ملايين الدولارات ... أحداثه واقعية بشكل ممتاز ... تصويره بلغ القمة ... مناظره رائعة ... » .

ويؤخذ من هذا أن مجلة (ترند) قد علقت على هذا الفيلم تعليقاً يفيض بالإعجاب والحماسة . ولكن لعل ما ذكرته المجلة هو الآتي :

« إن هذا الفيلم رائع ؛ إذ أنه يوضح لنا كيف تستطيع هوليوود أن تجمع من المواهب ما يساوي ملايين الدولارات ، وأن تخلق أحداثاً واقعية بشكل ممتاز وأن تستخدم مصورين بلغوا القمة ليصوروا مناظر رائعة ثم تضيع كل هذا في قصة تافهة هزيلة ، حتى لقد اضطررنا إلى مغادرة السينما في وسط العرض ، » .

إن العبارات التي انتزعت من سياقها تترك أثراً مضاداً على طول الخط للأثر الذي قصد إليه كاتب التعليق . ومع هذا فإن الشخص الذي انتقى هذه العبارات يستطيع أن يدعي أنه لم يفعل شيئاً سوى أنه اقتبس ما ورد في التعليق ، فهو لم يأت بأية كلمة أو عبارة من عنده .

إن هذه الطريقة هي أساساً أحد أساليب « التوضيب » ، لأن منتقى المقطعات لا يختار من الألفاظ والعبارات إلا ما يلائم غرضه ، ويستبعد تلك الألفاظ والعبارات التي لا تساعد على تحقيقه .

وفي المثال السابق الذكر نلاحظ أن المفردات والعبارات قد انتزعت من سياقها لتكوين الأثر الزائف المطلوب . ويحدث أحياناً أن تقتبس جملة كاملة أو فقرات ، بل فصول كاملة لتترك أثراً تختلف تماماً عما قصد منها . تأمل على سبيل المثال العبارة الآتية التي ذكرت في مناسبة انتخاب عمدة لإحدى المدن :

بعد أن استعرض وليام س. بفورد مدير كلية كانالبا مؤهلات المرشحين لمنصب العمدة قال : « أعتقد أن هود كنز رجل أمين ، وأنه مملوء خبرة على ما فيه صالح المدينة » .

« ونحن نوافق على هذا ، ولهذا فإننا ندعوك إلى أن تعطى صوتك إلى هود كنز عندما تدخل قاعة الانتخاب غداً ، » .

ويخيل إلى الإنسان أن ما ذكره بفورد يؤيد تماماً انتخاب هود كنز . ورغم هذا فربما كان بفورد قد قال :

د أعتقد أن هودكنز رجل أمين وأنه مملوء غيرة على مافيه صلاح المدينة .
ولإن مدينتنا لنى حاجة إلى هذه الصفات فيمن يتولى عمديتها . ولكنها تحتاج أيضا
إلى رجل بعيد النظر واسع الخيال يملك الشجاعة الكافية للدفاع عن الأفكار
الجديدة . وبغير ذلك فسيستمر هروب المصانع من مدينتنا وستزداد أحيائنا
الفقيرة اتساعا ويتطرق الفساد إلى مدارسنا .

ولإنى أعتقد أن د كريتون ، يملك هذه الصفات ولهذا فإنى ، أوصى إخوانى
المواطنين بأن ينتخبوه عمدة .

إن أولئك الذين يتصفون بال موضوعية وعدم التحيز هم أكثر الناس تعرضا
لأن يكونوا ضحايا مثل هذا الاقتباس المتزع من سياقه ، ذلك أنهم يميلون إلى
أن يفحصوا وجهى المسألة ، وأن يعلقوا تعليقا محبذا لبعض نواحي وجهة النظر
التي قد يعارضونها فى جملتها . وعندئذ يكون من أبسط الأمور على منافسيهم أن
ينتزعوا تلك العبارات المحبذة من السياق الذى وردت فيه .

أما إذا لم يذكر شيء محبذ بصدد الآراء المعارض عليها فإن الاقتباس يكون
عندئذ عسيرا أو مستحيلا بغير تغيير الالفاظ .

وبعبارة أخرى فإن الشخص الذى يتوقع أن يقوم الآخرون بالاقتباس منه
اقتباسا منتزعا من السياق قد يضطر اضطرارا إلى توضيب ، عباراته .
وهذا يفسر ما نلاحظه من تحيز واضح فى معظم الخطب التى تلقى أثناء المعارك
السياسية .

ومما يساعد فى تجنب آثار هذه الوسيلة أن نتخذ موقف الناقد المدقق لإزام
الاقتباسات بصفة عامة ، فيجب ألا ينظر إليها باعتبارها بمثابة تماما لما قاله الشخص
المنقولة عنه ، كما يجب أن يتذكر القارئ دائما أن العبارة المقتبسة ربما كانت قد
انتزعت انتزاعاً من السياق ، وأن الأصل الذى انتزعت منه قد يكون مختلفا عن
العبارة المقتبسة اختلافا كبيرا ، بل قد يكون مخالفا لها تماما .

وربما كان من المتعذر على الناس أن يتجنبوا هذه العملية (عملية التوضيب)
تجنباً كاملاً ، ولكن يمكن التقليل من أثرها فى تفكيرنا إلى حد كبير إذا فهمها الناس

وأدركوا كيف تحدث أثرها . كيف يستطيع الإنسان العادي أن يقلل من أثر هذه العملية ؟ يجب عليه أولاً أن يدرك أنها صفة تلازم — إلى حد ما — معظم الناس ، ومعظم الصحف والمعلقين ومصادر الأنباء ، ولكن بعض مصادر الأنباء تسرف في استخدام هذه الوسيلة ، على حين يبذل بعضها الآخر جهداً ليكون نزيهاً محايداً .

وعندما تقرأ صحيفة لاحظ ما إذا كانت الصحيفة تعرض الآراء المتعارضة حتى يستطيع القارئ أن يصدر أحكاماً أقرب إلى الصواب . إن بعض الصحف تنشر مقالات وخطباً لأناس يعتقدون آراء متباينة في الموضوع الواحد ، وبعضها الآخر لا ينشر من المقالات إلا ما يؤيد آراء رئيس التحرير . لاحظ أيضاً هل تكتب المقالات بشكل موضوعي يقدم الحقائق ، أم أنها تصاغ بأسلوب صحفي خاص يقصد منه التأثير في تفكير القراء ؟ ومن الواضح أنه من الصعوبة بمكان أن نحدد مقدار الموضوعية في صحيفة ما ، ولكن بعض الجهد يجب أن يبذل في هذا السبيل .

ومن المهم أن نقرأ وأن نستمع إلى عدة مصادر مختلفة للأنباء ، وبهذه الطريقة يمكننا أن نحصل على الحقائق الأساسية الناقصة المتصلة بالنواحي المختلفة لموضوع ما .

ويجب أن يحتفظ الإنسان بعقله مفتوحاً حتى يمكنه أن يتأمل الحقائق من كلا الجانبين ، فليس مما يعيننا في الوصول إلى أحكام أن ننظر إلى وجهتي نظر متعارضتين بعد أن نكون قد كونا رأينا من قبل . فإن من يفعل ذلك سيوافق على ما يعتقد فيه ويرفض ما سبق له أن قرر خطأه أو فسادَه .

إن عالمنا الحديث معقد أشد التعقيد . وإن أفكار الناس عن العالم والأحداث التي تقع فيه ناقصة جداً ، وتطراً التغيرات بسرعة كبيرة ، ولهذا فقد يحدث أن الأفكار التي كانت مكروهة من الناس منذ بضع عشرات من السنين تصبح مقبولة بل ضرورية اليوم ، كما أن الآراء التي كان يظن فيما مضى أنها صالحة للتطبيق في كل العصور قد يشهد عدم صلاحيتها للتطبيق اليوم .

تأمل على سبيل المثال هذه الحقيقة : في العشرينيات من القرن الحالى كان يعتبر مما يتنافى مع الآداب العامة أن يذهب الإنسان الاستحمام فى البحر دون أن يغطى النصف الأعلى من جسمه . (شكل ٢٠) وفى الثلاثينيات عندما بدأ الرجال يكتبون بالسر والقصير كلباس للبحر قبض على الكثيرين منهم على الشواطئ بحجة خروجهم على قواعد الاحتشام . أما اليوم فإن التزيى بهذا الزى قد أصبح شيئاً عادياً تماماً .

ومنذ عهد غير بعيد كان من المستحسن أن تدخن المرأة أو تستعمل أحر الشفاه ، وأما اليوم فيعتبر هذا المسلك مقبولا لدى عدد كبير من الناس .

وفى ميدان الآراء السياسية كان الكثيرون من الناس البارزين يهاجمون فكرة الضمان الاجتماعى عندما ظهرت بشكل عملى لأول مرة فى الثلاثينات من هذا القرن ، وأما اليوم فقليلون من يعارضون فى ذلك . وقبل الحرب العالمية الثانية انزعج الكثيرون من الناس عندما زادت ميزانية حكومة الولايات المتحدة

— ١٩٢٠ —



(شكل ٢٠)

(شكل ٢٠) إننا نعيش فى عصر تتغير فيه الاتجاهات بسرعة كبيرة فى العشرينيات من هذا القرن . كان يقبض على الرجال إذا خلعوا الجزء العلوى من لباس الاستحمام . وأما اليوم فإننا نضحك لورأينا رجلاً يرتدى لباس استحمام ذا جزء علوى .

على بليون دولار ، وأما اليوم فإن الناس يتقبلون ميراثية تبلغ تسعين بليوناً من الدولارات دون اعتراض .

ونظراً إلى مثل هذه التغيرات السريعة لابد للناس أن يتعلموا المرونة وأن يفكروا ملياً في الآراء الجديدة والآراء القديمة على السواء ، بشكل موضوعي . وبأقل ما يمكن من الانفعال العاطفي .

طريقة (متى كففت عن ضرب زوجتك ؟)

في جزء سابق من هذا الفصل ذكرنا أن صحيفة (ن) قد لمحت في مقال رئيسي بها إلى أن مؤيدي كنيدي كانوا يحارلون كسب الأصوات عن طريق طرح ما لديهم من الأوراق المالية للبيع ليسببوا نكسة مالية . ونص العبارة يستحق الدراسة لأنه يوضح عدة أساليب هامة من أساليب تكوير الرأي العام :

« أتصدقون أيها السادة هذه الأقوال المشائمة إلى حد أن تبيعوا مقاديراً كبيراً من أوراقكم المالية ؟ أليسكم تبيعونها لتسببوا نزولاً في أسعارها في السوق ؟ أم أنكم تحتفظون بما لديكم من هذه الأوراق لأنكم لاتصدقون نبوءاتكم عن النكسة والكساد ؟ »

يوضح هذا مزيجاً من ثلاثة أساليب يمكن أن يسمى أحدها « بحيلة ضرب الزوجة » ، فيقول رجل لآخر: متى كففت عن ضرب زوجتك ؟ وربما كان الشخص المتهم بهذه التهمة يحب زوجته حباً بالغاً ، ولقد تروعه فكرة ضرب زوجته ، ولكن كيف يجيب عن هذا السؤال ؟ لابد من إجابة ماهرة تلغى أثراً ما أوحى به السؤال من أنه كان يضرب زوجته ، وإلا فانه قد كف عن ذلك .

إن مجرد شكل السؤال يجعل المسئول يهبط في الحال للدفاع عن نفسه . ويميل معظم الناس بمجرد سماعهم هذا السؤال إلى النفور من هذا الوحش الذي كان يضرب زوجته . وحتى قبل أن يجيب المتهم عن السؤال فإن المستمعين يميلون إلى أن ينحازوا ضده . فإذا أجاب بقوله « لم أفعل » ، قاصداً أنه لم يضرب زوجته

قط ، فقد يفهم السامعون من إجابته أنه لم يكف عن ضربها ، وأنه مازال يضربها
أما إذا قال (لم أضربها قط) فقد يتشكك السامعون في إجابته . فهم يقولون
لأنفسهم : « ما الداعي إلى توجيه هذا السؤال إليه لو لم يكن له نصيب من الصحة
وإذا كان لم يضرب زوجته فصلا فاعلمه قد أساء معاملتها بطريقة أخرى » .

أما إذا لم يجب لأن هذا السؤال الظالم قد أثار حنقه فقد يتساءل الناس : لماذا
لزم الصمت ؟ ونساورهم الظنون في براءته من التهمة ، فإذا صفع السائل على وجهه
فقد يفهم بعض الناس من ذلك أنه رجل فظ ، وأنه من الممكن جداً أن يكون
قد ضرب زوجته .

ويغرم مهرة المحامين بإخراج الشهود بتوجيه مثل هذه الأسئلة إليهم .
وقد فعلت جريدة (ن) نفس الشيء إذ سألت قراءها : « أتصدقون أيها
السادة هذه الأقوال المتشائمة إلى حد أن تبيعوا مقادير أكبر من أوراقكم المالية ؟ »
فإن مجرد إثارة هذا السؤال بهذا الشكل يوحى بأنه مبنى على الحقائق . وسيميل
أغلب القراء إلى الاعتقاد أنه كذلك فعلاً .

وبالنسبة لبعض القراء سيصبح مجرد الإيحاء حقيقة ، لاسيما إذا كانوا ميالين
إلى تحييد الفكرة المعروضة . وأما إنكار الاتهام فسيكون موضع الريبة ، بل إنه
قد يتخذ دليلاً على صحة التهمة ، وتعتمد الصحف في بعض الأحيان على أن تعالج
الأفكار بطريقة تزيد التهمة الأصيلة رسوخاً .

ولذلك الآن طريقة أخرى يمكن أن نسميها بطريقة البندقية التي تصيب هدفين
متضادين في نفس الوقت : تأمل هذه العبارة : « أم أنكم تحتفظون بما لديكم
من هذه الأوراق لأنكم لا تصدقون نبوءاتكم عن النكسة والكساد ؟ » إنك ترى
هنا نفس الحيلة السابقة الذكر — حيلة ضرب الزوجة — تؤدي عملها ، ولكن
بالإضافة إلى ذلك لاحظ أن هذه العبارة هي عكس سابقتها . « فالجريدة تعني هنا
أن أنصار كنيدي لا يبيعون أوراقهم المالية ، لأنهم لا يصدقون ما يقولونه هم
أنفسهم ، ففي الجملة السابقة قالت الجريدة أنهم يبيعون ليجدوا حالة انتكاس
وكساد في السوق . وإذن فسواء أباعوا أو لم يبيعوا فإن بندقية جريدة (ن) تصيب
هدفين متعارضين في نفس الوقت .

وقد استخدمت في هذا المقال الرئيسي طريقة ثالثة لتشكيل الرأي العام ، فالجريدة تقيم إنساناً من القش ثم تلقيه أرضاً . فهي تقول : د أنصدقون أيها السادة هذه الأقوال المثبثة . . . د فن هم هؤلاء السادة ؟ فلو أنك ذهبت إلى كل فرد من الملايين من مؤيدي كنيدي وسألته عما إذا كانت البلاد مقضياً عليها بالتدهور والفناء ، أتراهم كانوا يقولون نعم ؟ لم يكن هذا موقف كنيدي بحال من الأحوال ، وبالطبع لم يكن موقف معظم مؤيديه والواقع أن كنيدي كان يقول : د لقد ساءت الأمور فانتخبوني لأبدأ بكم السير في طريق الانتعاش .

وهكذا تجد أن جريدة دن ، قد أقامت إنساناً من القش بأن عبرت تعبيراً خاطئاً عن موقف جمع مؤيدي كنيدي أو معظمهم . فإذا ما أقيم هذا الإنسان من القش فن السهل أن نلقى به أرضاً ونتخلص منه بقليل من السخرية .

استشارة المواطنين

لنتأمل الفقرات التالية المقتبسة من خطاب ألقاه السيد م . ، وهو زعيم سياسي كانت تهاجمه إحدى جماعات د الإصلاح ، في المدينة هجوماً عنيفاً . فاتهمته بأنه سياسي طاغية ، د وليس يهمناهنا أي الجانبين بحق ، وأيهما مخطئ ، فكل ما يهمننا هو الأساليب التي اتخذت لتشكوين الرأي العام .

فلم يكف منافسو هذا الزعيم السياسي يلقبونه د بالسياسي الطاغية ، حتى اتخذ موقف المدافع ، وقد تضمن دفاعه الأقوال الآتية :

د لقد حان الوقت لأن نجرد المهرجين جماعة الإصلاح من زى الحزب الديمقراطي الذي يستعرضون أنفسهم فيه وانكشف عنهم القناع ليظهروا على حقيقتهم : مشيرى فتنة نفعيين مخدوعين .

إننا نشق تمام الثقة بالعملية الديمقراطية كما تمثلها الانتخابات التمهيدية ، ونحن نترك البت في الأمر لساخبي مدينة ودجود الديمقراطيون الذين لن تضمنهم مؤامرات هذه الفئة أو أساليب اتهاماتها التي تُلطخ الناس بالأحوال .

إن الشعب سيقدر الأمر بنفسه عن طريق الاقتراع ، فالشعب هو السيد الوحيد .

لاحظ هذه الكلمات في هذه الفقرة القصيرة : « مهرجون - نفعيون - مخدوعون - مشيروفتنة » . فن الواضح أنها شتائم ، وهي في الغالب مبالغات مفرطة في المبالغة . ففي هذه المعركة الانتخابية يحتمل أن يكون هناك الكثيرون من الناس الشرفاء الطيبين في كلا الجانبين ، ولقد يكون لكل جانب أسباب وجيهة ، تماماً لتصرفاته ، وقد تكون المعركة الانتخابية شيئاً نافعا للمجتمع لأنها تثير موضوعات للنقاش والجدل ، وترغم الزعماء السياسيين أن يبرروا أفعالهم ، وفضلاً عن ذلك يستطيع الزعيم السياسي إذا كان على حق أن يتقدم إلى الشعب وأن يبين للناس الأعمال الإيجابية التي قام بها .

هل كان منافسو السيد م « مهرجين » نفعيين « مخدوعين » ، « مشيروفتنة » ؟ ربما كان بعضهم كذلك . ولكن يحتمل أن أكثرهم لم يكونوا كذلك وإذن يحتمل أن يكون السيد م . مخطئاً في دماغه منافسيه بهذه الصفات ، ويمكن أن تعتبر هذه الطريقة ، طريقة الشتائم : مظهر من مظاهر أسلوب أعم وأشمل قد نسميه أسلوب استثارة العواطف . وفضلاً عن الشتائم يستخدم السيد م . الألفاظ بحيث يجعل السامع أو القارئ غير الواعي ينحاز ضد منافسيه . انظر فيما تدل عليه هذه التعبيرات التي استخدمها السيد م . « مجرد ، — تشير إلى انتزاع قناع يخفي شيئاً دنيئاً ، انتزاعاً فيه عنف وإثارة عاطفية » الذي يستعرضون فيه أنفسهم ، فهم يختبئون تحت غطاء .

« لنكشف عنهم القناع فيظهروا على حقيقة قبحهم » ، لا تتخذوا بالظواهر — إن مظهرهم طيب ، لكنهم تحت هذا الزى المستعار مشيروفتنة ماكرون .

« مؤامرات » تعني هذه الكلمة خطة خفية غامضة دبرها شيطان يجذب الخيوط من وراء الستار ، في حين تقوم الدمي التي يحركها بما دبره من جرائم .

« أساليب اتهاماتهم التي تلهث الناس بالأوهام » : إن الصورة التي تبعتها هذه العبارة في ذهن القارئ أو السامع هي صورة صبي يعمل ويكدح فتهاجمه جماعة من « الفتوات » ، تلقى عليه بالأوهام .

وهناك أنماط أخرى من وسائل تكوين الرأي العام التي تعتمد على استئثار العواطف . منها التعميمات البراقة التي يستطيع الخطيب أو الكاتب بواسطتها أن يكسو عباراته هذه الألفاظ الذهبية البراقة كالحرية والحق والعدالة والديمقراطية والحرية والإخاء . إن هذه كلمات هامة جداً عندما تستخدم استخداماً صحيحاً للسمو بالإنسانية ، ولكن يمكن أيضاً أن يستخدمها زعم نفسى لا يؤمن بصلاح البشر ليغفل الناس ويفعل بهم ما يشاء . فيجب على الناس أن يرددوا الألفاظ من ملابساتها العاطفية ، وأن يصلوا إلى لب ما يساق من حجج حتى يمكن الحكم على قيمتها مجردة من الألفاظ البراقة التي تكسوها .

طريقة الطبل والزمر وطريقة الشهادات

إن طريقة « الطبل والزمر » طريقة عاطفية أخرى تستخدم للتأثير في الناس فيسير الموكب بطبوله وموسيقاه خلال المدينة ، ويبلغ من تأثير الناس بالطبول والموسيقى أن يقفوا متسلقين عربّة الفرقة الموسيقية وينضموا إلى الموكب .

وخلال المعارك الانتخابية يلجأ الزعماء السياسيون عادة إلى أسلوب الطبل والزمر ويشعر بعض الناس أنه من المهم جداً أن يكونوا في صف الجانب الفائز مهما تكن المسائل المختلف عليها . وكثيراً ما نجد أن الشخص الذي لم يبت برأيه بعد يتلفّت حوله ليرى ما يفعله معظم الناس الآخرين . فإذا استطاع أحد المرشحين أن يوجد شعوراً بأنه الفائز فقد يكون هذا كافياً لأن ينضم إلى موكبه عدد من الناس يكفي لفوزه ، ويتولد هذا الشعور من الخطب والاستعراضات وبغيرها من وسائل الدعاية

وتستخدم طريقة « الشهادات » ، على نطاق واسع للتأثير في الرأي العام . فعندما تتكون هيئة أو جماعة لجمع الأموال لإنفاقها في غرض من أغراض البر ، أو عندما تتكون هيئة لتأييد مرشح ما ، أو لمقارعة القنبلة الذرية ، أو تحييد القنبلة الذرية ، فإن من أول خطواتها أن تعد وتنشر قائمة بالمؤيدين البارزين . ذلك أن الناس الذين لا يعرفون شيئاً عن الهيئة أو الجماعة أو القضية يميلون إلى الحكم بأنها جديرة أو غير جديرة بالتأييد على أساس أسماء مشاهير الناس المرتبطين بها وكثيراً ما تنظم للدعاية أثناء المعارك الانتخابية بحيث تشمل سلسلة من الشهادات التي يقدمها الأشخاص

البارزون ، وذلك بقصد التأثير النفسى فى الجماهير على غرار الأثر الذى يفعله
فيهم الطبل والزمر .

ولأسلوب الشهادات مظاهر إيجابية تماماً ، فهو واحد من الطرق التى تمكن
الناس من أن يفوضوا خلال الحقائق الناقصة ليقرروا ما إذا كان يجدر بهم أن يؤيدوا
الفكرة أو القضية المعروضة أم لا . فإذا رأى لإنسان ما فى قائمة المؤيدين أسماء
أشخاص كثيرين يحترم آراءهم ويشق فى أمانتهم فإنه يكون أكثر ميلاً إلى تأييد الفكرة
أو القضية .

ويمكن بسهولة إساءة استغلال هذا الأسلوب من أساليب تكوين رأى العام .
فكثيراً ما استخدمت أسماء البارزين من الناس دون إذن منهم . ويحدث أحياناً
أن يتصرف بعض الأفراد الذين يقومون بالأعمال اليومية فى الجماعة أو الهيئة
بطريقة لا يرضى عنها البارزون من الناس الذين ظهرت أسماؤهم فى القائمة .

أسلوب تملؤ عامة الشعب

محاول مستخدم هذا الأسلوب أن يوهم الناس الذين يرغب فى التأثير فيهم
بأنه واحد منهم ، فترى الزعيم السياسى ، وقد خلع ستريته وأخذ يصلح إطار سيارته
فى الوقت الذى يلتقط المصورون الصحفيون صورته ، وهو يفعل ذلك . أو قد يسير
فى الشوارع مصافحاً رجل الشارع ، هنا وهناك ومتجاذباً معه أطراف الحديث .
فإذا كان المرشح ذا ثراء فقد يحاول أن يقلل من أهمية ثرائه بأن يركب سيارة
قديمة متهالكة ، أو يلبس ثياب « عفريتة » العمال فى المناسبات التى يحضر فيها
المصورون ومخبرو الصحف .

وهناك دلائل على استخدام هذا الأسلوب فى العبارة الأخيرة من خطاب
السيد م . ، فهو يقول : « إن الشعب سيقدر الأمر بنفسه عن طريق الاقتراع ،
فالشعب هو السيد الوحيد » فهو هنا يحنى رأسه احتراماً وتقديراً لعامة الشعب
الذين يعتبرهم سادته .

طريقة التحويل

ومن الأساليب الأخرى الشائعة الاستعمال في تكوين الرأي العام طريقة التحويل ، فمنهاك رموز عاطفية تتعلق بها الكثيرون من الناس تعلقاً شديداً. فقد يعتزون بعلم بلادهم ، وقد يحبون أوطانهم ، ويحلمون الكنيسة التي يتبعونها وقد يكونون شديدي الإعزاز لأهليتهم . ويمكن أن تستخدم الرموز التي تمثل هذه الأشياء التي يعتز بها الناس مرتبطة بالأفكار التي يطلب إلى الناس تأييدها. فمثلاً قد يلجأ الرسام الهزلي الذي يريد أن يحث الناس على تأييد مشروع للرعاية الطبية للمسنين إلى رسم شخصية محبوبة وهو يساعد رجلاً مسناً على النهوض من حفرة كاد يتردى فيها . في حين أن الرسام الذي يعارض هذه الفكرة قد يرسم موكباً يتقدمه جنود حرب الاستقلال الأمريكي عام ١٧٧٦ ، ويليه المسنون يحملون لافتات عليها مثل هذه الشعارات .

« الاستقلال للجميع » ، « نحن نعرف كيف نغني بأنفسنا » . « إن الله يعين أولئك الذين يمينون أنفسهم » . ويأمل كل رسام أن يجعل قراءه يترجمون تعلقهم بتلك الرموز إلى تعاضيد للفكرة التي يعرضها .

وبطريقة مشابهة يمكن أن نجعل الناس ينفرون من فكرة ما باستخدام رموز يكرهونها أو يخشونها ، وهكذا يمكن أن يوصم شخص أو شيء أو فكرة ما بالصليب المعقوف لربطها بالفاشية أو النازية ، وفي روسيا يستخدم رسم الدولار وصورة مشوهة للعم سام كرمز لإيجاد أثر مشابه .

ويمكن أن يستخدم مشاهير الناس كرموز فجورج واشنطن وإبراهيم لنكولن كثيراً ما يرسمان في الرسوم الهزلية السياسية ، وفي روسيا يستخدم رئيس الولايات المتحدة كرمز للأفكار المكروهة وفي الولايات المتحدة تؤدي صورة لزعيم روسيا غرضاً مشابهاً .

الإدانة بتهمة مخالطة المجرمين

ومن الأساليب المشابهة لذلك والتي تطبق غالباً على الأفراد أكثر من تطبيقها على الأفكار ما يسمى بالإدانة بتهمة مخالطة المجرمين . فمثلاً نجد في عدة مجتمعات في الولايات المتحدة قوانين تبيح لرجال الشرطة أن يقبضوا على أى شخص بتهمة « مخالطة مجرمين معروفين » ، ومثل هذه القوانين توضع عادة لتعطي رجال الشرطة سلطة القبض على الأشخاص المشتبه فيهم « حتى وإن لم يكونوا يملكون أى دليل على أن جريمة ما قد ارتكبت » . ومثل هذه القوانين تعنى أنه لا يجوز لأى شخص أن يجلس مع رجل أدين في جريمة أو أن يتحدث إليه ، وأنه إن خالف ذلك، فهو معرض لأن يوضع في السجن بتهمة مخالطة المجرمين .

وهناك كثيرون من الناس أدينوا لمجرد مخالطتهم آخرين ارتكبوا جرائم . تأمل قصة صبي صغير برىء دعاه شاب من جيرانه إلى أن يركب ماسماه سيارته الجديدة . والواقع أنه كان قد سرق تلك السيارة فيوقفها شرطى ويقبض على الاثنين بتهمة السرقة . ويقع الصبي البرىء في متاهب بسبب مخالطته المجرمين .

كما أن توقيع عقوبة على أعضاء جماعة ما لمجرد أنهم أعضاء فيها ، وليس لأنهم ارتكبوا جريمة ما هو نوع من الإدانة بتهمة المخالطة . وقد قامى المسيحيون الأولون كثيراً على أيدي الرومان بهذه الطريقة . واليوم يقاسى الزوج في الولايات المتحدة من نوع مشابه من التفرقة ، ويمكن القول بصفة عامة : إن التفرقة بين الأفراد على أساس اللون ، أو الجنس ، أو الدين ، هي نوع من الإدانة بتهمة المخالطة .

ويمكن أن تلعب الإدانة بتهمة المخالطة دوراً هاماً في الشؤون السياسية ، فضلاً قبل الانتخابات بيوم أو يومين تنشر صورة فوتوغرافية لأحد المرشحين وهو يصافح واحداً من أفراد عصابة من المجرمين . وربما كانت الصورة قد أخذت في حفل عشاء دعا إليه أناس كثيرون ، من بينهم هذا المجرم ، ثم قدم المرشح إلى المجرم فصافحه . ويمكن أن يكون الموقف كله قد رتب من قبل ، واتفق مع المصور على أخذ الصورة .

وقد حدث من مدة قريبة أن مرشحاً لوظيفة عمدة لإحدى المدن طلب من وزير التربية والتعليم أن يستقيل من منصبه لأنه كان صديقاً لرجل كان قد انتقد نقداً خفيفاً منذ خمس عشرة سنة في تقرير عن شؤون المدينة . كما أن بعض المتقدمين للوظائف الحكومية قد طردوا من وظائفهم لأن بعض أقاربهم الأذنين كانوا يقومون بما يسمى نشاطاً شيوعياً وقد استطاع عدد من هؤلاء الأشخاص أن يحصلوا على قرارات مضادة بعد معارك قضائية طويلة ، ولكن بعد أن أوردوا أذى شديداً في سمعتهم الشخصية والمهنية .

وفي جزء سابق من هذا الفصل لاحظنا أن صحيفة (ك) ظلت تهاجم ريتشارد نيكسون بسبب معاملات مالية قام بها لإخوة ؛ ولو أن الصحيفة استطاعت أن تثبت أن المرشح لرياسة الولايات المتحدة كان وثيق الصلة بهذا العرض ، وأنه نتيجة لذلك قد حدثت محاباة لسان ذلك دليلاً هاماً للناخبين ، ولكن ما دامت صلة نيكسون بهذه المعاملات — إن وجدت — لم تثبت عليها دليل قوى ، فقد كان هجوم الجريدة عليه أساساً محاولة لإظهاره مداناً بطريق المخالطة . ويتعذر أن نقرر كم كان عدد الناخبين الذين تأثروا تأثراً خطيراً بهذه الدعاية المضادة .

الأنماط المتكررة

كثيراً ما نستخدم الأنماط في تكوين الرأي العام والأنماط صور كونها الناس في مجتمع أو أمة ما عن الشعوب النسائية أو الأقليات التي تعيش بينهم . ومن أمثلة هذه الأنماط الصورة التي كونها السائح الأمريكي عند ما رأى الفلاح المكسيكي نائماً عند الظهيرة ، وكذلك موقف التاجر المكسيكي لإزاء الأمريكي الذي لم يكن يؤدي عملاً قط . وكان دائماً يلتقط الصور (الفصل السادس) ، وتستجد أنماط مشابهة عند الشرقيين بالنسبة للغربيين وبالعكس ، وعند أهل الشمال بالنسبة لأهل الجنوب وبالعكس ، وعند أهل المدينة بالنسبة لأهل الريف وبالعكس . وفي روسيا يستخدم في الرسوم الهزلية رأسمالي بدين منتفخ كمنط ملائم ، وفي الولايات المتحدة يستخدم بلشفيكي ملتح زائف العينين ليؤدي نفس الغرض .

وعندما تفحص بدقة اتجاهات الناس في بلد ما نجد أن لدى الكثيرين منهم أنماطاً مشوهة بالنسبة لمعظم الجماعات الأخرى في الأمة وفي العالم . وفي الولايات المتحدة أقليات كثيرة قدمت من بلاد بعيدة وكلها وصفت جماعة منها فقيرة وجاهلة كانت تتجمع في أحياء خاصة واقتصر عملها على المهن الحقةرة : وفي أواسط القرن التاسع عشر عندما جاء الأيرلنديون اعتبروا أجلافاً كثيرى الجلبية والضوضاء ميالين للشجار والإجرام . ولكن بعد أن تعلمت أجيالهم الثانية والثالثة والرابعة في مدارسنا ، وانبعوا طرائقنا في الحياة ، أصبح من الصعب التفرقة بين نسل الأيرلنديين وغيرهم من الناس . وهكذا بدأ نمط الأيرلندي يزول ولم يبق إلا آثار في بعض الملامح والفكاهات .

وقد حدث نفس الشيء للإيطاليين والبولنديين واليهود وغيرهم من الجماعات المهاجرة . وقد بدأت عملية مشابهة بالنسبة لأهالى بورتوريكو والزوج الذين ينتقلون إلى المدن الكبيرة . ولأنه لمن المحزن أن نقول إن أحفاد نفس المهاجرين الذين قاسوا بسبب التفرقة على أساس الأنماط منذ بضعة أجيال كثيراً ما يكونون هم الذين يصبون جام سخطهم على المهاجرين الجدد .

ولكنك قد تعترض بقولك إن بعض هؤلاء الناس (كائنا من كانوا) هم فعلاً قذرون كثيرون الجلبية والضوضاء ، مجرمون مشاغبون ، وقد يكون هذا صحيحاً . ولكن الأمر الهام هو أن نقرر لماذا هم كذلك ؟ فالشخص الذى يؤمن بفكرة الأنماط يعتقد أنهم كذلك لمجرد أنهم من أهالى بورتوريكو أو من الزوج أو اليهود أو الكاثوليك أو الأيرلنديين أو الإيطاليين أو البولنديين ، ولكن إذا اعتقد الإنسان أن أسباب هذه الصفات غير المرغوبة هي الفقر ونقص التعليم فإن الأنماط تختفي . فينظر إلى الأقليات لأعلى أنها جماعات من الناس فريدة في بابها منفصلة عن المجتمع ستظل دائماً ذات صفات غير مستحبة ، ولكن على أنها مجموعة من الناس ستصبح فيما بعد جزءاً من الأمة نتيجة للتعليم والتخلص من الفقر . فحل المشكلة إذن يكون بتشجيع أعضاء الأقليات على أن يسيروا بخطوات أسرع في الاتجاه المطلوب بدلاً من أن نمقتهم لأنهم أعضاء في تلك المجموعة بذاتها من الناس .

وقد دلت تجربة أجريت أخيراً في جامعة كولومبيا وكلية بارانارد على مدى قوة تأثير هذه الأنماط ، حتى بالنسبة لأناس لا يخطر ببالهم عادة أنهم عرضة للتحيز والتفرقة . فقد عرضت صور فوتوغرافية لبعض الفتيات على عدد من الطلبة وطلب إليهم أن يرتبوهن حسب الجمال والذكاء والشخصية المحببة . وبعد مضي شهرين عرضت نفس الصور على نفس الأشخاص ، ولكن الصور هذه المرة كانت تحمل أسماء بعضها ذوجرس أجنبي ، فكانت نتيجة الاختبار مختلفة تماماً عن النتيجة الأولى . فالفتيات اللاتي كانت أسماءهن مقبولة من هذه المجموعة من الطلبة فزن باعتبارهن الأكثر جمالاً وذكاءً ، أما الفتيات اللاتي كانت أسماءهن ذات جرس أجنبي فقد جاءت أسماءهن أقرب كثيراً إلى نهاية القائمة بما كانت أولاً .

وفي تجربة ثانية طلب عالم نفسى إلى عدد من الأولاد المحبوبين من زملائهم في درس الألعاب الرياضية أن يرتكبوا أخطاء في تمارينهم في يوم معين ، ثم طلب إلى باقى تلاميذ الفصل أن يذكروا إذا كانوا قد لاحظوا أية أخطاء ، وإذا كان الأمر كذلك فمن الذى ارتكب الأخطاء ؟ فكان أن ذكر الطلبة أخطاء ، فسبواها إلى أقل التلاميذ شعبية في الفصل ، وليس إلى التلاميذ المحبوبين الذين ارتكبوا هذه الأخطاء .

ومن الوسائل الجيدة المضادة للأثر الأنماط تنمية القدرة على التعليل والإدراك الواضح للطرق العديدة التى تتكون بها آراؤنا والتي كثيراً ما تسبب انحرافاً في هذه الآراء

كبش الغمراء

تصف التوراة عادة قديمة كانت تمارسها بعض الجماعات للتخلص من ذنوبها ، وذلك بأن تلقى تلك الذنوب رمزياً على رأس كبش (أوتيس) يطلق في البرية . وكان المعتقد أن الكبش بذلك يحمل الذنوب ويذهب بها بعيداً ، وبذلك تتخلص تلك الجماعة من مسئولية ارتكابها .

ومع أن هذه العادة القديمة لم يعد أحد يتمسك بها ، فإن السمات الأساسية فيها لاتزال باقية على نطاق واسع ، وكثيراً ما تستخدم بطرق شديدة الأذى . إن العثور على كبش الفداء هو واحد من أخطر أخطاء التعليل وأفدحها ضرراً .

إن ميل أطفال المدارس إلى أن يتخذوا من بعض زملائهم كبشاً للفداء كثيراً ما يسبب لهؤلاء الزملاء ضرراً بليغاً ، فقد يصبح طفل ما الفريسة الوحيدة لسخرتهم ومزاحهم مما يؤدي بهم إلى العزلة التامة ، وإلى مشكلات نفسية خطيرة نتيجة لمثل هذه المعاملة .

ومن الطريف أن نلاحظ أن هناك ميلاً مشابهاً لدى بعض أنواع الحيوان . فيحدث أحياناً أن تتفق جماعة من الدجاج على نظام معين لنقر بعضها بعضاً ، فهناك دجاجة تنقر سالم الدجاج جميعاً ولا يجرؤ الباقون على نقرها . ثم هناك دجاجة تليها في الترتيب تنقر كل الدجاج ماعداً الدجاجة الأولى ، وهكذا إلى أن تأتي إلى دجاجة مسكينة وحيدة ينقرها جميع الدجاج ، فإذا حاولت أن تنقر بدورها فكثيراً ما تهاجمها المجموعة بكاملها ، لأنها تجرات على أن تخرج على النظام . ويحدث أحياناً أن تموت الدجاجة النعسة نتيجة لهذا النقر المتواصل .

إن العثور على كبش الفداء ، وكذلك العملية الوثيقة الصلة بذلك . وهي إلقاء الذنب على الآخرين هما إلى حد ما نتيجة « لتوضيب ورق اللعب » ، وسوء استخدام التعليل والملاحظة . ولكنهما أيضاً متصلان اتصالاً وثيقاً بحاجة الكثيرين إلى الشعور بالتفوق على الآخرين . ويحدث أحياناً أن جماهات كبيرة من الناس ، أو حتى أغلب أفراد الأمة يبحثون عن أقليات من بينهم يعتبرونها كبش الفداء . ويقاسى الزوج في الولايات المتحدة بشدة من نتائج هذا التفكير العاطفي . فبينما استطاعت معظم الجماعات الأجنبية التي قدمت إلى الولايات المتحدة أن تتخلص من آثار الأنماط وما يفتج عنها من عمليات كبش الفداء المستخدمة ضدها ، وأن يتمثلهم هذا المجتمع ، وأن يتخلصوا من المركز الاجتماعي الوضع المفروض عليهم .

وتظهر عملية العثور على كبش الفداء في أعنف أشكالها في أوقات الشدة عندما

يبحث الناس عن أسباب متاعبهم ، وحينئذ يسهل على زعيم مهيج أن يشير إلى إحدى جماعات الأقلية . وأن يلقي عليها تبعة المتاعب التي تقاسى منها الأمة وأن يصل إلى سلطة الحكم عن طريق استغلال الأكاذيب أسوأ استغلال .

وتفهمنا أمثال هذه الحوادث إلى أنه لا يكفي للأمة المتحضرة أن يكون لديها مدارس وجامعات ، بل من الضروري أيضاً أن يتعلم الشعب كيف يفكر بوضوح واستقلال في الرأي ، وأن يتشكك فيما يقال له ، وأن يعرف كيف يقارم المؤثرات العاطفية التي يستخدمها الزعماء المهيجون .

ومن المفيد أن نضع في قائمة الأساليب المختلفة المستخدمة لتشكيل الرأي العام التي ناقشناها في هذا الفصل ؛

أسلوب توضيب ورق اللعب

حملة ضرب الزوجة

البندقية التي تصيب في اتجاهين متضادين

رجل القش

الشتائم

اللعب على أوتار العواطف

التهميمات البراقة

الطبل والزمر

الشهادات

تملق عامة الشعب

التحسسويل

الإدانة على أساس مخالطة المجرمين

الأنماط

كبح الفداء

إن مجرد إثبات هذه الأساليب التي تنحرف بها آراء الناس يدل إلى حد ما على صعوبة أن يتأكد الإنسان من صحة آرائه . فما أجدر الناس إذن بأن يحتفظوا بمقولاتهم مفتوحة وأن يكونوا مستعدين لإعادة ، تقويم ، الحقائق المعروفة ، وأن يأخذوا الحقائق الجديدة بعين الاعتبار .

ماول أنه نجد الحلول لهذه المشكلات

(الإجابات في آخر الكتاب)

١ - إخص العبارات الآتية وابحث فيها عن أمثلة لوسائل تكوين الرأي العام من التي ناقشناها في هذا الفصل بين الوسيلة أو الوسائل التي استخدمت في كل حالة :

(أ) د إن اقتراح العملة لإنفاق المال لعمل نفق جديد ما هو إلا دعوة للفساد المأجورين الذين ابتليت بهم هذه المدينة لتقديم الرشاوى .

(ب) د لقد أصدر هؤلاء المصلحون ، سلسلة من البيانات المليئة بالتظاهر والنميمة لتغطية محاولاتهم المرائية للوصول إلى السلطة . إن سكان هذه المدينة المجددين الأمناء سيلقون هؤلاء الأوغاد خارجاً بمجرد أن تعرف الحقيقة .

(ج) د باسم وطننا المحبوب ومن أجل الأجيال القادمة أطلب إليكم أن تلتخبوا د فريد ستيل ، لمجلس شيوخ الولايات المتحدة المقرر حتى نستطيع أن نؤمن جميعاً على حياتنا وحرقاتنا ، وأن نسير في طريق نشدان السعادة .

(د) د لقد شوهدت تناول العشاء مع جو هوبكنز الذي أمضى في السجن ثلاث سنوات ، فمتذمق كانت لك علاقات بهذا المجرم المعروف ، ؟

(هـ) د إن هذا الطريق الرئيسي الجديد لن يساعد مطلقاً في حل مشكلة المرور وكل ما سيحدث هو أن عدداً أكبر من السيارات سيأتى

إلى مدينتنا ويخفقها خنقاً ؛ كما أنه سيكون ضاراً بالأعمال التجارية لأن للناس سيستطيعون أن يخترقوا المدينة دون التوقف فيها . ولو كان لابد لهؤلاء الناس من أن يمشوا بسياراتهم في شوارع المدينة لاشترى البعض منهم حاجاتهم منها .

٢ — اقرأ الوصف التالي لمباراة في لعبة البيسبول وحلل الطرق التي استخدمت بها حيلة « توضيب الورق » :

لقد ناضل فريق « پوتستون تيجرز » ببسالة ضد صعوبات كبيرة قبل أن يهزم أمام فريق « سير كفيل ايجلز » .

ولقد لازم سوء الحظ فريق التيجرز ، فلقد خرجوا إلى ساحة اللعب لمدة نصف ساعة إضافية للتدريب انتظاراً لوصول فريق الایجلز ، ونتج عن ذلك أن بدأوا بداية بطيئة ، وأصابته الكرة هدافهم الممتاز « جيم بيتس » في الشوط الثامن ، فاضطر إلى مغادرة الملعب . كما أن « باتون » تعثرت قدمه وسقط إذ هو يجري ليوقف كرة سريعة فسجلت الكرة إصابة ، ثم قام لاعب من فريق الایجلز بهجمة وكادت ضربة عالية من « سام بوتلو » لاعب فريق الایجلز تسبب ضربة جزاء ، ولكنها ذهبت فوق الحاجز ، وهبت ريح شديدة جعلت الموقف صعباً بالنسبة لفريق التيجرز .

النتائج

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ هجمات إصابات أخطاء

فريق سير كفيل ١ صفر ٢ صفر صفر ٣ صفر ٤ ١ ١١ ١٦ صفر

فريق پوتستون صفر صفر صفر ١ صفر ٢ ١ صفر ٥ ٣

SECRET

الفصل التاسع

الإعلان ..

اجتمعت أسرة « سيبرج » ، في غرفة المعيشة لتستمتع بفلم من أفلام رعاية البقر في التليفزيون ، وبينما كان المجرم يوشك أن يوقع العملة (الشريف) في كمين توقف عرض الفلم فجأة وظهر الإعلان التجاري الآتي :

« استعد للشتاء من الآن - نافذة من الألومنيوم للوقاية من العواصف ثمنها ١٢ دولاراً ، ٩٨ سنتاً فقط . اشتر الآن قبل أن تنفذ الكمية المحدودة المعروضة للبيع اطلب حالا تليفون زر ٤ - ٦٠٢٠ » .

ومد المستر سيبرج ذراعه وأخذ القلم الرصاص من ابنه قائلاً : « لحظة واحدة حتى أكتب رقم تليفون هذه النافذة المانعة من العواصف ، فما سمعت قط عن نوافذ قليلة التكاليف إلى هذا الحد » .

وبعد أيام قلائل ، واستجابة لمكالمة تليفونية من المستر سيبرج ، وصل إلى المنزل شاب نشيط حسن البزة حاملاً معه نموذجاً للنافذة الواقية من العواصف ، وسرعان ما بدأ يشرح طريقة استعمالها للمستر سيبرج الذي نظر إلى النافذة في شيء من الارتياح ، ثم قال بعد أن هزها بضع مرات : « إنها نافذة رديئة الصنع . أتسمع الصوت الذي تحدثه ؟ » .

فقال البائع : « إنها نافذة لا بأس بها بالنسبة لثمنها وهو ١٢ دولاراً ، ٩٨ سنتاً . ولكن هنا شيئاً واحداً يجب أن تحترس منه . كم يبعد بيتك عن المحيط ؟ » .

أجاب المستر سيبرج : « نحو أربعة أميال ، ولماذا تسأل ؟ » .

فقال البائع : « إذاً لا بد لك من أن تحرص على تشحيم النوافذ بين الحين

والحين .. وإلا فإن الملح الذي تحمله الرياح القادمة من المحيط سيأكل كل الألومنيوم ويمأؤه بالحفر .

فقال المستر سيبرج بالهجة من لا يصدق ما سمع . « أشجع الألومنيوم ؟ كم مرة يجب على أن أفعل ذلك ؟ » .

أجاب البائع دون أن تبدو عليه أى علامة من علامات المزاج « أربع مرات فى السنة فقط ! »

فقال سيبرج « أتعنى أنه يجب على أن أخرج كلا من نوافذ الست والعشرين أربع مرات فى السنة لأدهنها بالزيت ؟ »

قال البائع : « من الواضح إذن أنك تريد نافذة ممتازة . هذه النافذة التى أعرضها عليك لا بأس بها ، ولكن عندي ما هو أفضل منها كثيراً مما يروق لشخص يطلب بضاعة ممتازة مثلك . إنها فى السيارة . دعنى أت بها » . وبعد بضع دقائق عاد البائع حاملاً نافذة جميلة براقة من الألومنيوم ، وبعد نحو ساعة نجح فى إقناع المستر سيبرج أن يشتري ستاً وعشرين نافذة منها بسعر ٣٥ دولاراً للقطعة ، وعمل الترتيب اللازم لتركيبها فى الأسبوع التالى .

هذه فى جوهرها قصة حقيقية ، وهى تتكرر عدة مرات كل يوم فى جميع أنحاء البلاد . إن المعلنين الذين توصلوا إلى هذا الأسلوب ليصل بانهم إلى البيت قد وضعوا خطة مفصلة بعناية لتنفيذ أسلوبهم وهم يعتمدون على عدة مبادئ .

١ - أن الناس يحبون الصفقات الراجعة ، وهم يهتمون جداً عندما يسمعون عن شيء معروض للبيع بشئ بخس ، وإذا فمن المحتمل أن يستجيب عدد كبير من الناس لإعلان يمنهم بصفقة تجارية رابحة .

٢ - أن البائع الماهر عندما يكون وجهها لوجه مع زبون منتظر ، أقدر على البيع من إعلان مطبوع فى صحيفة . ومن وجهة نظر المعلن يعتبر الإعلان وسيلة معقولة جداً ؛ فهو يعين فى تحقيق الهدف ، وهو الجمع بين البائع والزبون (العميل)

ولم تكن هناك أية نية حقيقية لبيع نافذة بسعر ١٢ دولاراً ، ٩٨ سنتاً ، وإنما كانت هذه وسيلة « لجر الرجل » ، وسيلة أعدت لترتيب اجتماع بين البائع وبين الزبون المنتظر . ثم استوثق البائع أن النافذة المعان عنها « بشمن منخفض » ، لن تباع ؛ وذلك بأن جعل فرص استخدامها تظهر غير مغرية ، ثم بأن أطرى الزبون لطلبه بضاعة من صنف ممتاز .

إن بعض الإعلانات التي تظهر في التليفزيون والصحف والمجلات مفيدة جداً . والإعلانات عن البيع بأثمان منخفضة في المجلات التجارية ذات الاسم المعروف ، وكذلك المعلومات التي تنشر عن المنتجات الجديدة ، وعن الخدمات الخاصة كلها ، تلعب دوراً هاماً في تزويد المستهلك بما يحتاج إليه ويرغب فيه من سلع وخدمات . ولكن كثيراً من الإعلانات تعتبر مضللة لما تلجأ إليه من حيل ، حتى إن المرء ليتساءل : ترى أيها الكبر : ضررها أم نفعها ؟ على أية حال يحسن بك لحمايتك كمستهلك أن تكون على بينة من بعض هذه الأساليب . وفي نفس الوقت فإن تحليل هذه الأساليب يعطينا مرآة شائعة في التفكير .

وقبل أن ننتقل إلى مناقشة أساليب أخرى للإعلان نلاحظ أن الأسلوب السابق وصفه (أسلوب جر الرجل) يضلل الناس بأن يخفي الحقائق الأساسية . فلو أن الإعلان ذكر إلى جانب الثمن المنخفض أن النافذة تحتاج إلى تشحيم أربع مرات في السنة في كثير من الأجواء وأن النافذة ترجح مسببة جلبة عندما تهب الريح فإن أحداً به ذرة من العقل ما كان يستدعى بائعاً إلى بيته لبيعه هذه النافذة .

أوبرا الصابون

منذ بضع عشرات من السنين عندما كانت الإذاعة اللاسلكية في أوج مجدها ، وقبل أن يبدأ استخدام التليفزيون ، اعتادت ملايين النساء أن يفتحن الراديو أثناء النهار ليستمعن إلى برامج تذهب عنهن ما يصيبهن من ملل العمل المنزلي . وسرعان ما اجتذبت بعض البرامج المسلسلة جماهير كبيرة من المستمعات من ربات البيوت وأخذت تدق في أسماعهن يوماً في إثر يوم أسماء العلامات « الماركات » المسجلة

التي يروج لها مقدمو البرنامج . وتستخدم هذه الطريقة على نطاق واسع في أيامنا في الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية على السواء .

ويصف تعبير « أوبرا الصابون » هذه الطريقة وصفاً دقيقاً ؛ فهو من ناحية يشير إلى طبيعة السلع المعلن عنها ، ومن ناحية أخرى يشير إلى ما للتكرار المستمر من أثر في العقل بحيث يوجد له فيه طرقاً سهلة الانزلاق ، تماماً كفعل الصابون .

وفي كتابه (الوحش في الإنسان) يصف « جيمس ميربر » هذه الطريقة في الإعلان وصفاً بارعاً فيقول :

إن « أوبرا الصابون » هي نوع من الشطائر وصفتها بسيطة جداً ، وإن يكن الوصول إليها قد استغرق سنوات . واسكى تصنع هذه الشطيرة لبيت بشرائح سميكة من الإعلان وغطها بأحدث لمدة ١٢ دقيقة ، ثم أضف مازق وسفالة وشقاء نسويًا بنسب متساوية ، ثم قليلاً من النبل ، وانثر على المزيج بعض الدموع وتوبله بموسيقى الأراغن ، ثم غط الشطيرة كلها بصلصة دسمة من صوت المذيع ، وقدم الشطيرة خمس مرات في الأسبوع . وقد تحتوي أوبرا الصابون كذلك على ما يشير الحيرة - (لا تنسى أن تستمعى إلى هذا البرنامج يوم الاثنين القادم حين يعلن أمراً هاماً) . أو هدية - (أرسل غطاء الصندوق ومعه ٢٥ سنتاً لتحصل على دبوس جميل بشكل « طائر الحب ») . أو إعلان عن مسابقة - (أكمل هذه الجملة واكسب غسالة كهربائية مارك « أول أو آي ») . أو إعلان موجز عن صنف آخر من الأصناف التي ينتجها المعلن . ويأمل كل معلن أن تصبح ربة البيت وقد اعتادت هذا الحديث الذي يستولى على مشاعرنا والذي ليس له من نهاية . وفي نفس الوقت يأمل أن يشبع كل مشاعرنا بالمعجزة التي يصنعها صنف معين حتى تذكره كل أيام حياتنا وتتم باسمه أثناء نومها .

إن الفكرة الأساسية في طريقة « أوبرا الصابون » هي التكرار ، ولا يستطيع أحد أن ينجو تماماً من آثاره . حتى أولئك الذين يظنون أن لديهم مناعة ضد هذا الأسلوب من الاعلان يميلون دون أن يشعروا إلى اختيار الصنف المعروف عندما تكون لديهم فرصة الاختيار بين الصنف (١) وهو صنف معروف

مشهور ، والصيف (ى) - وهو صنف غير معروف فنحن أكثر ارتياحاً للأشياء التي نعرفها ولا نثق بما هو غير مألوف لنا .

والواقع أن الطريقة الوحيدة لمعرفة الأحسن أو الأرخص من أى صنف من السلع من نفس النوع هي أن تجرى اختبارات علمية دقيقة على هدد منها . ويقوم عدد من جماعات المستهلكين بهذا الفحص ، وكثيراً ما يجدون أن بعض المنتجات غير المشهورة تتفوق بكثير من أنواع واسعة الشهرة . والواقع أن تكاليف الإعلان عن السلعة الذائعة . قد تكون عالية بشكل يؤدي إلى زيادة سعرها زيادة كبيرة ، وأحياناً يصل الثمن إلى أضعاف الثمن الحقيقي .

إن طريقة التكرار - إذا استبعدنا منها الافتتاحيات العاطفية لأوبرات الصابون - هي الأساس في الإعلان في الصحف والمجلات ، وبالتدريج تتكون عادة عقلية حتى إن القارئ الذى يظن أنه لا يقرأ الإعلانات يقع تحت تأثيرها .

إعلان فطير

يمكن أن تكون بعض الإعلانات ضارة ، وإليك مثالا :

وأخيراً طريقة جديدة تماماً في مستحضرات التجميل .

« لقد وضع رصفة « سكينو كريم » أحد كبار الأخصائيين في أمراض الجلد ليقدّم إليك مزايا التجميل في مستحضر للجمال ، في حين تعمل خواصة الطبيعية في علاج معظم متاعب الجلد وهي بعد في بدايتها . ونحن نسمى هذه الوصفة الطبيعية المدهشة « ريد يمين كومبلكس » لأنها تكسب بشرتك جاذبية في الحال ، وتعالج خلال ٢١ يوماً - إذا داومت على استعمالها بعد ذلك - كل متاعبك المتصلة بالبشرة فتذهب إلى الأبد . وإذ ذاك فهما تكن عيوب بشرتك فإنها تظهر خالية تماماً من أى عيب ، .

فلنحال هذا الإعلان ؛ فأولاً من الممكن أن يفيد هذا المستحضر معظم الناس . ومن الممكن كذلك أن يكون أحد كبار أخصائي أمراض الجلد قد ابتكره ، واسكن

بعض الادعاءات المبالغ فيها يجب أن تجعلك ترتاب في مقدار احترام المعلن للحقيقة .

لاحظ العبارة . . (يعالج متاعبك المتصلة بالبشرة خلال ٢١ يوما - إذا داومت على استعماله . فتذهب تلك المتاعب إلى الأبد . . إن د إلى الأبد ، وقت طويل . ولاحظ أنه لا بد من استعمال المستحضر يوميا وإلى الأبد لكي يكون له هذا المفعول .

ومما يزيد في شكوكنا العبارة التي تقول : (وإذا ذاك فهما تكن عيوب بشرتك فإنها ستظهر خالية تماما من أى عيب) . فلنفرض أن شخصا ما لديه مبادئ أعراض سرطان الجلد ، وبدلا من أن يذهب إلى طبيب يعتمد على هذا المستحضر ليخفي العيب الذي سببته أولى أعراض المرض ، ولقد حى المنتج نفسه بقوله - إن بشرتك تظهر خالية تماما من أى عيب) . ؛ فهو لم يقل إنها تصبح بلا عيب . إن الشخص الذي يشكو من سرطان الجلد ويستعمل (سكينو كريم) بدلا من أن يستشير طبيبا قد يؤخر العلاج تأخيراً يؤدي إلى الوفاة .

وإذا كان أحد كبار أخصائي الأمراض الجلدية قد ابتكر فعلا هذا المستحضر فإن هذا لا يستتبع بالضرورة أنه يوافق على ما يقوله الإعلان . ومن الطريف أن نلاحظ أن اسمه لم يذكر في الإعلان . ترى أهو خجل من ابتكاره ؟ أما كان يكون أكثر إقناعا للقارىء لو قال الإعلان - (ابتكر هذا المستحضر الدكتور (بروس بمبرتون) أخصائي أمراض الجلد في مدينة واتسن ، كولورادو مثلا ؟

فإذا سلمنا بأن المستحضر من صنع أخصائي في أمراض الجلد فيجب أن نلاحظ أنه يحتمل أنه لم يكتب الإعلان ، وكثيراً ما يجهل كاتبو الاعلانات الكثيرة عن السلع إلى مصنعونها . إن بعض الكتاب يتقاضون مرتبات سخية ليكتبوا إعلانات تدفع الناس إلى شراء المنتجات المعلن عنها ، وكثيراً ما يكون اهتمام هؤلاء الكتاب موجها إلى جعل الساعات تجتذب أكبر عدد من الناس أكثر مما هو معنى بالحقائق . وهكذا يستخدمون حيلة (توضيب ورق اللعب) ليجعلوا إعلاناتهم مقنعة إلى أقصى حدود الإقناع .

إن المبالغة المفرطة في هذا الإعلان يجب أن تجعل الإنسان يرتاب في السلة المعان عنها ، فربما لم يكن الشخص الذي صنع هذا المستحضر طبيباً مطلقاً . ومن الممكن أن يكون المستحضر مجرد (كريم) عادي أضيف إليه عقار بسيط عديم الفائدة وبيع بسعر أعلى بكثير من المعتاد بسبب هذه الادعاءات المبالغ فيها .

وكثيرون من الشباب بل وبعض البالغين يصعب عليهم أن يعتقدوا أن شخصاً ما يضل عمداً عن طريق الكلمة المطبوعة ؛ فهم يقولون إن الحكومة لا شك تمنع مثل هذا التضليل . وكثيرون من الناس يرون أن قوانيننا متساهلة أكثر مما يجب في هذه النقطة . صحيح أن هناك هيئات حكومية تتابع الشكاوى ، ولكن يحدث في كثير من الحالات أن يمضي وقت طويل قبل أن توقف الحكومة أمثال هؤلاء المضللين عند حدهم . والذي يحدث عادة هو أن يتخذ قرار يلزم المسؤولين عن التضليل بتغيير ألفاظ إعلاناتهم ، وفي بعض الأحوال يلجأ المعلنون إلى استخدام عبارات أخرى مبالغ فيها أو مضللة تحتاج من جديد إلى وقت طويل قبل أن تقوم الهيئات الحكومية بالتحقيق فيها .

ولهذا فإن أسلم طريقة لحمايتك من مثل هذه الإعلانات في الظروف الحالية هي أن تنسى في نفسك المقدرة على اكتشاف العبارات المضللة . تعلم أن تحكم على جودة المنتجات المعان عنها بمقدار تجنب الإعلانات اللجوء إلى حيلة توضيب ورق اللعب أو إخفاء الحقائق ، ولو أن عدداً كافياً من الناس فعلوا ذلك لاضطر أوائك الذين يكتبون الإعلانات إلى تغيير طريقةتهم .

التركيبات

إليك مثالاً لامتعا لإعلان يقوم فيه بمثل مشهور بتزكية نوع من الزبد المستخرج من الفول السوداني اسمه (ناتي) .

(كيف استطعنا أن نقنع (بول دي بلاذى) بأن يظهر في إعلان عن زبدة الفول السوداني (ناتي) ؟ لقد كان هذا سهلاً - لقد دفعنا له أجره . لقد قدمنا للستر دي بلاذى مبلغاً كبيراً من المال . فصاح - ماذا ؟ أتريدونني أن أذكر زبدة

الفول السوداني التي يتناولها الأطفال ؟ فقد منا مزيداً من المال ، وأخيراً استطعنا اجتذاب المستر دى بلازى ليجرب منتجاتنا ، فأنفجرت أساريره عن ابتسامة كبيرة وقال :

« إن طعمها لا يشبه طعم زبدة الفول السوداني بتاتاً - وإنما هو طعم الفول السوداني نفسه . إنها الزبدة عظيمة » .

وكما ذكرنا أن « ناتي » هي النوع الوحيد من زبدة الفول السوداني الذي صنع للكبار ، هو السبب في أن الجميع — بما فيهم الصغار — يحبونها ويتناولون كميات كبيرة منها .

هذا إعلان ماهر ؛ فهو مبني على التسليم بأن عدداً كبيراً من الناس يعلمون أن تركيبة من يمثل مشهور لنوع من زبدة الفول السوداني قد لا تعني شيئاً البتة . ومن المعلوم أن الشخص المشهور يتناول أجره عادة لإعادة اسمه للإعلان عن الساعة . فربما كان هذا الشخص لا يدخن قط ، ولا يشرب أو يأكل أو يلبس الساعة التي يركبها ، ولهذا فهما يقل عنها فهو في الغالب عديم المعنى ، وفي الغالب قد كتبه له شخص آخر .

ولهذا فإن كاتب هذا الإعلان يستغلون تشكك الكثيرين من القراء بأن يجعلوا التركيبة فكاهة ، وهم يعلمون بما يعرفه كل إنسان . ويباغ من دهشة القارئ أنه قد يمضي في قراءة هذا الإعلان الجريء ويجد في قراءته ما يسرى عنه . وهو خلال ذلك أصبح يعرف اسم الساعة ، وأصبح أكثر ميلاً إليها بسبب ما في الموقف من فكاهة . إن هذا الإعلان إعلان معقول ويحتمل أن يحقق غرضه .

ولا توجد هنا أخطاء أساسية في التفكير ، ولكن الإعلان يوضح أنه من الحماقة أن يسمح الإنسان لنفسه أن يتأثر ويشترى ساعة مجردة أن ممثلاً مشهوراً أو لاعب بيسبول ، مشهوراً ، قد زكاه .

إن هذه الحيلة الاعلانية هي تطبيق لوسيلة الشهادات التي ذكرناها في الفصل السابع .

اشترى الأفضل ، بتممه أقل

إليك نمطاً آخر من أنماط الإعلان

« إن متجر بيرك يقدم الآن مجموعة مذهلة من الاثاث في أكبر وأجراً فرصة يمكن تصورها ، كميات هائلة من جميع أنواع الاثاث الممتاز تصلنا يومياً في شحنات كاملة على ظهور السفن ، وفي السيارات . وعربات السكة الحديد . ونظراً لضخامة الكميات الواردة لابد لنا من التخلص منها بالبيع بسرعة . إن من يأتي أولاً سيحصل أولاً على الأصناف الممتازة » عجّلوا بالحضور . . . عجّلوا . . . عجّلوا . . .

هذا موقف شائق ، فأصحاب المحل يدعون أنهم يتلقون الاثاث بشكل شحنات تملأ السفن والسيارات ، بل والقطارات ، ولهذا فلم يعد لديهم مكان لتخزينه ، فهم مضطرون إلى الإعلان لكي يأتي الناس ويأخذوه . وفي مقابل ذلك يؤكد الإعلان للمشترى أن الثمن منخفض . ولكن لماذا يخزنون كل هذا إذا لم يكن لديهم مكان لاختزانه ؟

ونلاحظ أيضاً أنه لا يوجد وصف بالمعنى الصحيح للاثاث المعلن عنه ، فهل ياترى هذه الشحنات التي ترد إليهم بالسيارات والقطارات — هل هي شحنات من اثاث ستتفكك أو صاله بعد بضعة أشهر ؟

إن مثل هذه المبالغة مسلية ، ولكن تأثير الإعلان في الكثيرين من القراء المتسرعين هو أن يجعلهم يهرولون إلى المحل في عجلة شديدة لينتقوا ما يريدون من بين هذه الصفقات الضخمة الرائعة المريحة من البضائع .

إننا نسمى هذا النوع من الإعلان : « اشترى الأفضل بثمان أقل » ، بسبب ما يدعيه من أن الزبون سيحصل على بضاعة أفضل بثمان أقل . وأساس هذا النوع من الإعلان هو التأثير في العواطف بدلاً من التأثير في العقل .

الاعلانات الصارخة

ومما يتصل اتصالاً وثيقاً بإعلان « اشتري الأفضل بثمن أقل ، نوع من الإعلان
أسمية الاعلان الصارخ أو المفرق في المبالغة . وإليك مثالا له :

وفر في الثمن لا يصدق في بداية الموسم

في لوازم مذهلة للأطفال

أسعار لا يمكن تصورها

تخفيضات خيالية لا تخطر على بال

إن مثل هذه الألفاظ : (مذهلة — خيالية — لا تخطر على بال — لا يمكن
تصورها) يستخدمها بعض المعلنين يوميا ، فتضيع تماما المعاني الأصلية للكلمات
بعد استخدامها هكذا دون تمييز .

فكم مقدار الوفر الذي يمكن أن يوصف بأنه « لا يصدق » ؟ — إن هذه
الكلمة تصدق لو أن المتجر وزع بضائعه على الناس مجانا أو بما يشبه المجان .

إن الأثر المباشر لمثل هذه المبالغة هو أثر عاطفي في طبيعته ، ويهدف إلى
اجتذاب الناس للحضور إلى المتجر . ولكن بعد قليل يصبح سوء استخدام الألفاظ
شائعا حتى تفقد معانيها الأصلية ، وإذا ذاك لا بد لنا من أن نجد ألفاظاً جديدة
لتحل محل تلك الألفاظ التي أسئ استخدامها .

ويستطيع كتاب الإعلانات أن يبتكروا كلمات جديدة عجيبة عندما تصبح
الكلمات الأولى عديمة الفائدة . والواقع أنك قد تجد من المسلم أن تحاول بنفسك
ابتكار بعض هذه الألفاظ

وهناك علاقة بين هذا النوع من الإعلان وموضوع التعريف الدقيق للألفاظ
الذي ناقشناه في الفصل الخامس . إن المعلنون يستخدمون عن قصد ألفاظاً بطريقة
تخالف التعاريف المعروفة لها .

الاعتمادات المضللة

هناك نوع آخر من الإعلانات تقرأ فيه ما يأتي :

تصفية

خصم إضافي قدره ٢٥ ٪ على الأثمان الحالية

في جميع الأصناف

مثل هذه التخفيضات كثيرًا ما تكون تخفيضات حقيقية ، ولكن ثبت أن بعض أصحاب المحال التجارية يرفعون الثمن قبل التخفيض حتى يمكنهم إجراء تخفيض صوري قدره ٢٥ ٪ مع الاستمرار في بيع بضائعهم بالثمن الذي كانوا يبيعونها به قبل التخفيض ، أو بأثمان أقل قليلاً بل إن بعض أصحاب المتاجر لا يهتمون حتى باتباع هذه الطريقة الملتوية ، فهم يدعون بكل بساطة أنهم يخصمون ٢٥ ٪ من السعر رغم أنه لا خصم هناك على الإطلاق .

وكما بينا في مناقشة موضوع الإحصاءات المضللة في الفصل الخامس أن الأرقام تجعل الناس يميلون إلى تصديق ما يقال لهم ، ولكن إذا كانت الأرقام زائفة بهذا الشكل (أي تنزلق بسهولة إلى أعلى وإلى أسفل) فإنها لا تعني شيئاً .

ويمكن أن توضح هذه النقطة بطريقة أخرى ، فأحياناً يقرأ الإنسان قائمة طويلة بأسماء أنواع عديدة من خلاصات الفواكه على العلبة التي في يده وتنتهي القائمة بعبارـة " زائدًا نكهات صناعية " . والأرقام هامة جداً هنا ، فـ ٩٥ ٪ من نكهة الطعام أو الشراب المحفوظ راجعة إلى الروائح الصناعية ، ٥ ٪ إلى مجموعة من مقادير بسيطة من خلاصة الفواكه الطبيعية ! قد يكون الأمر كذلك ، فبدون بيان دقيق للنسب ، وبدون معيار قياسي ، لا يمكن للمستهلك أن يصدر حكماً صحيحاً . وهكذا قد تكون القائمة الطويلة التي تشمل العديد من أسماء الفواكه مضللة تماماً .

ويمكن أيضاً أن نسمى هذا النوع من الإعلان : الإعلان ذا الإحصاءات الناقصة .

الاعلانات شبه العلمية

لقد اكتسب العلم الحديث شهرة سحرية بسبب ما قدمه لتطوير التليفزيون والسيارات والطائرات وسفن الفضاء وغير من المعجزات ، . ولهذا أصبح العلم إلهاً جديداً ، فبالنسبة لكثير من الناس إذا قال أحد العلماء شيئاً عن موضوع ما مفروض أنه متضلع فيه صدق الناس على كلامه وآمنوا به ولقد استغل كتاب الاعلانات هذا السلاح الجديد ، وهم اليوم يستخدمونه إلى أقصى الحدود . لاحظ كيف استغلوا سلاح العلم في الاعلان الآتي :

إن التجارب العلمية التي أجريت بواسطة الالكتروميوجراف
الجهاز الكهربائي لقياس تقلص العضلات (وهو الجهاز الذي ثبت نجاحه طبياً)
ثبت أن

إليكويريج العضلات المجهدة في نصف الزمن

الذي تستغرقه الطبيعة في ذلك

إن الاسم الغريب لهذا الجهاز العلمي يسمخ على التجربة ، أهمية خاصة .
والواقع أن هذا الجهاز يقيس الفولتات الكهربائية في العضلات . ولا شأن له بالم
العضلات أو إجهادها . وهو جهاز لا يمكن أن يقال عنه (إنه قد ثبت نجاحه طبياً)
فما هو إلا جهاز للقياس ، شأنه شأن الترمومتر ، فلا يمكن مثلاً أن يقال يمكن مثلاً
أن يقال : (إن هناك ترمومتراً قد ثبت نجاحه طبياً) .

ما الذي يعنيه الجهاز حقاً بالنسبة إليك ؟ إنه لا يعنى الكثير ، فلقد استخدم
الجهاز في قياس شيء ما في العضلات فسر بأنه راحة للعضلات بعد إجهادها .
ويفهم من الإعلان أنك إذا تركت الأمر للطبيعة فإن العضلات تسترد نشاطها
بنفسها ، وإن يكن الإعلان لم يوضح كم من الزمن يلزم لذلك . فإذا كانت العضلات
المكدودة تحتاج إلى عشر دقائق لتسترد نشاطها فإنه لا معنى لاستخدام دواء لإعادتها
إلى حالتها الطبيعية في خمس دقائق ، فإنك عندما تنتهي من وضع الدواء على العضلات

ستكون الدقائق العشر قد انتهت وتكون العضلات قد ارتاحت تماماً ولم يعد بك حاجة إلى دواء .

ولكن بالطبع إذا كان الشفاء بالطريق الطبيعي يستغرق ٤ ساعات فإن توفير ساعتين يعتبر أمراً يستحق الاهتمام . ولكنك ترى أن « التجربة » غامضة وعديمة المعنى بحيث يصعب تصديقها والاعتماد عليها . وأغلب الظن أن واضع الإعلان « يوضبون أوراق اللعب » بالطريقة التي تلائمهم .

ومن المهم أيضاً أن نلاحظ سوء استخدام كلمة « ثبت » ، فكما لاحظنا في الفصل الخامس يلزم لإثبات نقطة ما أكثر بكثير من مجرد تجربة بسيطة تجري بآلة ما . إن إثبات حقيقة علمية أمر صعب جداً ويستتبع عادة بحثاً مضنياً ، ومع ذلك فإن كتاب الإعلانات لا يترددون في استخدام هذه الكلمة العلمية الهامة لأغراضهم الخاصة . وفي الإعلان المهار إليه من الممكن أن تكون التجربة قد أثبتت ما يدعيه صاحب الإعلان ، ولكن من الممكن أيضاً أن تكون التجربة لم تثبت شيئاً على الإطلاق .

لاحظ أيضاً أن الإعلان لا يتحدث عن (تجربة ثبت نجاحها طبيياً) ، ولكنه يتحدث عن (جهاز لقياس تقلص العضلات ثبت نجاحه طبيياً) فإذا كانت التجربة قد أجريت بواسطة علماء معروفين موثوق بكلماتهم فلماذا لم تذكر هذه الحقيقة؟ إن أى كاتب إعلانات كفء لا بد أن ينتهز مثلى هذه الفرصة ليستشهد بعالم معروف أو بهيئة علمية معروفة لو استطاع . فمثلاً حدث من مدة قريبة أن أعلنت (الجمعية الأمريكية لأطباء الأسنان) بعد فترة طويلة من التجريب أن التجارب التي أجريت على مركب معين من مركبات الفلورايد في معجون الأسنان تساعد على منع تسوس الأسنان . وسرعان ما قامت الشركة صاحبة امتياز هذا المركب ، والتي تستخدمه في إنتاج معجون الأسنان ، بإذاعة هذه النتيجة على الجمهور بواسطة حملات دعائية قوية . واستشهدت الشركة (وهي محقة في ذلك) بنتائج البحوث العلمية ما شاء لها الاستشهاد . وبعد قليل ارتفع رقم مبيعاتها ارتفاعاً كبيراً .

ولكن مثل هذه الحالات نادر جداً . وفي معظم الأحوال تكون التجارب العلمية الغامضة التي تستشهد بها الإعلانات عديمة المعنى أولاً تنطبق على الحالة أولم

تجرب بطريقة صحيحة . وفي الغالب يكون من أجراها من الهواة ، بل قد تكون تلك التجارب من وحي كاتب الإعلان نفسه .

العملات التي يجري لها اللعاب

من أهم واجبات كاتب الإعلانات أن يجعل الساعة العادية تظهر أئمن بكثير من قيمتها الحقيقية وأكثر جاذبية مما هي في الواقع . لاحظ كيف يستخدم استغلال العاطفة في الإعلان الآتي :

حجرة نوم « كابينو » رائعة

جديدة ، مثيرة بشكل يسبغ معنى جديداً على كلمة « عصري » ، في كل خط من خطوط هذه الحجرة الأنيقة فكرة جديدة ، قشرة بيضاء فاخرة ناعمة كالحرير ، يزيد ما توكيدا نحاس أصفر مصقول ، أعمدة رشيقة مجزعة ، كل قطعة من أثاث الحجرة ترتفع عن الأرض على أرجل تستدق بالتدرج . إن فرصة « كابينو » المصنوعة من البلاستيك غير القابل للاحتراق تتناسب تماماً مع لمعة الخشب .

يمكنك شراء الحجرة بكاملها أو قطع منها كما يروقك .

حقاً إنها الحجرة للنوم جديدة بالفخر .

قد يكون هذا « الطقم » لحجرة النوم طقماً جميلاً حقاً ، ولكنه قد يكون كذلك أثاثاً عادياً تماماً ، أو أثاثاً من نوع رديء . لاحظ كيف تؤكد كل صفة استخدمها الكاتب معنى البذخ وامتياز الصنف وجمال الصنعة . لاحظ استخدام هذه الكلمات والعبارات وأمثالها : جديدة ، مثيرة ، معنى جديداً ، خطوط أنيقة ناعمة كالحرير ، فاخرة ، يزيد ما توكيدا ، النحاس الأصفر المصقول ، الأناقة ، الأعمدة المجزعة ، ترتفع عن الأرض على أرجل تستدق بالتدرج الخ . . لو أن هذا

الإعلان كتب بدقة وبطريقة موضوعية بحيث لا يصبح الوصف مملاً لاهية فيه .
فلنحاول هذه الطريقة :

حجرة نوم كابينو ذات لمعة جميلة

طقم حجرة نوم عصرية ، بضاعة جديدة ، قشرة بيضاء تعيش طويلاً ،
مقابض من النحاس الأصفر ، أعمدة وأرجل مستدقة — قرصة من البلاستيك
غير القابل للاحتراق تمنع ما يحدث من تلف نتيجة للسجاير المشتعلة أو السوائل .
طقم نوم يعتبر « لقطة » لمن يشتريه .

إن هذا الأسلوب العاطفي لكتابة الإعلانات التي « يسيل لها اللعاب » أقل
ضرراً من أسلوب الأقوال المضللة . ولكن يجب أن يكون المشتري على حذر
حتى لا يشتري السلعة بمجرد أن اللغة البارة المستخدمة في الإعلان قد اجتذبتة إليها .

ويستخدم هذا النوع من الإعلان بكثرة في بعض أساليب البيع عن طريق
البريد ، وهو أسلوب يشتري فيه « الزبون » السلعة على أساس ما يقرؤه عنها ،
بالإضافة إلى صورة لها صممت بحيث تفضله .

الاعماله الذي يخلق حالة الذعر

بعض الإعلانات تصمم بحيث تقنع الناس بالشراء . وذلك بأن تخلق حالة
ذعر ، فالإعلان يوحى إلى الناس بأنهم ما لم يستعملوا تلك السلعة سيحصل بهم ضرر
عظيم . وربما كانت السلعة مطلوبة لمنع نفور الجنس الآخر أو للوقاية من مرض
يخشى أن يتطور إذا لم يؤخذ الدواء المعلن عنه . لاحظ كيف يستخدم هذا الأسلوب
العاطفي في الإعلان الآتي :

هل تخشى نزلات البرد الآخذة في الانتشار؟

لا تنتظر حتى تعطس أو يزكم أنفك . خذ « ريدسو » في الحال وواظب
على الفراغرة كل بضع ساعات إلى أن يذهب الخطر .

إن «ريدسو» يقتل الجرائم بالملايين — ولقد أجريت اختبارات استغرقت ١٢ عاماً تبين منها أن أولئك الذين غرغروا بريدسو مرتين في اليوم كانت إصاباتهم بالبرد أقل ومدتها أقصر، كما كانت أخف من إصابات أولئك الذين لم يستخدموه.

قد تقول: ربما كان الاعلان على حق، فكيف لنا أن نعرف؟

إن هناك اختباراً معقولاً جداً: إن الأطباء مصدر يمكن الاعتماد عليه للحصول على المعلومات رداً على هذه الأسئلة. إن الطبيب أقدر من سواء على أن يصف لك الدواء. والواقع أن الأطباء ينصحون الناس ألا يتعاطوا مثل هذه الأدوية عند ما تصيبهم الأمراض، بل عليهم أن يستشيروا الطبيب. ولكن بما يؤسف له أن الكثيرين من الناس يفضلون على ما يظهر أن يصفوا الدواء لأنفسهم اعتماداً على ما يقرأون من إعلانات، بدلاً من أن يدفعوا أجر طبيب يقدم لهم النصيحة العلمية الخالصة.

ويجب أن نلاحظ أيضاً أننا لو اتبعنا نصيحة الإعلان فإن الغرغرة يجب أن تستمر كل بضع ساعات من ساعة الميلاد حتى الوفاة. فالإعلان يقول: (لا تنظر حتى تعطس أو يزكم أنفك. خذ «ريدسو» في الحال واظب على الغرغرة كل بضع ساعات إلى أن يذهب الخطر فإذا كنت أن تفتظر حتى تعطس أو تزكم فمعي هذا أنه يجب أن تبدأ الغرغرة الآن، وأني لك أن تعرف أن الخطر قد زال؟ لا بد لك إذن أن تظل تغرغر مدى الحياة.

لاحظ أيضاً الأسلوب «شبه العلمي» في هذا الإعلان. «لقد أجريت اختبارات استغرقت ١٢ عاماً تبين منها أن أولئك الذين غرغروا بريدسو مرتين في اليوم كانت إصاباتهم بالبرد أقل ومدتها أقصر. كما كانت أخف من إصابات أولئك الذين لم يستخدموه» ولم يذكر أي مصدر طبي يمكن الرجوع إليه في شأن هذه الاختبارات، فهل قام بها علماء، أو قام بها فني تستخدمه الشركة المنتجة لريدسو؟ وهل لوحظ التحسن على أساس دليل موضوعي أو اعتماداً على أقوال موظفي الشركة؟ أي يمكن أن تكون الغرغرة بالماء المالح مفيدة بنفس الدرجة؟

أو ربما بدرجة أكبر؟ إن التجربة إذا أريد منها أن تحدد فائدة الدواء لانغنى شيئاً ألبتة مالم توجه هذه الأسئلة ويجب عنها .

المرحوم المتعلق (المراهق) :

أعلنت إحدى شركات السجائر عن منتجاتها بقولها إنها تمتاز « بفلتر الرجل المفكر » . وأظهر إعلانات هذه الشركة في التليفزيون بعض رجال الأعمال وأصحاب المهن الهامة ، وفي ختام كل منظر كان الشخص يظهر وهو يشعل سيجارة من النوع المعلن عنه بالذات ، ويختم المذيع بالإشارة إلى سيجارة (ABC) التي تمتاز « بفلتر الرجل المفكر » .

والواقع أنه لا علاقة ألبتة بين الرجل المفكر واستخدام هذا النوع من السجائر ذي الفلتر . ولا يوجد ثمة أى دليل علمي يثبت أن هذا الفلتر أحسن بشكل محسوس من أى فلتر آخر . ثم إن « الرجل المفكر » يميل إلى الإقلاق من التدخين أو الإقلاع عنه كلية ، لأن هناك دلائل قوية على أنه قد يسبب سرطان الرئة . والمفروض أن الرجل المفكر الذى يرغب فى التدخين لابد أن يستوثق مما إذا كان الفلتر يفيد أية فائدة فى إقلال خطر التدخين ، وما إذا كانت سيجارة ABC بالذات هى الأحسن من هذه الناحية .

إن هذا الإعلان يستخدم طريقة استغلال الغرور الشخصى لبيع السلعة ، فكثيرون من الناس يحتاجون عاطفياً إلى الشعور بأنهم أعلى مكانة من سواهم . والإعلان يسد هذه الحاجة العاطفية إلى التعالى بأن يوصى بأن أى إنسان يدخن سجائر ABC هو شخص « مفكر » .

وتستخدم عدة أشكال من المداينة فى هذا النوع من الإعلان ، فبعضها يدعى أن الشخص الذى يستخدم سلعة معينة ينتمى إلى « الطبقة الراقية » ، وبعضها يقول عنه إنه من أولئك الناس « ذوى الذوق المرفه » . وتستخدم الشهادات أحياناً لتؤيد هذه الأقوال ، ولكن جميع هذه الإعلانات تعتمد أساساً على استغلال الحاجات العاطفية للناس .

إننا لا يمكن أن ندعى أننا قد استنفدنا جميع الوسائل التي تستخدمها الإعلانات المضللة ، وأنت عندما تحلل الإعلانات تحليلًا دقيقًا ناقدًا ستجد وسائل أخرى كثيرة شبيهة بما ذكرناه . وهناك باستمرار أساليب جديدة لتجذب انتباهك ولتقنعك بشراء منتجات معينة . ومن بين ما اقترح أخيرا الإعلان « اللا شعوري » الذي يعتمد في إبلاغ رسالته عن طريق السينما والتلفزيون على صورة لفظية خاطفة تسجل على شبكة العين لا شعوريا دون أن يراها المشاهد . وليس من الواضح إلى أي حد يمكن أن تنجح هذه الطريقة ، ولكن قد وجه نقد شديد إلى هذه الطريقة المفرطة في الإعلان فلم تلبث أن تلاشت سريعا ، وإن كان لا يبعد أن تظهر من جديد في يوم من الأيام ، ربما في أشكال أخرى .

إنك تستطيع أن تحلل الإعلانات من مضايقات ثقيلة إلى تدريبات شائقة في التفكير ، فادرس الاعلانات التجارية في التلفزيون والصحف والمجلات وتعلم كيف تكشف أخطاء التفكير . إن هذه العملية — فضلا عن أنها ستعينك على شراء ما تحتاج إليه — ستكون متعة لك كذلك .

حاول أن تجد الحلول لهذه المسكلات :

(الحلول في آخر الكتاب) .

ادرس هذه الاعلانات حاول أن تكشف ما فيها من عيوب من وجهة نظر المستهلك . ثم قارن إجاباتك بالإجابة المدرجة في آخر هذا الكتاب .

١ — إن العارفين من الناس يشتررون وسكى « كاليجولو » ؛ لأن لهم ذوقا مهنيا راقيا ، ولأنهم يدركون قيم الأشياء .

٢ — أوجد أربعة تعبيرات مضللة في هذا الإعلان :

« اسكن بدون إيجار تقريبا : »

منازل جميلة مبنية بالآجر ، كل منها لأسرتين .

- ٣٠ دولارا تقريبا كل شهر تغطي كل شى .
 غرفتان فسيحتان للعب فضلا عن حمام إضافى .
 ابتداء من ٢٤٩٩٠ دولارا .
 (اختبارى)

٣ - إذا شئت ان تمنع نقص الفيتامينات تناول الفيتامينات التى تبدأ عملها عندما يكف الطعام عن العمل إن قرصا واحداً من أقراص Unito المتعددة الفيتامينات ، إذا أخذ مرة واحدة يومياً يزود الجسم بكل الفيتامينات التى يحتاج إليها البالغ أو الطفل هادة حتى الوجبات التى يظن أنها متزنة تماماً لا تحوى أحياناً الفيتامينات الكافية خذ . Unito

٤ - إن رسكى الشيلم « ديلبارتو » يختم يومك فى نعومة ويبدأ أمسياتك فى نعومة . بعد عملك الشاق اليومى انضم إلى الملايين الذين يرحبون بالساعة المهدئة - ساعة الشفق التى اعتادوا أن يأخذوا فيها رسكى الشيلم « ديلبارتو » سواء أكنت فى بيتك إلى جوار مدفتك ، أو خارج بيتك مع أصدقائك فأنت فى حاجة إلى أن تستجم وتذوق أكثر أنواع الرسكى الأمريكى رواجاً وأكثرها أرضاء .

٥ - إن سجائر كونسويلو ترضيك بنكهتها . إنها نكهة حبيبة إلى نفسك ليست تلك النكهة التى أفسدها الفلتر ؛ ولاتلك النكهة الجافة ، لاهى بالسجائر الجامية ولاهى بالسجائر الخفيفة . بها دائماً سجائر مضبوطة .

٦ - إن سيجارة واحدة من سجائر المنتول يجب أن « تتفوق فى النكهة » على ماعداها ، وتلك هى سيجارة « صحارى » ،

إن سبعة من كل عشرة من المدخنين يقولون إن سيجارة « صحارى » بها القدر الكافى بالضبط من المنتول (روح النعناع) القدر الكافى لحسب .

٧ - صورة تظهر بها ليونة تعصر فى اتجاه لذب شمع فتشتعل الزيوت الخارجة من الليمونة ، ويقول الاعلان :

انظر إلى النسكمة

هذا دليل مرئي . إن ثني قشرة الليمون يخرج منها أبخرة متطايرة ، وهي الخلاصة الطبيعية « لجنجرو » ، يشعاعها لهب الشمعة . ها هنا دليل على أن هذه الزيوت المتطايرة موجودة في قشور هذه الفواكه الغضة « الطازجة » الطبيعية .

تذوق الصودا الممتازة

« جنجرو »

٨ - إن الاختبارات التي أجريت على أربعة أنواع من المسكنات قد أثبت أن :

« بروتو »

يبدأ في تخفيف الألم أسرع من أى دواء آخر

٩ - لماذا تدفع ١٩ سنتا زيادة في شفرات الحلاقة ؟

أن « أمواس زيبى » ، هي أنفخ ماصنوع من شفرات

ومع ذلك فإن ثمنها أقل بمقدار ١٩ سنتا

١٠ - إن كمية بروتين لحم البقر « الطازج »

في العلبة الواحدة من

باريس دوج فود (طعام خاص بالجراء الصغيرة)

تعادل ثلاثة أمثال الموجود منها في أى طعام جاف للكلاب ، وفي معظم الأطعمة المعلبة .

لقد استغرق إنتاج وسكى

« أبيتومى »

ثلاثين عاما كاملة

١٢ -- اكتشف خمس حيل إعلانية فى هذا الإعلان

غط جدران بيتك الخارجية

« بيبورستون »

واستغن عن الطلاء . لا يحتاج إلى أية صيانة

يخفض فواتير الوجود بمقدار ٣٠ ٪ يبرد المنازل بمقدار ٢٥ درجة

لا تدفع شيئا مقدما

كل أربعة أجزاء تكلف ١٢٩ دولار و ٢٥ سنتاً

١٣ -- أرقى الأصناف

تباع بأقل أسعارنا

١٤ -- بع ساعتك القديمة وخذ مقابلا لها من ٦ الى ١٦ دولاراً

لدينا ساعات جديدة ١٧ حجر ماركة « بوتيفل » ٤٩ دولاراً

تخفيض يصل إلى ١٦ «

الذين المطلوب منك ٣٣ « فقط

١٥ -- إن الأطباء ينصحون باستعمال ريميدكس انزلات البرد

١٦ -- لاشئ يضارع هذا فى تاريخ العروض المسرحية

هكذا اتفق النقاد والجمهور

هذا أعظم عرض مسرحى على طول الزمن

SECRET

الإجابة على المشكلات

الإجابة على المشكلات التي وردت في نهاية الفصل الثاني

١ — يمكن القول بصفة عامة إن العبارات الثلاث تحوي بعض النصائح النافعة مثل « كن سخيًا » ، « وكن نشيطًا » ، « و«أعن أولئك التي يحتاجون إلى عون » . إن هذه النصائح ذات صبغة عامة بحيث يمكن أن تنطبق على أي شخص بصرف النظر عن برجه الفلكي . وليست هناك وسيلة عملية لإثبات وجود أية صلة بين مثل هذه النصائح ومواقع النجوم .

وفيما يلي تعليقات خاصة بكل طالع على حدة :

(١) لاحظ «س» ، التسوييف ، «إذا» ، «صلة» ، في العبارة التي تقول : « إن أحد ذوى المناصب الكبيرة والنفوذ العظيم سيقدم لك نصيحة ممتازة وعوناً كبيراً اليوم إذا أنت رتبته أمورك بحيث تكون على صلة به أو بها » . فما نوع الصلة ؟ وهل المقصود أن تكون قريباً من ذلك الشخص طول الوقت ؟ وإلى أي مدى يكون هذا القرب ؟ ألابد للإنسان أن يضايق الناس ويهمل عمله لكي يحقق هذا الغرض ؟

فإذا حاول قارئ الطالع أن يكون قريباً طول اليوم من هذا الشخص « ذوى النفوذ الكبير » ، ومع ذلك لم يحصل على « نصيحة ممتازة » ، استطاع المنجم أن يقول له : « إنك لم تكن قريباً بالدرجة الكافية » ؟ وإذا أعطيت النصيحة فعلاً فمن أين لمتلقي النصيحة أن يعرف إذا كانت ممتازة أم لا ؟

ولو حاولت أن تجري تجربة ما لتقف على مدى صدق العبارة ، أولتعرف ما إذا كانت أكثر انطباقاً على المولودين في برج الحمل منها على غيرهم ، فإنه يتعذر عليك أن تختبر صحتها بأي دليل موضوعي .

(ب) لنفرض أنه ليس لك صديق واسع الشهرة والثراء . ثم إلى حد يجب أن يكون شهيراً ثرياً ؟ فإذا ظننت أن لك مثل هذا الصديق ، ولـكنك لم تكن واثقاً بما تظن ، ثم سألتك النصيحة فلم يجب طلبك ، فإنك تستطيع أن تعزو ذلك إلى أنه لم يكن على درجة كافية من الشهرة والثراء .

(ج) هذا الطالع مليء بالنصائح العامة المفيدة لجميع الناس . ولاحظ هذه العبارات :

« كن ماهراً » ، « التي ترغب في شرائها بشمن معقول » ، فما درجة المهارة ، المطلوبة منك ؟ وما المقصود « بالثمن المعقول » ؟

٢ - (أ) إن أوراق الأشجار عادة خضراء ، ولـكنها ليست دائماً كذلك . فالكثير من الأشجار تصبح أوراقها صفراء ، أو بنية ، أو حمراء ، في فصل الخريف في المناطق المعتدلة . ولبعض الأشجار أوراق نحاسية اللون في الربيع . ولهذا تحتاج العبارة إلى تعديل لتنطبق على هذه الحالات .

٢ - (ب) إن الزجاج عادة شفاف ، ولـكن السبب في ذلك ليس طبيعة الزجاج ، وإنما لأننا نريده كذلك . ويمكن بسهولة أن تجعله نصف شفاف ، أو معتماً ، ولـكنه في هذه الحالة يكون أقل فائدة من الزجاج الكامل الشفافية . ولهذا يمكن اعتبار العبارة القائلة بأن الزجاج شفاف صحيحة بصفة عامة ، حتى وإن هناك أنواع كثيرة من الزجاج غير شفافة .

٣ - (ج) إن المعادن عادة صلبة ، ولـكن بعض المعادن - كالنحاس الأحمر والرصاص - لينة . وهناك معدن يسمى « جاليوم » ، يذوب عندما نضغطه بين أصابعنا . ثم إن الحديد نفسه يصبح ليناً بالتسخين وينصهر إذا سخن تسخيناً كافياً . ولهذا فإن العبارة تحتاج إلى تعديل كبير لتصبح صحيحة .

(د) إن الشمس ، الكواكب مستديرة تقريبا ، ولكن بعض الكواكب مثل المشترى وزحل وكذلك الشمس - مفلطحة بسبب سرعة دورانها حول نفسها . وليست المذنبات مستديرة ، ونعتقد أن معظم الشهبيات والكواكب الصغيرة ليست مستديرة . أما النجوم فلم ير أحد قط مبلغ استدارتها . إن لدينا قرآن غير مباشرة على استدارتها ، ولكن هذا من الصعب إثباته . ولهذا فإن العبارة تحتاج إلى تعديل كبير .

(هـ) هذه العبارة صحيحة إذا نظرنا إلى هذه الأعداد في إطار النظام العشري المؤلف لنا . ولكن علماء الرياضيات يستطيعون أن يضعوا نظاما للأعداد على أسس أخرى غير الأساس العشري ، ولهذا فإن العبارة تحتاج إلى إيضاح ، أي إنه لا بد لنا أن نعرف النظام العددي المستخدم في هذه الحالة . وستعالج هذه النقطة بتفصيل أكبر في الفصل القادم .

(و) هذه العبارة تعتبر أقرب ما يمكن إلى أن تكون عبارة صحيحة ؛ فالكتب والصحف التي تقرأها ، والناس الذين تقابلهم - كلهم يقولون لك إن واشنطن هي عاصمة الولايات المتحدة . بل ويمكنك أن تذهب إليها وترى بنفسك بحضورك إحدى جلسات الكونجرس . ولهذا فما لم تكن هناك خدعة غير عادية تعتبر العبارة صحيحة .

(ز) إن العبارة التي تقول : « أنا موجود » قد يخيل إلينا أنها صحيحة تماما دون أدنى ريب . ومع ذلك فإن الكثيرين من الفلاسفة قد قدموا حججا قوية تثبت أن الوجود الوحيد هو العقل ، وأن أجسامنا والأشياء الحقيقية خارج هذه الأجسام كلها صور في عقولنا . والواقع أننا لا نستطيع أن نثبت إثباتا قاطعا أن الأشياء الحقيقية لها وجود خارج عقولنا ، لأن الطريقة الوحيدة التي نعرف بها شيئا من الأشياء هي العمليات التي تجري داخل عقولنا . فربما كنت إنسانا آليا في عالم آخر ، وكان هناك « شخص ما » يدير عقلا إلكترونيا يتحكم في الصور التي في عقلك ويجعلك تعتقد أنك موجود وأن الأشياء المحيطة بك حقيقية .

فإذا أخذنا ذلك في الحسبان على سبيل الاحتياط أمكن قبول عبارة : « أنا موجود » باعتبارها حقيقة .

(ح) « للخيل أربع أرجل » بعض الخيول قد بترت أرجلها . وقد تكون هناك خيول أخرى من فئات الطبيعة لها أقل أو أكثر من أربع أرجل . ومن يدري ؟ ربما وجد في منطقة نائية من الأرض نوع من الخيول يختلف عن خيولنا المعهودة في عدد أرجله . فإذا أخذنا في اعتبارنا هذه الشواذ البعيدة الاحتمال أمكن أن نقول إن العبارة تعبر عن حقيقة ملبوسة .

٣ — أولا : لا يكون الطبيب إنسانا موضوعيا إذا كان قد أعد عقله لإثبات شيء ما . فهو بدلا من أن يفعل ذلك كان يجب أن يصوغ سؤاله بهذا الشكل : هل تناول اللبن الرائب يؤثر في الإصابة بالبرد ؟ فإذا كانت الإجابة بـ « لا » فيجب أن يكون مستعدا لقبول هذه الإجابة كما لو كانت الإجابة « نعم » . وإلا فإنه ينحرف بالتجربة ليثبت ما يريد إثباته .

وثانيا : عند مناقشته للتجربة مع أولئك الناس الذين أجريت عليهم استطاع بسهولة أن يحصل على « تعاونهم » لمساعدته في « إثبات » ما أراد أن يشبته . وكان يكون أفضل لو أن المشتركين في التجربة لم يعرفوا أى صنف من الطعام كانت تجرى عليه التجربة ، بأن أعطيت ألوان مختلفة من الطعام لمجموعات مختلفة منهم لإجراء التجربة .

وثالثا : أنه باختباره فترتين زمنيتين متتابعتين مدة كل منهما ستة أشهر قد أدخل عاملا جديدا ، وهو تأثير الفصول المختلفة ، وبذلك أفسد على نفسه وسائل التحكم في التجربة ، فما كان ليستطيع في نهاية التجربة أن يستوثق أن ما قد يحصل عليه من نتائج راجع إلى فصل من الفصول المختلفة أو إلى شرب اللبن الرائب .

ورابعا : ينقص التجربة الدليل الموضوعي ، فإنه يجب أن يقرر ما إذا كان المشتركون في التجربة قد أصيبوا بالبرد أم لا عن طريق فحوص طبية ، وليس

بمجرد سؤالهم عن ذلك . ويصدق هذا بصفة خاصة إذا كانوا يعرفون الغرض من التجربة ويريدون أن يساعدوا على « إثبات » نظرية الطبيب .

٤ — ربما كان الأهالي الوطنيون يعتقدون في خرافة خاصة بأن هذا الشراب يطرد الساحرات ، وبذلك يمنع الأمراض . ولكن هذا لا يعني أن ذلك الشراب لا يفيد . فلنفرض مثلاً أن الأهالي يمانون من نقص الفيتامينات ، وأن تلك الجرعة تقدم لهم تلك العناصر اللازمة للغذاء الجيد . في هذه الحالة يكون للجرعة مفعول ، حتى وإن كان تعليل الأهالي لنجاحها تعليلًا خاطئًا . وهذه غلطية شائعة في التعليل . فبعض الناس عندما يجدون أخطاء في التعليل الذي يقوم به الآخرون يعتقدون أن النتائج التي توصلوا إليها خاطئة كذلك ، مع أنها ليست بالضرورة كذلك . فقد تكون النتيجة صحيحة حتى إذا كان التعليل خاطئًا . وسنناقش هذه النقطة بتفصيل أكبر في الفصل القادم .

ولهذا نخير للعالم أن يقوم بملاحظات وتجارب دقيقة قبل أن يحكم على الطريقة التي يتبعها الأهالي . وحتى إذا قرر أن ينتقد موقفهم من الساحرات فإنه يجب أن يحرص على عدم مهاجمة طريقتهم في التخلص من الأمراض ، فقد يكون مخطئًا ، وفي هذه الحالة سرعان ما يكشف الأهالي خطأه ، حينئذ يزدادون استمساكًا بطريقتهم الخاطئة في التعليل .

٥ — ليس هناك معيار موضوعي للقياس ، فالرجل الذي يحمل الربطة يشعر أن مادفع فيه عشرين دولاراً من أصناف البقالة أخف مما كان في الماضي ، ولهذا فهو يستنتج أن قدرته على حمل الأثقال قد تحسنت . ولكن يجب أن نذكر أنه ليست هناك بالضرورة صلة بين الوزن والثمن . فعندما ترتفع الأسعار يخف وزن الربطة التي يدفع فيها عشرين دولاراً . وقد يكون الرجل على صواب لو أنه شعر أن عشرين رطلاً من أصناف البقالة أسهل في الحمل الآن مما كانت في الماضي ، ولكننا إذ ذاك نتساءل : هل خائنته ذاكرته ؟

إن هذه الغلطية شبيهة بغلطة الطبيب الذي اكتشف الحبوب التي تقي من الإصابة بالركام ، ووجه الشبه هو أنه في الحالتين لم يكن الدليل موضوعياً ، وأن العامل

الذى يقاس ليس هو العامل الذى ينطبق على الحالة . فتجربة الطبيب يمكن أن تجرى لتبين أن الناس قد يعتقدون أن حالتهم تتحسن نحو الشفاء ، حتى إذا لم يكن هناك تحسن . كما أن الرجل حامل الربطة يمكنه أن يستخدم معلوماته كدليل على أن الأسعار قد ارتفعت . أما إذا شاء كل من الطبيب وحامل الربطة أن يثبتا وجود علاقات بين الأحداث التى يظنان أنهما يقومان بقياسها فلا بد لهما من الحصول على معلومات أكثر .

حلول المشكلات الواردة فى الصفحات من ٦٠ إلى ٦٣

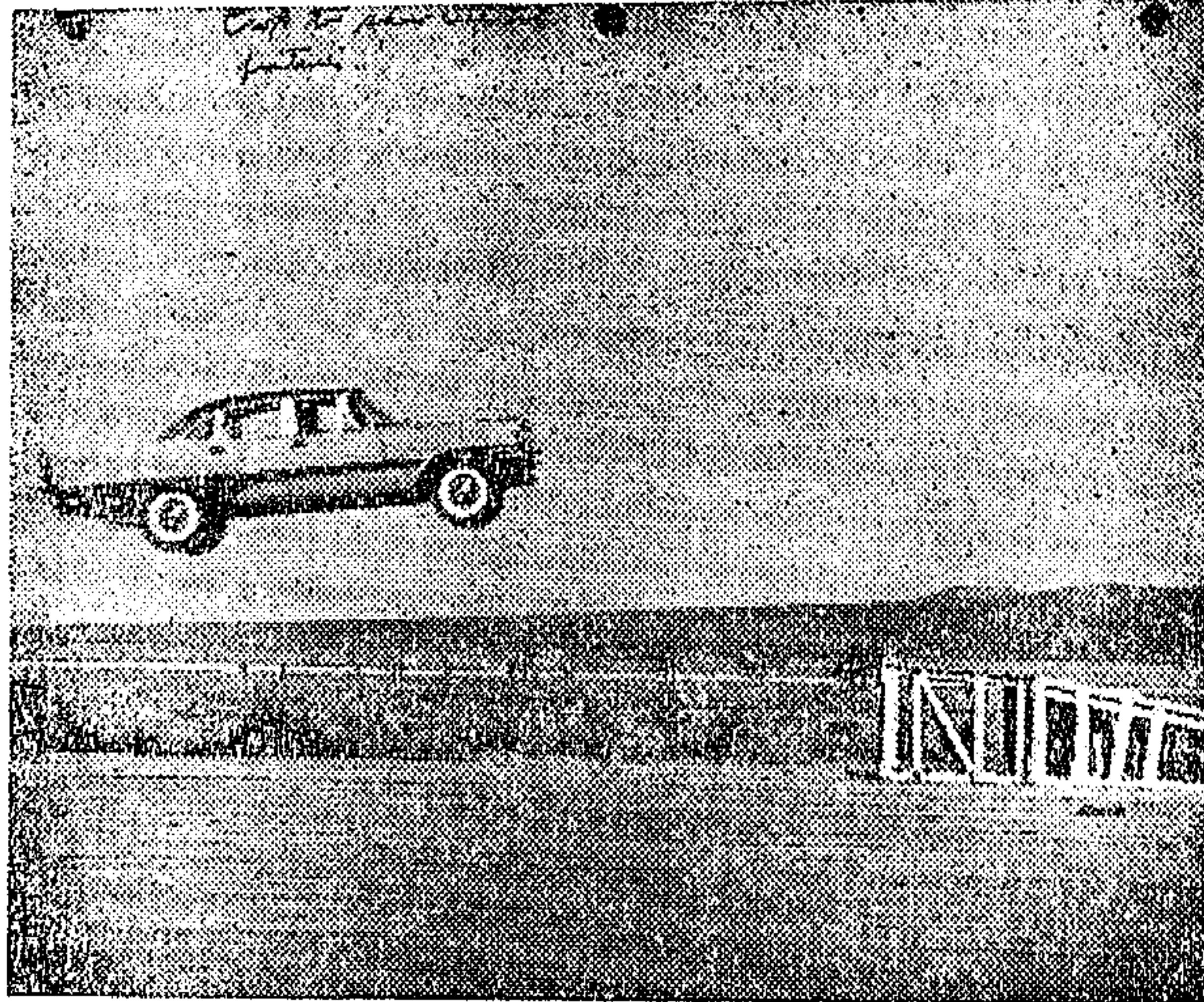
١ — تظهر فى الصورة سيارة نقل مليئة بالرمل واقفة قريبا من المنزل . فإذا أرجعت السيارة القهقرى إلى أسفل النوافذ، فإن أى شخص فى الطابق الثانى يستطيع بسهولة أن يقفز نازلا على الرمل . وتستطيع الفتاة أن تقفز بسلام من الطابق الثالث إلى السيارة المحملة بالرمل ، فإن المسافة التى ستقفزها قصيرة .

٢ — أهذه سيارة عادية ، أم هى نوع خاص من السيارات يستطيع أن يطير ؟ إن لها كل مظاهر السيارة الحقيقية ، وليست لها أية أجنحة أو أجزاء أخرى من أجزاء الطائرات ؟ فمن المحتمل جدا أن تكون سيارة عادية .

هل كانت السيارة تتحرك ؟ أم هى معلقة فى الهواء ، إن صورة السيارة مهزوزة قليلا، فى حين أن كل ما عداها من الأشياء فى الصورة واضح وضوحا تاما . وتصبح الصورة مهزوزة إذا كانت السيارة تتحرك حركة جانبية نحو آلة التصوير ، وإذن يمكننا أن نستنتج أن السيارة تتحرك وليست معلقة .

ما الذى يمكن أن يجعل سيارة تطير ، فى الهواء ؟ ليس من الضرورى أن تكون طائرة بالمعنى الذى تطير به الطائرة وتظل مرتفعة فى السماء . وربما دفعت السيارة فى الهواء من على حافة مرتفعة ، وفى هذه الحالة فإننا نعرف من خبرتنا أن السيارة تسقط ولكنها تتحرك للأمام كذلك بقوة القصور الذاتى . وكلما كانت سرعة سيرها كبيرة كبرت المسافة التى تقطعها سائرة للأمام أثناء سقوطها . فإذا صبح هذا التفسير فإن الرصيف ، المنحدر (المزلقان) الموجود إلى يمين الصورة قد أعد لتمكينها من النزول بسلام بدلا من تركها تصطدم بالأرض .

والشكل (٢١) يبين ما حدث فعلا ؛ فقد دفعت السيارة صاعدة على المنزلق في يسار الصورة فاندفعت في الهواء بقوة القصور الذاتي ، ثم نزلت على المنزلق الذي في يمين الصورة . فإذا كانت السرعة والاتجاه ثابتين دائما ومحسوبين بدقة فإن السيارة ستسير دائما في نفس الطريق وتنزل على المنزلق الثاني بنفس الطريقة . وهكذا نجد أننا إذا تحكنا في السبب نتحكم أيضا في النتيجة بحيث تكون مأمونة العواقب .



(شكل ٢١)

(شكل ٢١) في هذه الصورة يظهر المنزلق الذي حذف من الصورة في (شكل ٨) والآن وقد ظهرت الحقيقة الناقصة تغيرت نظرتنا إلى السيارة « الطائرة » .

٣ - (١) يظهر أن النمط المتكرر هو تكرارات ن در ، ولهذا فإن الحروف التي تلي الحرف الأخير ت يحتمل أن تكون ن در ت ن در إلخ ..

من حروف الهجاء ، ويتبع نفس النظام في الحروف التالية . ثم لاحظ أن تتابع الأرقام كالآتي : ٣ ، ٢ ، ٥ ، ٤ ، ٧ ، ٦ فكل مجموعة من الأرقام تبدأ أعلى من المجموعة السابقة لها بعددين ، والعدد الثاني في كل مجموعة يقل بواحد عن العدد الأول ، وعليه يكون التتابع بهذا الشكل :

٣ / ٢ / ت / ب / ٤ / ٥ / ج / ث / ٧ / ٦ / خ / ح / ٩ / ٨ /
ذ / د / الخ .

٤ — لقد لاحظ هنري علامة سوداء على أنف جيم ، ولما لم يلاحظ مثل هذه العلامة على أنف بول ، فكان تفكيره بهذا الشكل : إما أن تكون هناك علامة سوداء على أنفي أو لا تكون . فلنفرض أنه لا توجد علامة . فعلى أساس هذه المقدمة استنتج أن جيم يرانى ويرى بول بغير علامة سوداء . وحيث إن واحداً منا على الأقل قد أخذ العلامة فإن جيم يستنتج أنه لا بد أن يكون هو نفسه قد أخذ العلامة ، وكان يجب أن يكون قد استنتج ذلك الآن . ولما كان هذا التعليل مبنى على فرض أنى أنا لم آخذ العلامة ، ولهذا فالفرض خطأ ، وإذن استنتج أنى قد أخذت العلامة .

٥ — لقد لاحظ جيم علامة على أنف كل من هنري وبول ، ففكر بالطريقة الآتية : إما أنى أخذت علامة سوداء . وإما لم آخذ . فلنفترض أنى لم آخذ العلامة . في هذه الحالة سيرى هنري شخصاً واحداً قد أخذ العلامة ، وشخصاً آخر بدونها ، وحينئذ يكون الموقف مشابهاً تماماً للموقف في المشكلة السابقة . ويستطيع هنري (أو بول) أن يخمن أنه قد أخذ العلامة . ولقد مضى وقت كاف يسمح له (أو بول) أن يصل إلى نتيجة ، ولما لم يزل شيئاً حتى الآن ، وإذن فلا بد أن الفرض الذى افترضته خطأ ، وأكون أنا قد أخذت العلامة .

٦ — يستنتج من العبارة ج أن :

هـ — المستر كوك إما أن يكون الخياط وإما الخباز .

و — المستر تيلور إما أن يكون الطاهى وإما الخباز .

ز — المستر بيكر إما أن يكون الطاهى وإما الخياط .

ح — حيث إن المستر كوك قال العبارة ج ورد عليه الخباز (بالعبارة د) فيستنتج أن المستر كوك ليس الخباز . ويستنتج من العبارة هـ أن المستر كوك لا يمكن أن يكون إلا الخياط .

ط — طبقا للعبارة ز إما أن يكون المستر بيكر هو الطاهى وإما الخياط ، ولكن حيث إننا نعرف بالاستنتاج ج أن المستر كوك هو الخياط فإذا لا يمكن أن يكون المستر بيكر هو الخياط ، وعليه فلا بد أنه الطاهى .

ى — لم تبق للمستر تيلور مهنة سوى الطاهى .

حلول المشكلات الواردة على الصفحات من ٨٩ إلى ٩١ :

١ — إن الضمير الموصول «ها» فى كلمة «د» منها ، فى الجملة الثانية يمكن أن يشير إلى كلمة «الحيوانات» ، أو كلمة «البرك» ، الواردتين فى الجملة السابقة . لاحظ أيضاً أن الجملة الأخيرة من القطعة تشير إلى «زرع» ، الأميبا لأول مرة . وأخيراً يلاحظ أن الضمير الغائب «ها» فى كلمة «لدراستها» ، فى الجملة الأولى من الفقرة الثانية بعيد جداً عن كلمة «الأميبا» التى يشير إليها ، ولهذا فنلخص أن تكرر كلمة «الأميبا» وتحدف «ها» فتقول : «ولابد لك من مجهر لدراسة الأميبا» . وإليك القطعة كلها بعد أن أعيدت صياغتها ، وقد وضعنا خطوطاً تحت التصحيحات التى أجريناها .

« الأميبا حيوانات صغيرة جدا تعيش في البرك ، ولأنك لتجد الكثير من هذه الكائنات في الطمي الذي يؤخذ من قاع بركة . اجمع بعضا منها من بركة وازرعها في إناء ، ويجب أن تترك الأميبا مدة أسبوع وهي مزروعة لتتمو قبل أن تجرى تجاربك .

ولابد لك من بجهز لدراسة الأميبا . ومن المرغوب فيه أن تكبرها
... مرة » .

٢ - ١ - إن كلمة « فريد » معناها « وحيد في نوعه » ، وعليه تكون عبارة « أكثر تفردا » عبارة متناقضة مع نفسها . وفضلا عن ذلك فإنه يستحيل أن نعرف إذا كان شيء ما يصدق على « كل العصور » ؛ لأن « كل العصور » تشمل المستقبل فضلا عن الماضي .

ولكن تكون العبارة صحيحة يجب أن تكتب هكذا « لقد كانت « بيل روث » واحدة من أبرع من عرفنا من لاعبات البيسبول » .

٢ - ب - إن القنبلة الهيدروجينية ليست أكبر ولكنها أقوى .

وعليه تكون العبارة مصححة .

« يوجد الآن نوع من القنابل وهو - القنبلة الهيدروجينية - أقوى من جميع القنابل التي استخدمت في الحروب العالمية الثانية » .

٢ - ج - في عبارة « ممتعا بشكل فظيع » تناقض لفظي يتنافى مع المنطق ولتصحيح العبارة يمكن أن تكتب على النحو الآتي .

« لقد أمضوا وقتاً ممتعاً في حلبة الترحاق » .

٢ - د - إن عبارة « في متاعب » غير محددة المعنى ، كما أننا عادة نعتبر المرض راجعا إلى البكتيريا أو الفيروس ، وليس إلى الخنافس .

ويمكن أن تكون العبارة أدق لو كتبت على النحو الآتي :

« إنك ترى أن الأشجار هنا قد ابتليت بالخنافس » .

٢ - هـ - « أحسن » من ماذا ؟ وكذلك لاحظ أن عبارة « لمدة أطول زيادة » فيها تكرار لنفس الشيء - ثم : أطول من شيء ؟

ويمكن أن تكون العبارة أدق لو كتبت على النحو الآتي :

« إن مذاق الحبوب الساخنة أحسن من المعتاد هذا الصباح ؛ لأنها طهيت لمدة أطول قليلا » .

٣ - أ - ليس من الممكن أن نثبت من هم « أكثر الناس مودة في العالم » ، لأن تعبير شائع لا يمكن تحديده معناه بدقة . وفضلا عن ذلك فإنه لا شك أن هذه الصفة تتفاوت تفاوتاً كبيراً بين ملايين الناس الذين يكونون شعباً من الشعوب .

٣ - ب - إن مقترحات عدد كبير من الناقحين لابد أن تتعارض بسبب اختلاف ميولهم واتجاهاتهم إلخ . . . وواضح أنه من المحال تأييد جميع هذه المقترحات .

٣ - ج - إن هذه العبارة نفسها تعميم ، فإذا صدقت كانت كاذبة . فالعبارة إذن تناقض نفسها بنفسها .

٣ - د - إن هذه الجملة تحتمل معنيين ، فهل يهمنا أن نعرف . متى قالت « ايها ، تلك العبارة ؟ أو متى ستخبرنا ؟

٤ - إن المناظرة تعني أن هناك موضوعاً سيناقش من جانبين متعارضين ، وأنه لذلك سيكون هناك اختلاف في الرأي ، ولهذا فإن النص على أن موضوع المناظرة هو « أي موضوع لا يختلف عليه أحد » يتعارض والمعنى المفهوم من المناظرة .

٥ - تعتبر العبارة المصاحبة للرسم (شكل ١٢) فكرة لأن فيها تناقضاً ، فالشخص « حسن الهيئة » هو الذي « يظهر كذلك » . فإذا كانت « صديقتي » لا « تظهر كذلك » فهي ليست حسنة الهيئة .

ولكن هناك نقطة دقيقة تتصل بهذا الموضوع فقد ، يظهر الأشخاص الذين ليسوا على قدر من الجمال بل حتى الذين يمكن أن يوصفوا بالدمامة . قد يظهرون على جانب من الملاحظة وحسن الهيئة في نظر أولئك الذين يحبونهم حباً عميقاً . كما أن هذا الخلاف في وجهة النظر قد ينتج عن اختلاف المعايير لدى المجموعات المختلفة من الناس . ولهذا فقد تدخل في الموضوع خلافات متصلة بعلم معاني الألفاظ .

حلول المشكلات الواردة على الصفحات من ١١٤ — ١١٦ :

١ — عند ما أقام اللافتة لتريه الاتجاه الذي قدم منه — وهو اتجاه معروف له — أصبحت كل الاتجاهات الأخرى في موقعها الصحيح .

٢ — إليك بعض العمليات البسيطة التي يمكنك إجراؤها للوصول إلى حل المشكلة :

١ — انظر إلى منظم درجة الحرارة لتعرف هل قد ضبط على الدرجة المطلوبة ؟ فإذا كان مضبوطاً على درجة شديدة الانخفاض فإنه إن يدفئ المنزل . ويحدث أحياناً أن المنظم يحتل ضبطه نتيجة لتبريد المسححة (أى فوطة التنفيض) عليه أثناء تنظيف المنزل .

ب — ابحث لتعرف هل مفتاح الخطر (وهو عادة في بر السلم المؤدى إلى البدروم أو قرب خزان الزيت) مضبوط على علامة د افتح ، أو علامة د اقفل ، ؟ فإذا كانت الأخيرة فلن تكون هناك تدفئة .
ج — استوثق من وجود زيت في خزان الوقود .

د — انظر لتري ما إذا كانت بعض أسلاك الانصهار الواقية قد احترقت . فإذا كان أحد هذه الأسلاك قد احترق فربما أدى ذلك إلى قطع التيار الكهربائي اللازم لإشعال الفرن . (إذا كان منظم الحرارة يعمل بواسطة ساعة كهربائية ثم وقفت هذه الساعة لسبب من الأسباب — بسبب سلك انصهار محترق مثلاً — فإن المنظم سيكون محتل التوقيت بعد ذلك دائماً . وعندما يقطع التيار أحياناً بمناسبة عطلة من العطلات .

فإن ساعة المنظم قد تضبط على الوقت الصحيح . ولكن الليل وليس للنهار .

ويؤدي هذا إلى أن نحصل على الحرارة المطلوبة نهائياً في الليل ،
والحرارة المطلوبة ليلاً في النهار) .

٣ — إن قال بك العقلي يجعلك تعتقد أن المنبه سيدق في الصباح . ولكنه سيدق في الساعة التاسعة بصرف النظر عما إذا كان الوقت صباحاً أو مساءً . ولهذا فإنه بعد أن تذهب إلى فراشك في الساعة الثامنة بساعة واحدة سيدق المنبه في الوقت المحدد وهو الساعة التاسعة .

٤ — في منتصف الليل في اليوم الحادي والثلاثين من ديسمبر كانت طائرة تطير — وكانت قد أقلعت . ولكنها لم تنزل إلى الأرض بعد . وقوالنا العقلية تجعلنا نتجاهل عامل الوقت ونعتقد أن كل إقلاع لا بد أن يتبعه نزول على الأرض بشكل ما حتى وإن يكن هذا النزول سقوياً . ولهذا فإننا نعرف أن عدد مرات النزول يجب أن يكون مساوياً لعدد مرات الإقلاع . ومن هنا نتسرع في الاستنتاج أن عدد مرات الإقلاع في مدة محددة من الزمن يجب أن يكون مساوياً لعدد مرات النزول .

حلول المشكلات الواردة في الصفحات من ١٤١ إلى ١٤٥ :

١ — هنا تناقض في معاني الألفاظ . فالتعريف الشائع لكلمة « إفطار » هو « أول وجبة نتناولها في اليوم » ، ولهذا فإن الوجبة التي نتناولها بعد الغداء لا يمكن اعتبارها إفطاراً .

٢ — يمكن أن نعبر عن هذا القياس المنطقي بالشكل الآتي :

١ — أن الاسكتلنديين بخلاء .

ب — ماك جريجور اسكتلندي .

ج — وإذن فماك جريجور بخيل .

إن القياس سليم ولكن أكثرنا يشك في صدقه. فلا شك أن القضية الأولى لا تصدق على جميع الاسكتلنديين واعلمها لا تصدق على أكثرهم (ولا على أية مجموعة أخرى من الناس) وعلى أى حال فإن مجرد تقرير أن الاسكتلنديين بخلاء لا يجعلهم كذلك. وإن محاولة استخدام قياس منطقي من هذا النوع لتثبت أن شخصاً ما له الصفات المزعومة لجماعة ما من الناس لمجرد أنه ينتمى إلى تلك الجماعة. هذه المحاولة غير سليمة وهي مثال ما أسميناه بالمبالغة في التعميم.

٣ — أن «جونى» يفكر على أساس قياس للتشبيه. فهو يعرف أن «الزيت» مشحم جيد للآلات، ولكن هناك أنواعاً متعددة من الزيت ولكل منها خصائصه. والزيت المستخدمة للتشحيم هي أنواع خاصة محددة، وأما زيت السلاطة فليست له الخصائص اللازمة للتشحيم، وإن يكن نوعاً من الزيوت. وفي هذه الحالة التى نحن بصدددها سيصبح الزيت بعد قليل لزجا كالصمغ ويتلف الحاكى. إن غلطة جونى ترجع إلى قلة معلوماته عن خواص الأنواع المختلفة من الزيوت فضلاً عن قلة إدراكه لما يحدث عندما تجرى عمليات خاطئة.

٤ — يمكن وضع كل من العبارتين بشكل قياس منطقي. وإليك القياس الأول

أ — إن الجمهوريين يقفون ضد العمال.

ب — برينسكرهوف جمهورى.

ج — وإذن فبرينسكرهوف يقف ضد العمال.

فإذا كان الشخص الذى قال هذا القول يعارض أولئك الذين يقفون ضد العمال فإنه طبقاً لتعليمه يجب ألا يعطى صوته لبرينسكرهوف. ولكن أحقاً أن كل الجمهوريين يقفون ضد العمال؟. إذا كان هذا صحيحاً فإن القياس يمثل الحقيقة. وأما إذا لم يكن صحيحاً فإنه لا ينطبق على الحياة الواقعية حتى وإن كان قياساً سليماً من حيث إنه تدريب فى علم المنطق. فقد يكون برينسكرهوف ضد العمال،

وقد لا يكون ، ولا بد من فحص دقيق لنحصل على حقائق كافية للاستطيع أن نصدر حكما صائبا . فالعبارتان في هذه المشكلة مغرقتان في التعميم . ويمكن تحليل العبارة الثانية الخاصة بالديمقراطية « يثبتوا » بنفس الطريقة .

٥ - إن تكاليف إصلاح آلة عتيقة جداً قد تكون مرتفعة ، ثم إن الوقت الذي يضيع في الحصول على قطع الغيار اللازمة يجب أن يحسب حسابه كما أن الطعام قد يثلف . ولهذا ففي موقف معين يكون القرش الذي تدخره بإبقائك على الملاحة القديمة قرشا ضائعا . ولا يمكن الحكم في المسألة على أساس مثل سائر أو حالة مشابهة ، ولكن على أساس الظروف الواقعية .

٦ - يمكن أن تعتبر هذه العبارة مثالا على التسرع في الاستنتاج وعلى المبالغة في التعميم في التحدث عن الأحداث قبل أن تقع . ولم تقدم أية أدلة حقيقية تؤيد صحة العبارة ، وفضلا عن ذلك فإن قياس التشبيه في المثل القائل : (إن المقشة الجديدة تنظف جيدا) لا ينطبق بالضرورة ؛ فقد تصلح المقشة الجديدة لتنظيف غرفة متربة تنظيفا أحسن مما تفعله سواها ، ولكن الرئيس الجديد الذي يطرد عددا كبيرا من موظفيه الأمناء بسبب ضرر بالغ !!

٧ - هذه العبارة مثال على المبالغة في التعميم والتسرع في الاستنتاج ، فربما كان أولئك الناس الذين لا يكفون عن الابتسام ويربتون على ظهور غيرهم في مودة وألفة بالغة - ربما كانوا أشخاصا مخادعين لا يوثق بهم ، وربما لم يسكنوا ، ولعل بعض هؤلاء الناس مخلصون فعلا عندما يظهرون المودة ويلقون الناس بالابتسام ، فهم أناس طيبون سعداء ودودون . إن مثل هؤلاء الناس الذين يربتون على الظهور ويسكثرون من الابتسام يجب أن تتاح لهم الفرصة ليثبتوا لنا ما إذا كانوا ودودين فعلا أم متظاهرين بالمودة .

٨ - إن الإثبات بما لا يدع مجالاً للشك ، يحتاج إلى أكثر من مجرد

القرائن . فإذا كان كثيرون من الناس قد رأوه يرتكب هذه الجريمة فإن هذا يكون قريبا من الدليل القاطع . ولكن الشهادة غير المباشرة المذكورة هنا لا تؤدي إلا إلى اشتباه في إدانة المتهم .

٩ — ما المقصود بالرقابة الحكومية غير الضرورية ؟ إن ما هو غير ضروري هو ذلك الذي لا يحتاج إليه ، وهو لذلك عديم الفائدة . لهذا فأى شيء ردىء يقال عنه بعد ذلك هو نتيجة تسكاد تكون آلية لتعريف الكلمة . وهذا هو ما يسمى بالتفكير في حلقات مفرغة . وفي الجملة التالية نجد انتقالا إلى مجال جديد ؛ فنجد أن تعبير « غير ضروري » قد أغفل واتصل بالمساوى التي نسبت إلى « الرقابة الحكومية غير الضرورية » بكل أنواع الإشراف الحكومي ، وهو لإغراق في التعميم .

وعبارة : « خلال أكبر من مائة عام » مبالغ . قد تكون هناك قرائن كثيرة ، ولكن ليس هناك دليل على صحة هذه العبارة .

كما أننا نرتاب في عبارة : مهما يكن من حسن نية القائمين به ، فإنها تعني أن العبارة صادقة في جميع الأحوال رغم أنه من الصعوبة بمكان أن نثبت عن طريق الملاحظة صدقها أو كذبها .

١٠ — هذا تفكير في حلقة مفرغة مبنى على إحدى خصائص البقرة ؛ فبدلا من أن يجيب المسئول عن السؤال ، بأن يقدم معلومات عن السبب في أن البقرة تعطينا اللبن ، نجده يذكر هذه الخاصية عن البقرة فكأنه لم يعط جوابا ألبته .

١١ — « أكثر مما يجب » تعني « ضار » ، وعليه فالعبارة شكل من أشكال التفكير في حلقات مفرغة ، فكأنها تقول في الواقع : « إن القدر من الحرية الضار بالناس ضار بالناس » .

١٢ — إن القول بأن « ممبرتون » عضو في جمعية « جون بيرش » بدليل

أنه يسير على سياسة تلك الجمعية في كل تصرفاته . غير دقيق ؛ فكونه يسير على نفس سياسة الجمعية لا يعد دليلاً على عضويته فيها ، وإنما هو قرينة فقط ، إذ يستطيع الإنسان أن يؤيد سياسة جماعة من الجماعات تأييداً تاماً دون أن يكون عضواً فيها .

١٣ — هذه مجموعة من العبارات المتناقضة . فهذا الرجل لا يعطى إحساناً قط . هذا من ناحية . ولكن من ناحية أخرى فهو « عندما يفعل » ، أى لأنه يعطى فعلاً مالا للإحسان .

١٤ — هذه عبارة عاطفية أكثر منها عبارة لإنسان متعقل . وقوله : « إنهم يهينونى ما يسيقوله الناس » يفهم منه أن أناساً أهدأ منه طباعاً قد نصحوه بأن يكبح جماح عواطفه .

١٥ — إذا كان العمدة سينتخب مرة كل سنتين فكيف يمكن أن يظل في منصبه أربع سنوات ؟ إن معنى هذا أنه سيكون هناك عمدتان لكل منهما الحق في أن يكون للعمدة وأن يتخذ القرارات على هذا الأساس . ويمكنك أن تتصور ما يؤدي إليه هذا الإجراء من ارتباك .

ولقد وقعت هذه الغلطة كتابة في ميثاق إحدى المدن أخيراً واضطر المسئولون إلى تصحيحها سريعاً بعد أن أدرك العمدة أنه سيكون له منافس بعد قليل .

حلول المشكلات الواردة على الصفحات من ١٦٣ إلى ١٦٥ :

١ — أ — إن هذا مجرد رأى ، وهناك حقائق كثيرة ناقصة . ويفهم من العبارة أنها تدين جميع الأجانب ، فهل يعرفهم المتكلم جميعاً ؟ وهل هو يعرف حقاً أن كل إنسان في المدينة يتفق معه في هذا الرأى وهل هو يعنى البريطانيين أو الكنديين أو السويديين أو فئة معينة من الأجانب في بلده ؟ هل هو يعرف حقاً هؤلاء الأجانب الذين

يكرههم ، أو أن كرهه لهم يمنعه من أن يعرفهم على حقيقتهم ؟ أيمكن أن يجد هؤلاء الأجانب أنفسهم جديرين بالحب لو أنه قابلهم في ظروف أخرى ! ثم إلى أي حد ترجع صفاتهم المنفرة إلى الظروف التي يعيشون فيها ؟ وهل يحاول سكان المدينة بذل الجهد ليعرفوهم معرفة أوثق ، أو أن كره السكان لهم عامل هام في عزلتهم وانفصاليتهم ؟ مثل هذه الأسئلة لا بد أن تسأل ويجاب عنها قبل إلقاء أى ضوء على المشكلة .

١ - ب - هذه العبارة في الواقع تعريف للعلاقة بين الدولارات والسنتات ولهذا فهي حقيقة . وصدقها يتأكد كل يوم عدة مرات كلما أجريت أية معاملة مالية .

١ - ح - كان يمكن أن يكون هذا الرأي معقولا أكثر مما هو الآن لو أنه لم يعبر عنه بهذه القوة . فثلا كان يمكن استخدام عبارة أقل تعميما كأن يقال : « أنصحك أن تردع نقودك البنك ، فإنك إذا استثمرتها في الأوراق المالية كان هناك احتمال أكبر أن تفقدما لو نزلت الأسعار نزولا فجائيا » .

والنصيحة قد تكون جيدة في وقت ما ، وقد لا تكون جيدة في وقت آخر فثلا في فترة صعود الأسعار صعودا سريعا تزداد قيمة الأوراق المالية ، في حين تنقص القدرة الشرائية للمال المودع في البنك ، ولكن عندما تكون الأسعار في هبوط فإن المال المودع في البنك قد تزداد قدرته الشرائية حين تنزل قيمة الأوراق المالية . إن كلتي « دائما » و « أبدا » تدلان على أن الشخص الذي عبر عن هذا الرأي لم يحسب حسابا للظروف المتغيرة .

١ - د - إن الشخص الذي عبر عن هذا الرأي له الحق في أن يعتقد . ولكننا نستطيع أن نعترض على استخدامه كلمة « جميع » . فهو لا يعرف جميع المدن ولا حتى جميع أجزاء المدن التي زارها .

وربما كنا لا نعارضه بقوة لو أنه قال . « إن المدن التي رأيتها مزدحمة
قدرة ، وإني لأفضل الريف دائماً » .

١ - هـ - هذا مجرد رأي - وهناك هيئة خاصة تؤدي خدمات للمستهلك بأن
تقيم السيارات عن طريق اختبارات دقيقة . وهذه الهيئات
يندر أن تختار سيارة واحدة بعينها باعتبارها تساوى أكثر من
ثمناً بالنسبة لباقي السيارات . إن مثل هذا الموضوع يتصل بالاحتياجات
المختلفة للمستهلكين . فمثلاً النجار ذو الأولاد الكثيرين قد يحتاج إلى
سيارة متينة كبيرة تصلح لجميع الأغراض من نوع الستيشن واجن
لينقل عليها أدواته أثناء الأسبوع ، ولينقل عليها أولاده الستة أيام
الآحاد . بينما الرجل الأعزب الذى يحتاج إلى سيارة لينقل بها إلى
عمله في مدينة مزدحمة قد يفضل سيارة صغيرة .

إن هذه العبارة قد تكون أقل إثارة للاعتراض لو أنها صيغت
بهذا الشكل :

« أعتقد أن السيارة الوحيدة التي تساوى ثمنها بالمسبة إلى هي البرونتو .

١ - و - ليس من الصعب أن نعرف إذا كانت هذه العبارة تطابق الحقائق
أم لا ، ولكنها لا تكون حقيقة ما لم تحدد ويستوئق من صوابها .
فما هو أساس المقارنة ؟ أنحن نقارن البطاطس بالبرتقال ثمرة بثمرة .
أو رطلا برطل ؟ أنحن نتحدث عن فلوريدا حيث يزرع الكثير من
البرتقال . أو عن مدينة كبيرة بعيدة عن المناطق التي تزرع الموالح ؟
إن الاستعراض السريع للأسعار في مناطق كثيرة مختلفة يبين
الحقيقة سريعاً في هذه الحالة .

١ - ز - هذا رأي ؛ فقد يكون شخص آخر هو الذى يقود السيارة .
وهناك عدة حالات وقع فيها الخطأ في تحقيق الشخصية بسبب التشابه
بين الناس والتشابه بين السيارات . وقد حدث أن أدين بعض الناس
في جرائم لم يرتكبوها بسبب هذا التشابه .

إن العبارة معترض عليها لأنها تبدأ بـ « لا بد » ، لأن هذا يعني أنه ليس هناك أى احتمال للشك . وكان يحسن أن تصاغ العبارة بالشكل الآتى :

« إن هذه السيارة تشبه سيارة سام درويليف » .

٢ - أ - إن جزءاً مما قاله « بيت » ، مؤداه ما يأتى . « إذا كانت تريد أن تحصل على موعد لقاء معى فيجب عليها أن تخفى عليها » وتكشف هذه الإجابة عن حقيقة هامة فى شخصية « بيت » ، وهى أنه لا ينبغي على الفتيات أن يتباهين بعلمهن . ترى أيرجع ذلك إلى أنه هو نفسه طالب قليل العلم ؟ ثم إنه يقول ما يفهم منه أن الأولاد بصفة عامة لا يحبون أن يصاحبوا فتاة مثقفة ، فهل هو قادر حقاً على أن يقرر هذا بالنسبة إلى غيره من الأولاد ؟

٢ - ب - إن خطاب « مارجى » وإجابة « جودى » عليه يبعثان على الضحك ، ولكن الرأى الذى عبرت عنه الإجابة ليس فى الواقع نصيحة طيبة ، بل إنه يمكن أن يكون ضاراً كذلك . فأولا تقول جودى . « إن الحل الوحيد أمامك . . » ، ومعنى هذا أنه لا يوجد حل آخر . إن المرء ليهتاج إلى علم غزير ليستطيع أن يؤكد أنه لا يوجد سوى حل واحد لمشكلة ما كما يفهم من كلام « جودى » ، إنها خبيرة بهذا الموضوع ، وأنها تعرف حقاً ما يمكن عمله فى مثل هذه الأحوال وما لا يمكن عمله .

ولكن يحتمل ألا يكون هذا صحيحاً فإن « جودى » دونز ، ليست إلا محررة تجيب على عشرات الرسائل كل أسبوع فكيف تستطيع أن تمحض النصيح فى العديد من المواقف التى يعرضها العديدون من مختلف الأفراد وهى لا تعرفهم شخصياً . وهى هنا ترد على سؤال يمكن اعتباره سؤالاً طيباً مع أنها لا يمكن أن تدعى أنها تعلم الكثير عن الطب ، وهى لا تعرف الشخص الذى تسدى إليه نصيحتهما

ورغم هذا فهي تقدم نصيحتهما عن طبيب خاطر على أساس معلومات ناقصة جداً في خطاب « مارجي » ، فليس لجودي من سبيل إلى التأكد من صحة ما قدمته مارجي من معلومات .

إن الزوجة التي تسأل العون تواجهها مشكلة حقيقية . والإجابة المعقولة المنتظرة من « جودي دونز » هو أن تتصحها بأن تعرض مشكلة زوجها الذي يصر على أسنانه في أثناء النوم على طبيب أو أخصائي في علاج الأسنان . ثم إنه قد يكون هناك شيء غير عادي في شخصية (مارجي) . فقد تكون استجابتها لما يحدث أحياناً من زوجها من صرير الأسنان أثناء نومه - قد تكون استجابتها غير عادية . وقد تكون هذه النصيحة التي قدمتها (جودي دونز) دون تمن أو تفكير ضارة ، لاسيما إذا ترتب عليها أن تعدل مارجي عن استشارة طبيب . وربما كانت (جودي) قد افتعلت الخطاب لتبعث قراءها على الضحك . ولكن الصحيفة التي تكتب فيها لم تخصص هذا الحيز للفكاهة ، بل إنها تعتبر جودي (حلالة المشكلات رقم ١) عندها ، ولهذا فمن المحتمل جداً أن يأخذ الكثيرون من الناس نصيحتهما مأخذ الجدة .

٢ - - فضلاً عما في هذه الرسالة من شتائم (مغفل - عيالكم) ، وهي بالطبع أمر يعترض عليه ، فإن حجة الكاتب هي أن أولئك الأشخاص الذين لا يدفعون أجراً لمقاعد ليس من حقهم أن يشغلوها بأنفسهم أو بغيرهم . ولهذا فإن أولئك الأشخاص الذين يستصحبون أطفالهم الرضع أو الصغار يجب أن يحملوهم في حجورهم .

إن الحججة منطقية تماماً طبقاً لمقدماتها ، ولكن المقدمات التي تستفاد من رأي الكاتب توضح شيئاً عن أخلاقه ، فنحن نحكم عليه من رسالته بأنه إنسان أناني لا يهتم إلا براحته الشخصية .

٢ - د - يمكن تلخيص الرأي المعروض فيما يلي :

١ — إن التعليم مهمة يقوم بها الأفراد والحكومات المحلية . وهو ليس من واجبات الحكومة الفيدرالية أو الوطنية

٢ — لا يمكن النهوض بالتعليم بسرعة عن طريق معونات ضخمة من الحكومة الفيدرالية أو الوطنية .

ولا بد من تقديم قرائن كثيرة قبل أن يستطيع أى إنسان أن يؤيد هذه الآراء ، بل يمكن أن نذكر قرائن تتعارض وهذه الآراء . فهناك حالات كثيرة نجد فيها أن المعونة للتعليم تأتي من مصادر غير الأفراد أو الحكومات المحلية . فمثلا (١) إن برامج التليفزيون التعليمية قد فشلت نتيجة لتطور صناعة التليفزيون . (٢) إن منحة من الحكومة الفيدرالية قدرها مائة دولار لطالب ما يحتمل أن تفيد الطالب بقدر ما تفيده منحة محلية بنفس القيمة .

٣ — في الدول الأوروبية (كالنمرك وفرنسا وألمانيا) يعتبر التعليم من واجبات الحكومة الوطنية (أى المركزية) .
ولهذا فإن هذه العبارة تحتاج إلى تعديل .

ثم إننا نشك في العبارة القائلة ولا يمكن تنميتها فجأة ، فإنا لا يمكن أن نعرف ما لم نجرب ، ولكن الزعيم السياسى الذى قال هذا الكلام جعل عبارته مؤكدة بشكل يفهم منه أنه لا يريدنا أن نحاول . وفي مثل هذه الحالة فإن دراسة الموقف في الدول الأخرى هى الطريقة المعقولة لدراسة المشكلة . ولكن يجب أن نكون على حذر هنا حتى لا نذهب بالمقارنات إلى أبعد مما يجب ونطبقها دون أن نحسب حسابا لاختلاف الظروف .

حلول المشكلات الواردة على الصفحات من ١٩٦ إلى ١٩٧ :

١ — ١ - الشتائم واستثارة العواطف عن طريق استخدام مثل هذه الألفاظ :

السياسة المأجورون — ابتليت — تقديم الرشاوى .

١ — ب — تملق عامة الشعب (سكان هذه المدينة المجدون الامناء) والشتائم واستئثاره المواطنين (التظاهر — النيمة — تغطية — محاولاتهم المرائية — الاوغاد) .

١ — ج — التعميمات البراقة (المبجل) التحويل (من أجل الأجيال القادمة ، حياتنا وحرماننا ونشدان السعادة ، باسم وطننا المحبوب) .

١ — د — الإدانة بتهمة مخالطة المجرمين ، وحيلة ضرب الزوجة .

١ — هـ — البندقية التي تصيب في اتجاهين مختلفين . فالعبارة تقول إن الطريق الرئيسى سيجلب الناس إلى المدينة (لا ليشتروا حاجاتهم من متاجرها ولكن ليخفقوا المدينة بسياراتهم) ومن ناحيته أخرى تقول العبارة إن الناس لن يتوقفوا بسياراتهم في المدينة بل سيخترقونها اختراقاً . إن هذه العبارات تناقض نفسها ؛ فهي تشير إلى اتجاهين متعارضين في نفس الوقت .

٢ — إن هذا الوصف لمباراة البيسبول متحيز تحيزاً كبيراً لصالح فريق « التيجرز » . ورغم ذلك فإنه — طبقاً للتناجج الموضوعية — نجد أن فريق « سيركل فيل ايجلز » قد تفوق تفوقاً كبيراً في اللعب على الفريق المنافس ، فقد كسبوا ١١ هدفاً ضد ٤ وسجلوا ١٦ إصابة ضد ٥ إصابات لفريق الايجلز ، وارتكب فريق التيجرز ثلاثة أخطاء ، في حين لم يرتكب فريق الايجلز أية غلطة .

ويصف التقرير ما فعله فريق التيجرز ، ولكنه لا يقول شيئاً عن فريق الايجلز . وإذا كان لاعبو فريق التيجرز قد اضطروا إلى الانتظار بعض الوقت قبل أن يبدأوا اللعب فإن نفس الشيء قد حدث لفريق الايجلز الذين صادفوا عقبة أخرى ، تلك هي أنهم اضطروا إلى أن يبدأوا اللعب دون « تسخين » ، إذ قدموا مسرعين من مكان آخر إلى مكان المباراة .

وما دام الهداف الممتاز لفريق «التيجرز» قد أصابته ضربة من الكرة في الشوط الثامن فإن مغادرته للملاعب في الشوط التاسع لا يمكن أن تكون قد أثرت تأثيراً كبيراً في نتيجة المباراة التي كانت إذ ذاك على وشك الانتهاء .

أما تعثر اللاعب وسقوطه فربما كان راجعاً إلى سوء تقديره ، وعلى أية حال فإن الكاتب يقول في وصفه للمباراة إنه لم ينتج عن ذلك سوى هجمة واحدة ، وواضح أن أثر ذلك في النتيجة النهائية كان طفيفاً .

لاحظ أيضاً كيف أن الكاتب ينتحل المآذير لفريق «التيجرز» في كل مناسبة ، فهو يقول مثلاً : « ونتيجة لذلك كانت بداية لعبهم بطيئة » . كما يقول (وهبت ريح شديدة جعلت الموقف صعباً بالنسبة لفريق «التيجرز» ، فهل كفت الريح عن الهبوب عندما كان فريق «الايجاز» يلعب ؟)

فعندما تسمح شخصاً يصف مباراة حاول أن تسكشف هذا النوع من «توضيب» الورق لصالح الفريق الذي يؤيده المتحدث .

حاول المشكلات الواردة في الصفحات في آخر الفصل التاسع .

١ — هذا إعلان متعلق ، إذ يفهم منه أن أي إنسان يشتري ويسكي كاليجولو يمكن اعتباره إنساناً من «العارفين» . فهل هم «عارفون» أكثر من أولئك الذين يشترون الأصناف الأخرى ؟ ثم إن أولئك العارفين يعرفون أن لشرب الويسكي مساوئ خطيرة جداً ؛ ويمكن أن يشار عليهم ألا يشتروا الويسكي بتاتا ، أو ألا يشتروا إلا القليل منه . فهو بالنسبة لأعداد كبيرة من الناس مخدر يؤدي إلى الإدمان ، ويحتاج علاج الإدمان إلى إبقاء المدمن في المستشفى تحت رعاية خاصة ، وهو كثيراً ما يدمر حياة المدمنين .

ثم ما المقصود بالذوق « المذهب » ؟

٢ — « ابتداء من ٢٤٩٩٠ دولاراً ، معناها أن هذا هو أقل سعر ممكن ، ولكن بعض شركات المباني قد اعتادت أن تعتبر بعض الأشياء الأساسية جداً في المنازل اختيارية . وفي هذه الحالة فإن ثمن المنزل يرتفع ارتفاعاً كبيراً . وإذن فإن مبالغ الـ ٢٤٩٩٠ دولاراً قد لا يكون الثمن الأساسي مطلقاً ؛ فقد يكون هذا الثمن أهلي من ذلك بكثير ، ولهذا فإنه من الحكمة أن ننظر إلى عبارة « ابتداء من ٢٤٩٩٠ دولاراً » بشيء من الحذر ، وأن نحصل على مزيد من المعلومات .

ويعتقد الخبراء عادة أن السكنى في منزل ثمنه ٢٥٠٠٠ دولار تكلف نحو ٢٥٠ دولاراً في الشهر . فعندما يقول الإعلان إن « ٣٠ دولاراً تقريباً كل شهر تغطي كل شيء » ، فما هو المقصود « بكل شيء » ؟ أتعني كل النفقات ، وكل الرهونات ؟ وكل الضرائب ؟ أم ماذا تعني ؟ قد تكون هذه العبارة صحيحة إذا حصل المالك على إيجار مرتفع جداً للشقة الثانية . ويمكن أن يحصل ذلك إذا كان بالمنزل شقتان : واحدة كبيرة فاخرة من ثمان غرف ، والأخرى صغيرة مكونة من غرفتين . فإذا شغل المالك الشقة الصغيرة وتقاضى ٢٢٠ دولاراً شهرياً للشقة الكبيرة فإنه يمكن أن نتصور أن تكون تكاليفه ٣٠ دولاراً شهرياً . وأما إذا لم يحدث ذلك فإن العبارة في الغالب غير صادقة .

لاحظ العلامة (*) على عبارة « غرفتان فسيحتان للعب فضلاً عن حمام إضافي » ، ثم في أسفل الإعلان يقول المعلن بخط دقيق جداً « (*) اختياري » ، فكيف تتكلف هذه المرافق الإضافية ؟ من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف دولار ؟

ثم إن عشرة دولارات لا تعتبر شيئاً بالنسبة لمنزل ثمنه ٢٥٠٠٠ دولار فلماذا إذن ذكر الثمن على أنه ٢٤٩٩٠ دولاراً ، وليس ٢٥٠٠٠ دولاراً ؟ إن

الناس عادة ينظرون إلى الأرقام الأولى من عدد ما ويهملون الباقي ، ولهذا فإن ذكر الثمن على أنه يقل بعشرة دولارات عن الـ ٢٥٠٠٠ يوحى إلى القارئ بأن الثمن يقل ألف دولار . وانفس السبب نجد أن أثمان البضائع تذكر عادة على أنها دولار ، ٩٨ سنتاً أو دولاراً ، ٩٥ سنتاً بدلاً من دولارين . ولهذا أصبحت هذه الطريقة أسلوباً متبعاً في كثير من الصناعات ، ولهذا يجب على المستهلك أن يحول كل هذه الأسعار وما شابهها إلى أقرب قيمة تقريبية

٣ - لقد أظهرت التجارب الطبية أن الفيتامينات لا تؤدي إلى أي تحسن ملحوظ للأشخاص الذين يستمتعون بصحة عادية ، ولهذا فحتى إذا لم تحتو وجبات يوم من الأيام على فيتامينات كافية ، فإن هذا يمكن تعويضه في الوجبات التي يتناولها الشخص في اليوم التالي أو حتى في الأسبوع التالي .

فإذا كان هناك نقص في الفيتامينات قد امتد أجلاً طويلاً فإن هذا يظهر بشكل مرض محدد . فمثلاً نقص فيتامين « ج » ، يسبب عيوباً في الجلد . ونقص فيتامين « ب » ، يسبب اضطرابات عصبية . فإذا كان الشخص يشعر بأن حالته الصحية على ما يرام فلا حاجة به إلى تناول الفيتامينات على سبيل الاحتياط خوفاً من أن يكون لديه نقص يستدعي أخذها .

وأما إذا كان مريضاً فقد يكون المرض راجعاً إلى شيء آخر غير نقص الفيتامينات . وفي هذه الحالة فإن تناول الفيتامينات بدلاً من استشارة الطبيب يكون أمراً ضاراً . ونخير الإنسان أن يزور الطبيب إذا لاحظ دلائل على اعتلال صحته ، وأن يسأله عما إذا كانت الفيتامينات تعين على شفائه .

٤ - هذا نموذج الإعلان الذي يسيل له اللعاب ، والذي يؤثر بشدة في العواطف ، وهناك حقائق أساسية مخدوفة إن بعض الناس سيشتكون

من الصداع في الصباح الثاني . فبالنسبة لهؤلاء الناس سيكون ثمن الاسترخاء في الليل بؤساً في الصباح . وفضلاً عن ذلك ليس هناك ما يؤكد أن هذا الصنف من الموسيقى أحسن أو أردأ من غيره من الأصناف لتحقيق الغرض وهو الاسترخاء .

د - في هذا المثال عناصر من « الإعلان الذي يسيل له اللعاب » الذي يربط بين السجارة وبين الصفات المحببة التي توصي بها هذه الألفاظ . « ترضيك . حبيبة إلى نفسك » .

هـ - « تتفوق في النكمة على ما عداها » ، مبالغة ، فإن ما يعتبره إنسان ما أحسن نكمة للسجائر يعتبره غيره أسوأ نكمة . ولاحظ أن الإعلان يستخدم حيلة « توضيب الورق » ؛ فهو لا يشير إلى السجائر بصفة عامة ، ولكنه يتحدث فقط عن سجائر « المنتول » . فإذا كان القليلون من الناس يشتررون سجائر « المنتول » ؛ فإن سبعة من كل عشرة ستكون في الواقع سبعة من كل مائة من مدخني جميع أصناف السجائر . ولاحظ أيضاً أن السبعة من كل عشرة لم يقولوا إنهم يفضلون سجارة « صحارى » ، وإنما قالوا : « إن بها القدر الكافي من المنتول » . والمقصود أن يفهم من هذا أن هذا النوع من السجائر هو « أحسنها » . ولكنه قد يكون عاملاً قليل الأهمية جداً في الاستمتاع بالسجائر .

وأخيراً يجب أن نقول شيئاً عن نوع الاستفتاء الذي يجريه صانعو السجائر ؛ فمثل هذا الاستفتاء كثيراً ما يكون مصحوباً بحيلة « توضيب الورق » وذلك بتوزيع سجائر بالجمان ثم يطلب إلى الناس الذين وزعت عليهم أن يجيبوا عن أسئلة ، ومعظم الناس يتعاونون في مثل هذه المواقف مع الصانع بأن يعطوا تقارير في صالح سلعته .

وهناك حقائق كثيرة ناقصة ، فهل وزعت سجائر أخرى على سبيل المقارنة ؟ وإذا كان ذلك قد حدث فهل كانت تلك السجائر سيئة

النكبة ؟ وفي المقام الاول ، يجب علينا أن نثق بالاستفتاء ؟ ربما كان كاتب الإعلان قد لفق النتائج ولم يجر أى استفتاء حقيقى .

٧ - هذا مثال للإعلان « الشبيه بالعلمى » الذى يعتمد فى تأثيره على « تجربة » لا صلة لها بنوع الصودا أو نكهتها ، ولا يثبت ما هو مفروض أن يثبته . لأنه من الممكن أن تكون فى قشور الليمون مقادير كبيرة من الزيوت المتطايرة ومع ذلك تكون صودا الليمون « جنجرو » فظيعة المذاق . إن كل ما هناك من قرائن (وهى هنا تسمى « أدلة ») ينطبق فقط على كون الليمون يحتوى على زيوت ، ولا ينطبق قط على الصودا ، لاحظ كيف استخدمت كلمة « دليل » لتوحي بالدقة العلمية .

٨ - تخليط من الأسلوب « شبه العلمى » وأسلوب الإحصاءات المضللة .
فعبارة « يبدأ فى تخفيف الألم أسرع من أى دواء آخر » لا تعنى شيئاً بغير أرقام .

وليك بعض نتائج تجارب افتراضية استخدمت فيها أربعة أنواع من المسكنات :

بدء تسكين مسدة	مقدار الكلفة	نوع الآثار
الألم	التسكين	التسكين
الألم	الألم	العارضة
٥ دقائق	١ ساعة	متوسط مرتفعة عضلى كثيرة
مسكن ماركة د ا ، ٧ دقائق	ساعتان جيد جداً	منخفضة صداع بعض الآثار
مسكن ماركة دب ، ٨ دقائق	ساعة جيد	منخفضة جداً « لا شيء »
مسكن ماركة دج ، ٩ دقائق	٣ ساعات ممتاز	منخفضة عضلى بعض الآثار

وطبقاً لهذا الجدول الافتراضى يعتبر البرونتو أسوأ الادوية من كل وجه ، فيما عدا أنه يبدأ أسرع فى تسكين الألم . فهل الدقائق القليلة التى يسبق بها هذا الدواء سواء فى تسكين الألم تساوى ما له من

مساوية؟ إن كاتب الإعلان قد « وضع الورق » باختياره صفة أو صفتين امتاز فيهما صنف الدواء المعلن عنه ، ولم يذكر شيئاً عن مساوئه .

٩ — هذا إعلان مضلل . فما معنى أن ثمنها أقل بمقدار ١٩ سنتاً ؟ فهل هو أقل من صنف آخر معين بمقدار ١٩ سنتاً ؟ أو أقل من أرخص ثمن لصنف منافس بمقدار ١٩ سنتاً .

١٠ — إن استخدام تعبير « طازج » مضلل . فإذا استخدمت شركة أخرى لحوماً مطهية غير فاسدة ، واحتوت هذه اللحوم على بروتينات أكثر مما يحتوى پابس ، فإن صنفها يكون أرقى بالتأكيـد . ولكن شركة پابس تدعى التفوق على غيرها لأنها تستخدم بروتين اللحم البقري الطازج . فإذا يفعلون باللحم « الطازج » ؟ هل يطهونه ؟ وإذا كانوا يفعلون ذلك . فهل في ذلك ميزة حقيقية ؟ ربما كانت هناك ميزة وربما لم تكن .

ثم إن « ثلاثة أمثال » مطبوعة بحروف كبيرة ، في حين أن عبارة « في أى طعام جاف للكلاب » مطبوعة بحروف صغيرة . ويفهم من الإعلان أن هذا النوع من طعام الكلاب الجاف فيه من البروتين ثلاثة أمثال ما في كل الأنواع الأخرى . فكـم صنفاً من الطعام الجاف للكلاب موجودة في السوق ؟ اثنان ؟ إذا كان هناك ١٥ صنفاً من المعلبات وصنفان من الطعام الجاف فإن العبارة السابقة الذكر لا تعنى كثيراً .

١١ — يفهم من الإعلان أنه قد أنفقت ثلاثون سنة في جهد عنيف خلاق للبلوغ بويسكى « ابيتومى » إلى هذه الدرجة من الكمال . والواقع أن أى صنف آخر من الويسكى قد مضت عليه هذه المدة . وهو معروض في السوق ، يمكن أن تدعى له نفس هذه الميزة . فالعبارة تعنى

ببساطة أن الشركة قد أمضت ثلاثين عاماً في نشاطها التجارى ولا شيء أكثر من ذلك . إن أسلوب هذا الإعلان يؤدي بالقارىء إلى التسرع في الاستنتاج .

١٣ — هل سيستغنى عن كل طلاء ؟ أن تحتاج النوافذ والأبواب إلى طلاء ؟ هل ستخفض « فواتير » الوقود بمقدار ٣٠٪ لكل منزل ، أو حتى لمعظم المنازل ؟ أو ستخفض بهذا المقدار بالنسبة لبعض الأكواخ الصغيرة ذات الجدران الرفيعة غير العازلة ؟ إن تخفيض ٣٠٪ في « فواتير » الوقود عن طريق إضافة جدران من الحجر ليس محتملاً . وأغلب الظن أن هذا الادعاء غير صحيح بالنسبة لمعظم المنازل، فهو إعلان يعتمد على الأرقام المضللة .

ثم إن عبارة « يبرد المنازل بمقدار ٢٥ درجة » مثال آخر للأرقام المضللة ، إذ يكاد يكون من المحال في معظم الأحوال أن يبرد بيتاً بهذا القدر في يوم حار . فإذا كانت درجة الحرارة ٩٠° خارج المنزل ، ٩٥° داخله ، فهل ستخفض درجة حرارة المنزل بمقدار ٢٥ درجة ، أى تصبح ٧٠ درجة ؟ إن هذا محال ، وأقصى ما يمكن أن يبلغ التبريد هو ٩٠° فإن البيت لا يمكن أن تنزل درجة حرارته عن درجة الحرارة في خارجه ، أو لعله يبرد بمقدار ٢٥ درجة في الشتاء ! هذا ممكن ، ولكن من الذى يرغب في حدوث ذلك ؟ ما هو أساس المقارنة هنا ؟ ٢٥ درجة أقل من ماذا ؟ وفي أية ظروف ؟ إن العبارة لا تعنى شيئاً ألبتة .

احترس من العبارات « الموضبة » ، مثل : « لا تدفع شيئاً مقدماً » ؛ فهناك أشياء كثيرة لم يقام الإعلان . فعادة عندما لا تدفع شيئاً مقدماً تدفع ثمن ذلك فيما بعد عندما تراكم أنواع مختلفة من التكاليف والفوائد على مدى فترة من الوقت . والواقع أنك عادة تدفع أكثر بكثير في نهاية الأمر لأنك لم تدفع شيئاً مقدماً .

والإعلان يقول إن كل أربعة أجزاء تكلف ١٢٩ دولاراً وخمسة وتسعين سنتاً . فما هو الجزء ؟ المفهوم من الإعلان أنه جدار . ولكن تكاليف تغطية جدران المنزل بالحجر تختلف بحسب الحجم وحيث إن الحجم لم يذكر ، فإن الثمن لا يعنى شيئاً فهو رقم مضلل . إن الثمن الذى يذكر بهذه الطريقة يدعو للارتياح ، لأنه واضح أن المعلن يحاول أن يغرى الزبون بالتلويح له بشئ من انخفاض غير حقيقى .

لاحظ استعمال ١٢٩ دولاراً ، ٩٥ سنتاً ، بدلا من ١٣٠ دولاراً فإنهم بتخفيض الثمن بمقدار خمسة سنتات يأملون أن يخدعوك فتظن أن الثمن يقل بمقدار عشرة دولارات .

١٢- يفهم من صيغة الإعلان أن المعلن يبيع أرقى الأصناف بأرخص الأسعار بصفة عامة ، ولكن لاحظ الضمير « نا » فى كلمة « أسعارنا » فإن القول بأن « أرقى الأصناف تباع بأقل أسعارنا » لا يعنى كثيراً . أن المتجر الذى يبيع بأعلى الأسعار يستطيع أن يدعى نفس الادعاء لو خفض أسعاره المرتفعة بمقدار ١٪ فقط .

١٤- هذا إعلان يعتمد على الأرقام المضللة ؛ فالثن المذكور فى الإعلان وقدره ٩٩ دولاراً قد لا يعنى الكثير ، وبصفة خاصة فى الساعات فإن الكثير من المتاجر تعطى تخفيضاً يصل إلى ١٦٪ بغير أن تأخذ منك ساعتك القديمة . وفى الواقع قد يستفيد المتجر بإصلاح الساعات القديمة وبيعها بأسعار مرتفعة تمكنه من الحصول على الثمن بالكامل . ولهذا فإن العرض الخاص بمبادلتك ساعتك القديمة بساعة جديدة قد لا يعنى شيئاً ألبتة .

ولاحظ أيضاً العبارة الخاطئة التى تقول (وخذ مقابلها من ٦ إلى ١٦ دولاراً) . إن الزبون لا يتسلم قط هذا المبلغ ؛ فهو يدفع الثمن إلى المتجر ، والمفروض أنه يدفع أقل مما لو احتفظ بساعته القديمة . وإذن فالمتجر هو الذى يتسلم المبلغ وليس الزبون .

١٥ - هذا إعلان شبه علمي وفيه أيضاً مبالغة في التعميم .

فهناك مئات الألوف من الأطباء في هذه البلاد. كما أن هناك الكثيرين الذين يدعون أنهم أطباء وإن كانوا غير معترف بهم كأطباء . فالعبارة السالفة الذكر تعتبر صحيحة جزئياً ولكنها لا تعني شيئاً قط . إذا كان هناك طبيبان فقط من أولئك الذين لا يعترف بطبهم يؤيدون استعمال هذا الدواء .

١٦ - هذا مثال على الإعلانات الصارخة .

ولقد ألف المعانين والجمهور مثل هذه الادعاءات المبالغ فيها التي لا يمكن إثباتها حتى أصبح يعتبر من المقبول أن يشار إلى كل واحد من مئات العروض المسرحية في عشرات السنين باعتبارها « أعظم » العروض . إن اللغة تفقد معناها في مثل هذه الظروف .

رَبِيعَةُ خُصْرٍ
النجالة، القمامة



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

1911

1911

هذا الكتاب

في هذا العالم المتغير لا بد من أشخاص قادرين على تقويم الحقائق ، قادرين في الوقت نفسه على كشف الحقائق الجديدة .

وهذا الكتاب بين يديك يقدم المبادئ الأساسية لعلم المنطق الشكلي ، وهو في نفس الوقت يلقي الأضواء على مواقف من واقع الحياة اليومية التي تحتاج في دورانها إلى هذا التفكير المستنير الواضح .

وعن طريق المقارنة بين العلم والخرافة يبين المؤلف كيف يمكن التمييز بين الحقيقة والخيال ، ثم هو يناقش الدور الذي تقوم به اللغة في عملية التفكير وأثر الحقائق الناقصة في تكوين الآراء والأساليب التي يتخذها الدعاة لنشر آرائهم والتي ينهجها المعلنون لترويج بضاعتهم . ويعتمد المؤلف في شرح آرائه على مقتطفات من الصحف ، وعلى كثير من الرسوم الهزلية والصور الفوتوغرافية .

هذا الكتاب قادر على تعميق النظرة إلى الأمور ، فسيجد القارئ بعد قراءته أن نظراته إلى المواقف المألوفة في الحياة اليومية قد أحاط بها كثير من الفهم والنفاذ إلى الدوافع التي تتخفي ، وإنما وراء ظواهر الأشياء وصورها الخارجية . كما سيدرك القارئ أن التفكير الواضح يمكن أن يكون رياضة عقلية ممتعة إلى جانب فائدته العلمية الخطيرة .

لأنه كتاب لا بد أن يقرأ

